
Issn:2676-1939
الإيداع القانوني: مارس 2019
Eissn: 2716-9057
المدار
Cognitive Center for Studies and Research
مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
المدار
Cognitive Center for Studies and Research
مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات
Issn:2676-1939
Légal deposit: March 2019
Eissn: 2716-9057
مجلة مدارات تاريخية
Journal Of
MADARAT TARIKHIA
المجلد: 03
العدد: 03
سبتمبر 2021
Volume : 03
Issue : 03
Septembre : 2021
مجلة مدارات تاريخية
مجلة مدارات تاريخية
مجلة مدارات تاريخية
مجلة دورية أكاديمية محكمة
تعنى بالبحوث والدراسات التاريخية
Journal Of Madarat Tarikhia
Reviewed Academic International
Periodical Magazine
For Historical And Researches Studies

# مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات

## مجلة مدارات تاريخية

### دورية دولية محكمة ربع سنوية

### تعنى بالبحوث والدراسات التاريخية

المجلد الثالث – العدد الثالث – سبتمبر 2021

**الرقم الدولي للمجلة ردمد: 2676-1939**

الإيداع القانوني: مارس -2019

**ترسل جميع المراسلات إلى رئيس هيئة تحرير مدارات تاريخية**
**العنوان الالكتروني:**
**madaratmagazine@gmail.com**
**حساب المجلة عبر البوابة الوطنية للمجلات العلمية**
**https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/654**

# التعريف وأهداف الجلة

## التعريف بالمجلة

مجلة علمية دولية محكمة متخصصة في الدراسات التاريخية، تصدر دوريًا عن مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين من مختلف جامعات الوطن وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين من مختلف الدول العربية والأجنبية (تونس- المغرب- موريطانيا- ليبيا- الامارات- فرنسا- العراق- فلسطين- مصر...) وتصدر المجلة بصفة ربع سنوية مرة كل أربعة أشهر، مع امكانية صدور أعداد خاصة ببعض القضايا والدراسات التي قد تطرح من طرف ادارة المجلة وهيأتها العلمية. اهتمامات المجلة وأهدافها: مجلة مدارات تاريخية عبارة عن مجلة متخصصة في الدراسات والأبحاث التاريخية الجادة، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات الدراسات التاريخية، تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر موقعها وكذا مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، مع إضافتها لفهارس أغلب محركات البحث الجامعية، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي

## أهداف المجلة:

- الاهتمام بالدراسات التاريخية عموما وتاريخ الجزائر خصوصا الحافل بالأحداث والإنجازات الحضارية .
- -نشر المقالات ذات القيمة العلمية في شتى حقول المعرفة التي تتيحها المجلة.
- -السماح للباحثين من أساتذة وطلبة دكتوراليين من النشر وفتح آفاق الكتابة التاريخية وفق المناهج الجديدة
- -السعي للارتقاء بالأبحاث العلمية وبلوغ مصاف مؤشرات الجودة والتميز.

# الهيئة العلمية الاستشارية

| | |
|---|---|
| أ.د/جمال يحياوي/ جامعة أبو القاسم سعد الله– الجزائر2/ الجزائر | أ.د/خير الدين شترة/ جامعة الشارقة/ الإمارات العربية المتحدة |
| أ.د/رضوان شافو/ جامعة الوادي/ الجزائر | أ.د/عثمان البرهومي/ جامعة صفاقس/ تونس |
| أ.د/عدنان حسين عياش/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين | أ.د/عمارة علاوة/ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة/ الجزائر |
| أ.د/مولود عويمر/ جامعة أبو القاسم سعد الله– الجزائر 2/ الجزائر | أ.د/ مهند عبد الرضا حمدان الكنزاوي/ جامعة ذي قار/ الناصرية/ العراق |
| أ.د/نبيلة بن يوسف/ جامعة مولود معمري/ تيزي وزو/ الجزائر | أ.د/يوسف ذياب عواد/ جامعة القدس المفتوحة/ نابلس/ فلسطين |
| أ.د/ فاطمة جان احمدي/ جامعة تربيت مدرس/ الجمهورية الإسلامية الايرانية | أ.د/ وليد العريض/ جامعة اليرموك/ الاردن |
| د/امبارك بوعصب/ المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين/ المغرب | د/إبراهيم النوري سالم السيليني/ جامعة غريان/ ليبيا |

| | |
|---|---|
| د/بشير غانية/ جامعة الوادي/ الجزائر | د/حبيب الله بريك/ المركز الجامعي تندوف/ الجزائر |
| د/خالد طحطح/ المغرب | د/خيرة سياب/ جامعة طاهري محمد/ بشار/ الجزائر |
| د/رشيد خضير/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي/ الجزائر | د/شريفة كلاع/ جامعة الجزائر 3/ الجزائر |
| د/عادل نجيم/ جامعة صفاقس/ تونس | د/عبد الرحمن بعثمان/ جامعة احمد دراية/أدرار/ الجزائر |
| د/عصام منصور صالح عبد المولى/ جامعة طبرق/ ليبيا | د/علال بن عمر/ جامعة الشهيد حمه لخضر/ الوادي/ الجزائر |
| د/فتحي جمعة محمد عريبي/ جامعة غريان/ ليبيا | د/كمال بن صحراوي/ جامعة ابن خلدون/تيارت/ الجزائر |
| د/لخضر بن بوزيد/ جامعة محمد خيضر/ بسكرة/ الجزائر | د/لوبنى زبير/ جامعة القاضي عياض/ المغرب |
| د/ بشرى حسين الحمداني/ الجامعة العراقية/ العراق | د/محمد لمين باريك/ جامعة حائل/ السعودية |

## هيئة تحرير مجلة مدارات تاريخية



على بركة الله وحسن عونه وتوفيقه...

ها نحن نصل للعدد الثالث من المجلد الثاني من مجلة مدارات تاريخية التي انطلقت باكورة أعدادها مع بداية سنة 2019، وصدر منها العدد الأول خلال شهر مارس 2019، ليعقبه عدد خاص بالمرحوم الدكتور محمد بن عمارة رحمه الله، والذي كان عضوا معنا في هيئة التحرير العلمية والاستشارية لمجلة مدارات تاريخية، وصدر العدد الخاص خلال شهر أفريل 2019، لتتوالى الأعداد تباعا بصفة منتظمة.

نفتتح الكلمة للعدد الثالث من المجلد الثاني وهو العدد رقم سبعة من سلسلة أعداد مجلة مدارات تاريخية الذي يصدر مع نهاية شهر سبتمبر 2020، ونحن نسير في أيام عصيبة في الجامعة الجزائرية التي تشهد هي أيضا حالة من الركود بسبب الجائحة العالمية "كوفيد 19"، ويعيشها العالم أجمع ولكن بالرغم من كل الظروف، يحاول الباحث المتميز والمتعايش مع واقعه أن يساير الأوضاع ويؤرخ لها ويتماشى معها حتى لا يكون ذو معادلة صفرية في مثل هذه الظروف، وإنما يكون رقما مهما في معالجة الظواهر ودراستها.

ونحن ندخل أيضا ذكرى عزيزة علينا ألا وهي ذكرى تأسيس الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958، هذه الذكرى التاريخية الهامة على ذاكرة الأمة الجزائرية، حيث توج نضاله الثوري بتأسيس حكومة جزائرية اعترفت بها الكثير من الدول بعد لحظات وأيام قليلة من تاريخ إعلانها الرسمي، وها هو الشعب الجزائري من جديد في سنة 2020 يثبت وبكل عزم وإصرار أنه مازال يسير على الدرب الذي سلكه المخلصين من الشهداء والمجاهدين، ولم ينسى ولا مرة تلك الدماء التي سالت في كل شبر من هذه الأرض الطاهرة بدماء الشهداء المخلصين.

وها هي مجلة مدارات وبالتنسيق مع مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات تتابع وتساير كل هذه التغيرات على جميع المستويات حتى يكون للباحث والمفكر والعالم والمؤرخ دوره في رسم ملامح هذا التحول وتأريخه ونقده وتحليله ليكون مادة صالحة للتطبيق والتنفيذ وتكون وثيقة للأجيال القادمة في المستقبل.

كما يأتي هذا العدد كأول عدد يصدر عبر البوابة الوطنية للمجلات العلمية بالجزائر، لتكون من ضمن المجلات الجزائرية الرائدة التي تسعى دائما لتحقيق الأفضل والأحسن في مجال البحث العلمي والأكاديمي وميدان البحث التاريخي بشكل خاص.

رئيس التحرير

أ/ عبد القادر عزام عوادي

## الفهـــرس

# الأوقاف الإسلاميّة ودورها في الحفاظ على الحياة العلميّة والاجتماعيّة في بيت المقدس

## (من زمن أرتق بن أكسب إلى زمن صلاح الدين الأيوبي)

## هـ 589 هـ - 1086م 1193م 479

# Islamic endowments and their role in preserving scientific and social life in Jerusalem

## (From the time of Artq ibn Aksab to the time of Salah al-Din al-Ayyubi)

**محمود حريري**(*) [1]،

[1] **كليّة العلوم الإسلاميّة في جامعة آرتقلو ماردين – تركيا** ،

mahmud.antep@hotmail.com

**تاريخ الاستلام:** 15 /2021/07 **تاريخ القبول:** 2021/08/26 **تاريخ النشر:** **2021/09/30**

**الملخّص:**

تتناولُ هذه الدراسة الأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس في الفترة الممتدّة من زمن حكم ظهير الدين أرتق بن أكسب إلى زمن حكم السلطان صلاح الدين الأيّوبي، حيث تسلّط الضوء على الدور المحوريّ الذي قامت به هذه المنشآت الوقفيّة في الحفاظ على سير الحياة العلميّة والاجتماعيّة وخاصّة في مدّة الصراع الصليبي الإسلامي الذي كان قائماً على أشدّه آنذاك، وتأتي أهميّة هذه الدراسة من المكانة الإسلاميّة المهمّة لبيت المقدس.

تتضمّن هذه الدراسة مسألتين رئيستين؛ في الأولى قام الباحث بشرح مفهوم الأوقاف الإسلاميّة وعرضِ نشأتها وأنواعِها وأهدافِها، موضّحاً أهميّتها ومجالاتِها العلميّة وشروطِ قيامِها. ثم انتقل في المسألة الثانية إلى الحديث عن دور الأوقاف الإسلاميّة (المساجد، المدارس،

---

(*) **المؤلف المرسل: محمود حريري:** **mahmud.antep@hotmail.com**

الكتاتيب، الزوايا، الخانقاه،...) وتأثيرها الإيجابيّ الكبير في التعليم وفي إحياء الثقافة الإسلاميّة وخاصّةً بعد معركة حطّين وهزيمة الصليبيّين، حيث نشطت الحركة الفكريّة في بيت المقدس بفضل الأوقاف الإسلاميّة والعلماء القائمين عليها؛ فضلاً عن العلماء الذين قدموا من مصر وبلاد الشام ليسهموا من خلال تلك الأوقاف في إعادة الحياة العلميّة لبيت المقدس، وفي نهاية الدراسة توصّل الباحث إلى أنّ الأوقاف الإسلاميّة أسهمت بشكلٍ فعّال في الحفاظ على سير الحياة العلميّة في بيت المقدس، وأوصى بضرورة تفعيل دور الأوقاف الإسلاميّة في وقتنا الحاضر وتوظيفها بالشكل الأمثل في تنشيط الحياة العلميّة والاجتماعيّة لما أثبتته التجارب الواقعيّة في بيت المقدس من فعاليّتها في إحياء التعليم وحمايته.

**الكلمات المفتاحيّة:**
الحياة العلميّة؛ الأوقاف الإسلاميّة؛ بيت المقدس؛ أرتق بن أكسب؛ صلاح الدين الأيوبيّ.

**ABSTRACT**:

This study deals with the Islamic endowments in Jerusalem during the period extending from the reign of Dahir al-Din Artq ibn Aksab to the reign of Sultan Salah al-Din al-Ayyubi. It sheds light on the pivotal role that these endowment institutions played in preserving the progress of scientific life and social life , especially during the period of the Islamic Crusader conflict, which was based on its most intense time at that time. The importance of this study stems from the important Islamic position of Jerusalem.

This study includes two main issues. In the first, the researcher explained the concept of Islamic endowments and presented their origins, types and objectives, explaining their importance, scientific fields and the conditions for their establishment. Then he moved in the second issue to talk about the role of Islamic endowments (mosques, schools, schools, zawiyas...) and their great positive impact on education and in the revival of Islamic culture, Especially after the battle of Hattin and the defeat of the Crusaders, where the intellectual movement in Jerusalem became active thanks to the Islamic endowments and the scholars based on them, in addition to the scholars who came from Egypt and the Levant to contribute through these endowments to the restoration of the scientific life and social life of Jerusalem.

At the end of the study, the researcher concluded that the Islamic endowments have effectively contributed to preserving the progress of scientific life in Jerusalem, and recommended the necessity of activating the role of Islamic endowments in our present time and employing them optimally in revitalizing scientific life and social life, as realistic experiences in Jerusalem have proven their

effectiveness in reviving education And protect it and preserve it.

**Keywords**: Scientific life; The Islamic endowments; Jerusalem; Artq ibn Aksab; Salah al-Din al-Ayyubi.

## 1. مقدّمة:

مارست الأوقاف الاسلامية دوراً مهمّاً وجوهريّاً في الإسلام منذ عهد النبيّ محمد ﷺ وحتّى وقتنا الحاضر، فقد اهتمّت بمختلف مناحي الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والدينيّة فضلاً عن تركيز اهتمامها على الحياة العلميّة وتنميتها وهو ما سنتحدّث عنه في دراستنا هذه، فقد أولت الأوقاف الإسلاميّة جلّ اهتمامها للجانب العلمي حيث قامت بنشر العلم وتطويره، وركّزت على العلوم الشرعية وغيرها من علوم الرياضيات والفلك والطب والهندسة من خلال إنشاء المدارس والمكتبات والزوايا والكتاتيب وغيرها من المنشآت الوقفيّة الّتي أسهمت بشكلٍ كبير بالارتقاء في الحياة العلميّة والفكريّة للأمّة الإسلاميّة. وقد كان للأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس دورٌ بارز في تنشيط الحياة العلميّة وإعادة بعثها وإحيائها ولا سيّما بعد تحريرها من براثن الاحتلال الصليبي الذي قام بتدمير دور العلم وإحراق المكتبات وتهجير العلماء سعياً منه لطمس الهويّة الإسلاميّة لبيت المقدس.

استطاعت القدس عن طريق هذه الأوقاف والعلماء الوافدين إليها الحفاظ على تراثها العلمي والثقافي حيث أقيمت المساجد وبنيت المدارس والمعاهد ودور العلم والمكتبات والزوايا، وأنشئت الأربطة والمستشفيات ودور العبادة، وبقيت هذه الأوقاف سدّاً منيعاً في وجه كلّ معتدٍ غاشم، وتأتي هذه الدراسة لبيان أهميّة الدور الذي قامت به الأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس من زمن حكم ظهير الدين أرتق بيك إلى زمن حكم السلطان صلاح الدين الأيوبيّ، وإبراز دور الوقف الإسلامي في النهضة العلميّة والثقافية والفكريّة آنذاك، واتّبع الباحث في

دراسته المنهج الوصفي التحليلي، وقسّم دراسته إلى ثلاثة مباحث؛ في البحث الأول تحدث عن الأوقاف الإسلاميّة وعرض نشأتها وأنواعها وأهدافها، موضّحاً أهميّتها ومجالاتِها العلميّة وشروطِ قيامِها، وفي البحث الثاني عرض لأبرز الأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس في الفترة الممتدّة بين حكم أرتق بيك وحكم السلطان صلاح الدين الأيّوبي، أما المبحث الثالث فكان لتوضيح دور الأوقاف الإسلاميّة وعلمائها في الحفاظ على الحياة العلميّة والاجتماعيّة في بيت المقدس، وأخيراً أتت الخاتمة لتبيّن ما توصّل إليه الباحث من تقييم وتوصيف دقيق للحياة العلميّة والاجتماعيّة في تلك الفترة.

## 2. الأوقاق الإسلاميّة:

### 2. 1. مفهوم الأوقاف الإسلاميّة:

الوَقْف لغةً: بفتحٍ فسكون: مصدر وقَفَ الشيء وأوقفه، يقال: وقف الشيء وأوقفه وقفاً أي حبسه، ومنه: وقف داره على الفقراء لأنه يحبس الملك عليهم، قال ابن فارس (ت395هـ) : «الواو والقاف والفاء أصل واحد يدل على تمكث في الشيء يقاس عليه»[1]، وهو من وقف يقف وقفاً ووقوفاً خلاف الجلوس، والموقف موضع الوقوف. ووقف بمعنى سكن من السكون وعدم الحركة، وهو فعل لازم أحياناً، ومتعدٍ احياناً أخرى ، ومثال الفعل اللازم : وقفت على المنبر، ومصدره الوقوف ، ومثال الفعل المتعدي: وقفت الدار وقفاً للمساكين بمعنى حبستها في سبيل الله، وشيء موقوف أو وقف تسمية للمصدر، والجمع أوقاف. وأوقف هي لغة تميم، وهي لغة رديئة، وقد أنكرها الأصمعي من علماء اللغة، وقال: الكلام وقفت بغير ألف، وأوقفت عن الأمر بالألف بمعنى أقلعت عنه، وليس في فصيح الكلام (( أوقف )) إلاّ لهذا المعنى، والفصيح بشكل عام هو (( وقف)) بغير ألف[2].

وتعريف الوقف اصطلاحاً مختلف بين الفقهاء فهو عند الأحناف: «حبس المملوك عن التمليك من الغير»[3]. وعند المالكية هو: «إعطاء منفعة شيءٍ مدةَ وجوده، لازماً بقاؤه في ملك معطيها، ولو تقديراً»[4]، وعرّفه الشافعية بأنه: «حبس مالٍ يمكن الانتفاع به مع بقاء

عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح»[5]. وعرّفه الحنابلة بأنه: «تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة»[6]. «اتفق الفقهاء على أن بناء المساجد وإخراج أرضها من ملكية واقفها أصل في وقف الأصل، وحبس أصولها، والتصدق بثمرتها، فيقاس عليه غيره، ويلاحظ أن القليل من أحكام الوقف ثابتة بالسنة، ومعظم أحكامه ثابتة باجتهاد الفقهاء بالاعتماد على الاستحسان والاستصلاح والعرف»[7]

## 2. 2. نشأة الأوقاف الإسلاميّة:

المساجد كانت أول وقف في الإسلام، حيث بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء ثم بنى مسجده صلى الله عليه وسلم، وكان الناس يتسابقون إلى إقامة المساجد والصرف عليها، والتاريخ يسجل لنا عظمة الأموال التي أنفقها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (ت96هـ) على بناء الجامع الأموي بدمشق مما لا يكاد يصدقه الإنسان لكثرتها[8]. وقد ذكر بعض المؤرخين أنّ الأوقاف الإسلاميّة وجدت في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وكانت من الكثرة بحيث عدَّ ابن حوقل ثلاثمائة كتّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية[9]. وقد روي عن أبي القاسم البلخي (319هـ) أنه كان له كتَّاب يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ، وكان مكان كتّابه كبيراً جداً، ولذلك كان أبو القاسم يحتاج إلى أن يركب حماراً ليتردد بين طلابه وليشرف على شؤونهم[10]. ونستطيع القول أنّه منذ القرن الأول الهجري بدأت الأوقاف الإسلاميّة تأخذ أشكالاً أخرى غير شكلها التعليمي، فقد بنى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أوّل بيمارستان (مستشفى) بدمشق سنة 88 للهجرة وسبَّلَه للمرضى. أبدى الوليد اهتماماً خاصّاً بمرضى الجذام، ومَنَعَهُمْ من سؤال الناس، ووقف عليهم بلداً يَدِرُّ عليهم أرزاقاً، كما أمر لكل مُقْعَدٍ خادماً، ولكلِّ ضرير قائداً[11]. ومن أشكال الوقف آنذاك الوقف على سكنى الحجيج، فقد وقف عمر رضي الله عنه داره التي في مكة على الحُجاج، وتصدق عمر بن عبد العزيز رحمه الله بداره على الحجاج والمعتمرين.

## 2. 3. أهميّة الأوقاف الإسلاميّة:

الدين الإسلامي هو دين الإنسانيّة جمعاء، فقد جاءت كلّ أحكامه بما يحقّق العزّة والكرامة للإنسان المسلم وبما يتّسق مع مصالحه الدينيّة والدنيويّة في الوقت نفسه. فرسول الله ﷺ قد حثنا على فعل الخير والتصدّق بالمستطاع قدره في القرآن الكريم بآياتٍ واضحة وفي أحاديث كثيرة تحدثت في هذا الجانب، والوقف الإسلامي أتى لتلبية هذه الدعوات في تحقيق مصالح المجتمع العامة والخاصة. فهو يحقق مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع فيساعد الغني الفقير والعالم المتعلّم ؛ فتنتشر المحبة والاحترام وتنغرس في النفوس سمات التعاون لفعل الخير. ولا أحد ينكر بأنّ كثيراً من مظاهر الحضارة الإسلامية قامت بسبب هذه الأوقاف في الجانب الصحي والعلمي والزراعي والاقتصادي، فالوقف الإسلامي يرفع المجتمع من هاوية السقوط ويرتقي به بروح المحبّة والتعاون والإيثار. فالنظام الذي يقوم عليه الوقف الإسلاميّ يعتبر من منابع حيوية المجتمع الإسلامي وفاعليته، وهو تعبير حقيقي عن القيم والمبادئ التي يتبنّاها الإسلام، وهو ترسيخٌ لمفهوم الصدقة الجارية التي يستمرّ نفعها إلى أجلٍ غير مسمّى. ونستطيع القول إنّ الأوقاف الإسلاميّة تزيد من اللُحمة والانصهار بشؤون المسلمين عامّة، وتجعلهم يشعرون بهموم بعضهم البعض ويتحرّكون دائماً للمساعدة فيحقّقون بذلك مبدأ التكافل الاجتماعي الّذي علّمنا إيّاه سيّد الخلق محمّد ﷺ في معاملاته وتصرّفاته مع من حوله.

## 2. 4. شروط قيام الأوقاف الإسلاميّة:

يجب أن يكون الواقف بالغاً عاقلاً فلا يصح وقف المجنون أو المعتوه أو الصغير الذي لا يميّز بعقله.

يجب أن يكون الوقف أخرج من مال متقوّم، معلوم، مملوكٍ للواقف.

أن يكون الوقف عيناً معلومة يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها.

أن يكون الوقف على بر كالمساجد، والقناطر، والأقارب، والفقراء.

أن يكون الوقف معلوماً نافياً للجهالة المؤدّية إلى نزاع ويكون ذلك بالإشهار أمام جميع الناس الموجودين.

أن يكون الوقف ملكاً تامّاً للواقف لكي يستطيع الواقف حبس الرقبة وتمليك المنفعة للموقوف عليهم.[12]

## 2. 5. أنواع الأوقاف الإسلاميّة:

ينقسم الوقف من حيث الغرض منه إلى وقف أهلي ووقف خيري:

الوقف الأهلي: وهو أن يجعل استحقاق الريع للواقف نفسه أو لغيره من الأشخاص المعيّنين بالذات أو الوصف سواء أكانوا من أقاربه أو غيرهم ثم لجهة خيريّة لا تنقطع، وهذا الوقف له سند كما ذكرنا من وقف الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ومنها وقف الخليفة عمر بن الخطاب ووقف الزبير بن العوام رضي الله عنهم ، فالزبير رضي الله عنه جعل دوره على أبنائه لا تباع ولا تورث ولا توهب.

الوقف الخيري: وهو الذي يقصد به الواقف التصدق على وجوه البر العامة، كالمدارس والمساجد والمستشفيات والآبار وغيرها مما يؤدي الى تحقيق النفع العام. [13]

## 2. 6. المجالات العلميّة للأوقاف الإسلاميّة:

يقوم التعليم في عصور الإسلام الأولى على الوقف، وذلك عبر إنشاء المدارس وحلق العلم والكتاتيب والمكتبات كما كان للوقف دوره البارز في القيام بواجب العلماء وسدّ احتياجاتهم، وأثره البالغ في تحقيق النهضة العلمية التي قامت في التاريخ الإسلامي على مرّ القرون الماضية. وقد اهتمّت الأوقاف الإسلاميّة بمختلف العلوم لكنّها أعطت الأولويّة للعلوم الدينيّة من فقه وحديث وتفسير وعلم القراءات وعلوم اللغة العربيّة بمختلف آدابها، كما كان لعلم التاريخ نصيب وافر من الدراسة. ومن العلوم التي درّست في الأوقاف الإسلاميّة: العلوم الرياضيّة، فها هو أحمد بن محمد القرافي المعروف بابن الهائم شيخ الرياضيين في بيت المقدس (ت815هـ)، يصنّف لنا الكثير من الكتب الرياضيّة كـ(المبدع في الحساب، الوسيلة، نزهة الحساب...).[14]

## 2. 7. أهداف الأوقاف الإسلاميّة:

النواحي الدينية والعبادية: وتتمثل ببناء المساجد ودور العبادة، فالمساجد هي وقف لله تعالى، وهناك أوقاف كثيرة وقفت على المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى والمسجد الاموي وغيرها، ولا تزال قائمة لحد الان ولها دور مهم في نشر قيم الإسلام وفضائله، وبناء الشخصية المسلمة التي تنهض بالمجتمع

النواحي التعليمية والثقافية: توجد آلاف المدارس في العالم الاسلامي قد وقفت لتعليم العلوم الشرعية والعلوم الأخرى، وتركز على الجوانب الاخلاقية والسلوكية، كما يوجد دور للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تركّز على حفظ القرآن الكريم وأحكام التجويد وحفظ الحديث النبوي الشريف وإحياء السنة النبوية المطهرة.

النواحي الاجتماعية: وتتمثل بتقديم المساعدات للفقراء والمساكين والمحتاجين نقداً أوعيناً ،كما تتمثل برعاية الأيتام وإقامة بيوت ومدارس خاصة بهم.

النواحي العسكرية والجهادية: يوجد وقفيات كثيرة تخصص جزء من ريعها للمجاهدين وشراء الأسلحة والعتاد ومفاداة الأسرى وتخليصهم من أيدي الأعداء. حتى أننا وجدنا أوقافاً كثيرة في بيت المقدس أوقفها القائد صلاح الدين الأيوبي تنص على هذه الفقرة.

وقف خيري لإطعام الطيور والحيوانات: لم تقتصر الأوقاف على العناية بالإنسان فحسب بل شملت الطيور والحيوانات بشراء الحبوب والأرز لها فيجوز الوقف على طيور الحمام في مكة المكرمة، وألحق به طيور الحمام في المدينة المنورة على اعتبار انَ كلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة تمثل حرماً لا قتال فيه ولا صيد، فيكون وجود الحمام قائماً وثابتاً الى يوم الدين.[15]

### 3. أبرز الأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس في الفترة الممتدّة بين حكم أرتق بيك وحكم السلطان صلاح الدين الأيّوبي (479هـ 589هـ ـ 1086م 1193م):

**الجامع الأقصى:** يعود بناء الجامع الأقصى إلى العصور الإسلامية الباكرة، وجدد بناؤه في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (66هـ) والذي استمرّت خلافته نحو واحدٍ وعشرين عاماً، وحافظ عليه المسلمون كجامعٍ طيلة عهودهم وإن لحقه الخراب أحياناً إلا أنه كان يجدّد

أو يرمم باستمرار، فعندما حرر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (ت589هـ/1193) القدس عمل على إعادة إعماره ورصفه بالفسيفساء وترقيمه وتخشيب قبته وتجديد محرابه،[16] وكان الجامع الأقصى من أبرز المعاهد العلمية في عصر الأُرتُقيين، وكان مركزًا حيوياً للحياة العلمية المتميزة، حيث يصوّره لنا الإمام ابن العربي في رحلته إلى هناك والتي أرّخها سنة 485 هـ،[17] فقال: "ودخلتُ بَيت لحم سنة خمس وثمانين وأربع مئة، فرأيت في مُتعبَّدَهم غاراً عليه جِذعٌ يابِس، كان رهبانهم يذكرون أنه جِذعُ مريم بإجماع"[18]، وذكر أنه بقي في بيت المقدس أكثر من ثلاثة أعوام،[19] ثم ذكر لنا ابن العربي (ت 543 هـ) حضوره في المسجد الأقصى ولِقاءه لجماعة من العلماء هناك، فيقول: " ورد علينا بالمسجد الأقصى سنة سبع وثمانين وأربع مئة فقيهٌ من عظماء أصحاب أبي حنيفة يعرف بالزَّوزَني زائراً للخليل صلوات الله عليه فحضرنا في حرم الصخرة المقدسة طهرها الله معه، وشهد علماءُ البلد، فسئل على العادة عن قتل المسلم بالكافر"[20].

**قبة الصخرة المشرفة:** بناها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت86هـ) بعد أن استشار المسلمين، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين، ولقد استمرت مدة البناء من (68هـ – 72هـ). وفي عهد ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك والذي حكم نحو عشر سنوات، انهدم شرقي المسجد ولم يكن في بيت المال حاصل فأمر بسك النقود وإنفاقها على ما انهدم منه، وقد حوله الإفرنج عند احتلالهم القدس سنة (492هـ) إلى كنيسة.[21] وبعد احتلال الصليبيين للمدينة وتغييرهم لمعالمها الإسلامية، وفّق الله سبحانه وتعالى السلطان صلاح الدين لفتحها، ثم بدأ بإعادة الإعمار في المدينة المقدسة، فأمر بإصلاح المساجد والمدارس ، وترميم قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وترميم محراب المسجد الأقصى، وعيّن خطيباً وإماماً للمسجد.[22]

**المدرسة الصلاحيّة:** بباب الأسباط، أنشأها السلطان صلاح الدين عام 583هـ/ 1187م، ووقفها عام 588هـ/ 1192م،[23] في الكنيسة المعروفة بكنيسة صند حنة (القديسة حنّة)، وكرسها لتدريس الفقه الشافعي، وأوقف عليها سوق العطارين[24]. " فاوض السلطان صلاح

الدين جلساءه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار في مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية، فعَيَّن للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنّة، عند باب أسباط، وعين دار البطرك – وهي بقرب كنيسة قُمامة –للرباط ووقف عليهما وقوفاً"[25]. هذه المدرسة هي نفسها المدرسة التي كانت تُعرف في العهد الأُرثُقي بالناصرية نسبة لنصر بن ابراهيم المقدسي، وقد أشار إلى ذلك ابن واصل الحموي، فقال: " وهذه المدرسة كانت قبل الإسلام تعرف بصَنْد حَنّة، يذكرون أن فيها قبر حنة أم مريم عليها السلام، ثم صارت في الإسلام دار علم قبل أن يملك الفرنج القدس، وكان يُدرِّس بها العَلَم الفقيه نصر بن إبراهيم المقدسي قبيل أخذ الفرنج للقدس، ثم لما ملك الفرنج القدس سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة أعادوها كنيسةً كما كانت قبل الإسلام، فلما فتح السلطان القدس أعادها مدرسةً، ووقف عليها وقوفاً جليلةً، وفوَّض تدريسها ووقفها إلى القاضى بهاء الدين بن شداد".[26]

يتحدّث مجير الدين العليمي عن أوقاف هذه المدرسة فيقول: "وزاد– وهنا يقصد السلطان صلاح الدين– في أوقاف المدرسة الصلاحية والخانقاه، وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاستبارية بيمارستاناً للمرضى، وقف عليه مواضع، ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير، وفَوَّض النظر والقضاء في هذا الوقف إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المشهور بابن شَدّاد لعلمه بكفاءته".[27] يذكر أيضاً مجير الدين "إن الحمام الذي بباب الأسباط بالقدس الشريف، بجوار المدرسة الصلاحية وهو من جملة الأوقاف عليها من الملك صلاح الدين".[28]

أمّا ابن كثير (ت774هـ)، فقد ذكر أن أول من دَرَّس بالمدرسة الصلاحية الشيخ مجد الدين طاهر بن نصر الله بن جَهْبَل الحَلَبيّ الفقيه الشافعي، المتوفى سنة 596 هـ،[29] ومن العلماء المشهورين الذين درَّسوا في هذه المدرسة أيضاً :الإمام مفتي الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشَّهرُزُوري الشافعي، المشهور بابن الصلاح، المتوفى سنة 643 هـ، وكان قد درَّس بالقدس بالمدرسة الصلاحية، فلما خرّب المعظَّم أسوار القدس

قدم دمشق.[30] درّس فيها كذلك الإمام العلامة الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كَيْكَلْدي العلائي الدمشقي ثم المقدسي الشافعي، المتوفى سنة 761 هـ بالقدس.[31]
كانت هذه المدرسة تتمتع بمكانة عظيمة بوصفها مقرّ المذهب الفقهي السائد آنذاك، وذلك بعد شرائها من أصحابها، فيما يذكر البعض أنها أقيمت في مكان دير للراهبات، حيث فوض السلطان التدريس فيها إلى القاضي بهاء الدين بن شداد، وضربها عام 1237هـ/ 1821م زلزال فخربها، ثم أعطاها العثمانيون إلى الفرنسيين عام 1273هـ/ 1856م لوقوفهم إلى جانبهم في حرب القرم فأعادها الفرنسيون مدرسة وكنيسة، وفي عام 1915م استردها العثمانيون وجعلوها كلية لتدريس العلوم الدينية عرفت باسم كلية صلاح الدين الأيوبي. وظلت كذلك حتى عام 1917 حين احتلّ الانجليز البلاد فأعادوها إلى الآباء الكاثوليك الذين أقاموا بها مدرسة تضم اليوم مدرسة ومكتبة ومتحفاً وكنيسة.[32] وعلى الرغم من ذلك لا يزال نص الوقفية الصلاحية منقوشاً على بابها الرئيسي بخط النسخ الأيوبي، وفيه هذا النص: (بسم الله الرحمن الرحيم وما بكم من نعمة فمن الله، هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين، أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي محيي الدولة، أمير المؤمنين، أعزه الله وأنصارَه، وجمع له بين الدنيا والآخرة، على الفقهاء من أصحاب الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه، سنة ثمان وثمانين وخمس مئة...).[33]

**المدرسة الأفضليّة:** تقع جنوب غرب المسجد الأقصى عند حارة المغاربة، وكانت قديماً تعرف باسم"القبة". سنة (589هـ/ 1193م ) بناها الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين ووقفها على فقراء المالكية الذين قدموا إلى بيت المقدس.[34]

المدرسة الختنيّة: تقع بجوار المسجد الأقصى من جهة الجنوب، خلف المنبر، أوقفها الملك الناصر صلاح الدين (587هـ/ 1191م) على التقي جلال الدين الشاشي، وعلى من

يقتدي به من الصالحين بعده. وصار فيها زاوية ومسجد، وقد استخدم مقرّها لاحقاً لخدمة المسجد (حفظ القناديل وتنظيمها). جعل السلطان صلاح الدين هذه الزاوية وقفاً على الشيخ جلال الدين أحمد بن محمد الشاشي وهو رجل من أهل الصلاح والتقوى ليجلس فيها للتعبد مع أتباعه ومريديه فضلاً عن إلقاء دروس العلم.[35]

**المدرسة الميمونية:** تقع قرب باب الساهرة، على بعد نحو 200م من السور داخل المدينة، مبناها بالأصل كنيسة تعود إلى العهد الروماني باسم دير المجدلية. عام (593هـ/ 1197م) أوقفها الأمير فارس الدين ميمون الخازندار في زمن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي. ابتدأت كزاوية وصارت مدرسة للشافعية، واستمرت بتأدية مهمتها حتى القرن 12هـ/18م. وقد كانت من أوقاف آل العسلي حتى أواخر القرن التاسع عشر، واتخذها الأتراك مدرسة وسموها "قدس شريف ". وفي العهد البريطاني الغاشم حوّلت إلى مدرسة للبنات تابعة لمصلحة المعارف العامة.[36]

**الخانقاه الصلاحية**: الخانقاه: ويقال لها "الخانكاه" أيضاً، وتجمع على خوانق وخوانك، وهي كلمة فارسية الأصل معناها: البيت، وقيل أصلها خونقاه، أي الموقع الذي يأكل فيه الملك[37]. احتوت الخوانق على غرف عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، كانت تؤدى فيها الصلوات، وتقام فيها الأوراد والأذكار، وكان يعقد فيها دروساً في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث، وكانت تشتمل على خزائن للكتب والمصاحف القرآنية، وبعض الخوانق كانت توفر حاجات الطلاب: من المأكل والمشرب، والأدوية، والاحتياجات الأخرى[38]، ومن الواضح من ذلك أن مثل هذه الخوانق كانت بمثابة مراكز علم وعبادة، وكان لها دور ديني واجتماعي كغيرها من المؤسسات الدينية، والخانقاه الصلاحية: أنشأها الملك الناصر صلاح الدين بعد تحرير بيت المقدس سنة 583هـ/1187م، للصلحاء الصوفية، ووقف عليهما أوقافاً حسنة، منها: دار البطرك القريبة من كنيسة القيامة[39]، وحمام البطرك، وأرض تعرف بالبقعة، بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى جهة الجنوب، مزروع بها كروم من

أنواع الفواكه، من العنب والتين والتفاح[40]، وهي أقدم خوانق القدس، كانت تقع غربي المسجد الأقصى.[41]

حرص شيوخ هذه الخانقاه على العناية بأوقافها، وعملوا على زيادة وتنمية واستثمار وقفها عبر الزمن، فنجد أن شيخ الخانقاه الصلاحية في العهد المملوكي شرف الدين أبو الروح عيسى بن شيخ الشيوخ جمال الدين أبي الجود غانم الأنصاري الخزرجي الشافعي قاضي القدس الشريف (ت797هـ)" هو الذي حكر أرض البقعة ظاهر القدس الشريف الجارية في وقف الخانقاه في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وصارت كروما وزاد بذلك ريعها لجهة الوقف ورغب الناس فيها وكثر الانتفاع بها"[42]. وكان من ضمن مشتريات وقف الخانقاه، الخبز الذي كان يتم توزيعه على مشايخها بعد انتهاء الدروس[43]. ومن أبرز العلماء الذين تولوا الخانقاه الصلاحية في عهد صلاح الدين قاضي القضاة صدر الدين أبو اسحاق إبراهيم ابن عم الشَّهرُزُوري الشافعي (ت790هـ)، وهو المثبت لكتاب وقف الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف حين مباشرته الحكم نيابة عن قاضي القضاة بهاء الدين بن شداد في يوم الأحد سابع عشري رمضان سنة تسعين وخمس مئة.[44]

**الوقف على الكتب والمكتبات:** تعد دور الكتب أو خزائن الكتب من أقدم أنواع وقف المكتبات، وقد كان لها دور مهمّ في الحياة العلمية في بيت المقدس، وكان لها أكبر الأثر في تطوير النواحي الدينية والعلمية في تلك الفترة، وزادت من شحذ الهمم العلمية والدينية بين كافة طبقات المجتمع. وكان الاهتمام بمكتبات المساجد هي خطوة بدأ بها السلطان صلاح الدين عندما فتح القدس فقد حمل إلى قبة الصخرة وإلى "محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات، وربعات معظمات، لا تزال بين أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعة، وعلى أسرتها موضوعة"[45]، ولا تزال نسخ القرآن الكريم التي أودعها صلاح الدين في المسجد الأقصى تشهد على ما تحتويه خزانة المسجد الأقصى من الكتب، ومن بينها المصاحف.

## 4. دور الأوقاف الإسلاميّة وعلمائها في الحفاظ على الحياة العلميّة والاجتماعيّة في بيت المقدس (479هـ 1086م ـ 589 هـ 1193م):

خلال حكم الأتراك السلاجقة شهد بيت المقدس إحياءً علميّاً عظيماً في فترة حكم ظهير الدين أرتق بيك، وخاصةً في الفقه الشافعي والفقه الحنفي. وكان المسجد الأقصى من أهم مراكز العلم آنذاك حيث درّست فيه العلوم الإسلاميّة (علم الفقه، علم الحديث، علم الكلام، تفسير القرآن...)، وأصبح بيت المقدس يعجّ بالعلماء والفقهاء من مختلف أصقاع البلاد الإسلامية.[46] ويخبرنا ابن العربي عن تلك الفترة بقوله: " وردتُ البيت المقدس، طهَّره الله، فألفَيت فيه ثماني وعشرين حلقةً ومدرستين ".[47]

كان هناك في تلك الفترة مدرستان، احداهما شافعيّة يرأسها الشيخ علي بن يحيى المعروف بابن الصائغ (ت532هـ)، يجتمع فيها معظم علماء الشافعيّة للدروس والمناظرات الدينيّة، والأخرى هي المدرسة الحنفيّة (مدرسة أبي عقبة) ويرأسها القاضي الريحانيّ، وقد نافست هاتان المدرستان المسجد الأقصى في المجال العلمي والتعليمي والفكريّ.[48]

من الأوقاف الإسلاميّة التي كان لها دور علمي كبير في بيت المقدس في تلك الفترة، موضع يقال له (الغوير) يقع بين باب الأسباط ومحراب زكريّا وكان يقيم فيه العالم أبو بكر محمد الطرطوشي سنة (476هـ ـ 520هـ) وتعقد فيه الدروس والمناظرات بحضور كبير من علماء بيت المقدس والعلماء الوافدين.[49] ويحدّثنا الإمام أبو بكر بن العربي (ت542هـ) فيقول: " مشيتُ إلى شيخنا أبي بكر الفِهْرِي رحمة الله عليه، وكان ملتزماً من المسجد الأقصى – طَهّرهُ اللهُ – بموضع يقال له: الغُوير، بين باب الأسباط ومحراب زكريا عليه السلام، فلم نَلقَهُ به، واقتفَينا أثَره إلى موضع منه يقال له :السكينة، فألفيناه بها، فشاهدت هديَه، وسمعتُ كلامه، فامتلأت عيني وأذني منه، وأعلمَه أبي بنيّتي فأنابَ، وطالعه بعزيمتي فأجاب، وانفتح لي به إلى العلم كل بابٍ، ونفعني الله به في العلم والعمل، ويسّر لي على يديه أعظمَ أمل، فاتخذت بيت المقدس مَباءة، والتزمتُ فيه القراءة".[50] ولم يقتصر عمل الشيخ الطرطوشي على التدريس

والوعظ فحسب بل كانت له تصانيف كثيرة مثل (بر الوالدين)، (الفتن)، (الحوادث والبدع)، (الزهد والتصوّف)...[51]

يذكر ابن العربي أيضاً من العلماء في بيت المقدس :الإمام أبا الفضل عطاء المقدسي، ووصفه بأنه فقيه الشافعية وإمامهم هناك،[52] وذكر له مناظرات في المسجدِ الأقصى، منها مناظرته مع الزوزني ، ومناظرة له مع شيخه أبي بكر محمد بن الوليد الفِهْرِي الطُّرْطُوشي شيخ المالكية.[53] ومن أبرز العلماء الذين ظهروا ببيت المقدس في تلك الحقبة أيضاً :الإمام أبو الخير سَلامة بن إسماعيل بن جماعة المقدسي، (ت480هـ)، وكان أحد علماء الفقه، وله مصنفات نافعة، منها: الوسائل في فروق المسائل، وأحكام التقاء الخِتانَين.[54] وكان أيضاً الفقيه أبو الحسن كامل بن ديسم بن مجاهد النصري العسقلاني، قتلته الفرنج يوم دخلوا ببيت المقدس وهو يصلي وكان دخولهم بيت المقدس في شعبان سنة 492 هـ.[55] ومن العلماء الكبار الذين أسهموا في الحياة الفكريّة أيضاً العالم الجليل عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي أبو القاسم الزاهد، يقول تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت772هـ) في هذا الصدد: " وقد سماه شيخنا الذهبي عبد الجليل ..انتقل إلى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع إلى الله إلى أن استشهد على يد الفرنج خذلهم الله سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة".[56]

من علماء خراسان الذين قدموا لبيت المقدس ودرّسوا في المسجد الاقصى المحدّث الإمام الحافظ ابو القاسم سعد بن علي الزنجاني، وكان حافظا متقنا كثير العباده، وأيضاً الإمام الزوزني وهو عالم أدبي قدم بيت المقدس أواخر القرن الخامس الهجري (480هـ). وشارك في الحياة العلمية ودرس في المسجد الاقصى. له (ترجمان القرآن)، (شرح المعلقات العشر)، (كتاب المصادر)...[57] ومن علماء دمشق العالم طاهر بن بركات أبو الفضل الدمشقي المعروف بالخشوعيّ من رجال الحديث، وقد حدّث ببيت المقدس سنة (466هـ ـ 482هـ)، وسمع منه الفقيه المقدسي والرميليّ. وكان من أبرز العلماء الوافدين لبيت المقدس في تلك الفترة شيخ الإسلام الإمام محمد الشيرازي الفقيه الحنبليّ، وقد كان وافر العلم، متين الدين،

إماماً عارفاً بالفقه والاصول. قدم الشام وسكن بيت المقدس ونشر فيه مذهب الإمام أحمد. وقد أسهم بشكل كبير في تفعيل الحياة العلميّة والحركة الفكرية في بيت المقدس من خلال أتباعه وتلاميذه.[58]

من كبار العلماء الذين وفدوا لبيت المقدس الامام الغزالي الملقب بحجّة الاسلام والذي اعتكف بوقف المدرسة الناصرية وشرع بالتأليف وأعمال العباد سنة (488هـ)، حيث طلب المقدسيّون من الإمام الغزالي أن يكتب لهم شرحاً مبسّطاً عن العقيدة الإسلامية، فكتب (الرسالة القدسيّة) في كتاب (قواعد العقائد)،[59] ومن العلماء الذين استحضرهم السلطان صلاح الدين لبيت المقدس أيضاً: قاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الأسدي الموصلي (ت632هـ). أتى به السلطان صلاح الدين، وأكرمه، وسأله عن جُزءِ حَديثٍ ليسمع منه، فأخرج له جزءاً فيه أذكار من البخاري، فقرأه عليه بنفسه، ثم جمع كتاباً مجلداً في فضائل الجهاد، وقَدّمه للسلطان، ولازمه فولّاه قضاء العسكر المنصور وقضاء القدس، وصنف المصنفات المفيدة، الأقضية، ككتاب المنجز الباهر في الفقه، وكتاب دلائل الأحكام، وكتاب سيرة صلاح الدين، فجَوَّدَها،[60] ومنهم أيضاً :محمد بن إسماعيل بن حمدان، أبو بكر الحيزاني (ت615هـ)، ولي قضاء القدس بعد فتحها، ثم عاد إلى الجزيرة وصار محتسبهَا.[61]

تعرّضت الحياة العلمية والحركة الفكرية في بيت المقدس لضربة قاسية وأصيبت بنكسة خطيرة أدّت لضعفها وتراجعها بشكلٍ كبير سنة (492هـ)، وذلك بسبب الجرائم والمجازر الوحشية وأساليب الاضطهاد القمعيّة التي ارتكبها ومارسها الصليبيّون ضد المسلمين وأدّت الى مقتل عدد كبير من العلماء والفقهاء.

أمام هذا الواقع المتردّي الذي فرضه الصليبيون في فلسطين عامّة وبيت المقدس خاصّة، لم يكن متوقعاً أن يبقى أي نوع من أنواع النشاط العلمي، فالصليبيّون لم يكتفوا بارتكاب المجازر والقتل ضد المسلمين وتشريدهم وإخراجهم من بيوتهم، بل قاموا بإحراق كل ما في بيت

المقدس من مصاحف وكتب ومكتبات. وبالرغم من السيطرة الصليبية على بيت المقدس فقد قدم إليها بعض الاعلام و العلماء الذين أسهموا في الحفاظ على الحياة العلميّة والفكريّة، ومنهم الأمير الشاعر ابن المنقذ حيث استطاع بحكمته وذكائه أن يجمع بين العلم والعمل، وكان هناك أيضا العالم الفقيه أبو المظفّر السمعاني والعالم أبوبكر الجرجاني والعالم ابن جبير الأندلسي وغيرهم كثير من العلماء قدموا لبيت المقدس وأقاموا في الاوقاف الإسلاميّة هناك في محاولة منهم لبعث الحياة العلميّة في بيت المقدس من جديد.[62]

بعد الفتح العظيم الذي حقّقه السلطان صلاح الدين عادت الحياة العلميّة ونشطت الحياه الفكرية وقدم لبيت المقدس عدد كبير من العلماء من مصر والشام أسهموا في إحياء وبعد النشاط الفكري. وكان إنشاء المدارس الوقفية من بين أهم عوامل ازدهار الحياة العلمية والحركة الفكرية في بيت المقدس، وقد مهدت هذه المدارس الطريق أمام طلاب العلم لينهلوا من معين العلوم الشرعية والعربية وغيرها بأيسر جهد، وأقصر وقت وأقل التكاليف، وأصبح طالب العلم غير محتاج إلى أن ينتقل من بلد إلى آخر يبحث عن المدرسين بل صار المدرسون هم الذين يأتون إليه في الأوقاف. وقد جعلت هذه المدارس من عهد السلطان صلاح الدين عهداً مشرقاً في بلاد الشام، إذ أصبح بيت المقدس محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية، لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية والرعاية.[63]

كان على المدرّس في تلك الأوقاف أن يتصف بخصائص تجعله قادراً على القيام بمهمة التدريس، ومنها: أن يكون ذا فضل وديانة وعقل وجلالة وعدالة، وأن يتصف بسعة العلم والتضلع في الفنون، والأخذ من كل منها بحظ وافر، وطول الباع في البحث والمناظرة، وعدم الجدال في الباطل، وتربية الطلبة، وتأديبهم والتقريب على من عسُر على فهمه شيء من المسائل. قد تنوّعت طرق التحصيل العلمي ووسائله في الأوقاف الإسلاميّة بين التلقين والحفظ ، والسماع والإملاء، والمناقشة والمناظرة وغيرها، إلا أنّ طريقة التلقين والحفظ والرواية كانت أكثر شيوعاً من غيرها، وخاصة في العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية.[64]

## 5. خاتمة (نتائج وتوصيات):

بعد عرضنا المفصّل لأهميّة الأوقاف الإسلاميّة وبياننا لمفهومها ونشأتها وأنواعِها وأهدافِها ومجالاتِها العلميّة، والحديث عن أهم الأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس من زمن حكم ظهير الدين أرتق بيك إلى زمن حكم السلطان صلاح الديت الأيّوبيّ، والدور المحوريّ الذي قامت به هذه الاوقاف للحفاظ على الحياة العلميّة والاجتماعية رغم مرورها بمحنة الاحتلال الصليبيّ خلال تلك الفترة، فقد توصّل الباحث إلى النتائج التالية:

المسلمون منذ عهد النبي محمد ﷺ وحتّى عصرنا الحالي اهتمّوا بالحياة العلمية والفكرية والاجتماعيّة؛ وكلّ ذلك كان من خلال بوّابة الأوقاف الإسلامية، ورغم تلك الصراعات التي كابدتها مناطق بلاد الشام إلّا أنّهم استطاعوا النهوض بالحياة العلميّة والاجتماعيّة وخاصّةً في بيت المقدس في فترة الصراع الصليبي الإسلاميّ.

أسهمت الأوقاف الإسلاميّة بتحقيق نهضة علميّة واجتماعية كبيرة في بيت المقدس ممّا جعلها قبلةً للعلم والمتعلمين في عهد أرتق بيك وعهد السلطان صلاح الدين الأيوبيّ، من حيث إقامة المدارس العلمية وحضور العلماء، المقدسيين منهم، والوافدين الزائرين وغيرهم الكثير.

كان للمساجد والمدارس والمكتبات الوقفيّة دور بارز في التنمية العلمية والفكرية لما قدّمته من علوم متنوّعة في الحلقات العلمية والمناظرات التي أقيمت بها.

كان للأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس دور هام في بروز علماء كبار قادوا الامة الإسلاميّة في مختلف الميادين الفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة.

لعبت الأوقاف الإسلاميّة في بيت المقدس خاصّة وفلسطين عامّةً دوراً جوهريّاً في التواصل الفكري والعلمي والاجتماعي بين كل دول العالم الاسلامي، بسبب ذهاب كثير من العلماء إلى الغرب، ومجيء كثير من العلماء في الغرب إلى بيت المقدس.

من خلال عرضنا لأهمّ النتائج التي توصّلنا إليها نوصي بما يلي:

يجب علينا استثمار الأوقاف الإسلاميّة بالشكل الأمثل وإعطائها الحيّز الذي تستحق في الجانب العلمي والاجتماعي؛ ونشر العلوم والمعارف والثقافة الاسلامية.

تفعيل دور الاوقاف الإسلاميّة على كافّة الأصعدة العلميّة والفكريّة والاجتماعية والسياسيّة؛ لما أثبتته التجارب الواقعيّة في بيت المقدس وغيرها من البلدان من فعاليّة هذه الأوقاف في تطوير مختلف مناحي الحياة.

تضافر الجهود في مختلف الدول العربيّة لإيقاف الهجمة الشرسة على هذه الأوقاف والتي تسعى للنيل من الإسلام والمسلمين.

العمل على عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية والتي من شأنها إبراز الدور المحوري للأوقاف الإسلاميّة في خدمة الدين عامّةً والعلوم الشرعيّة على وجه الخصوص؛ وبيان أهميّتها في تطوير الحياة العلميّة للأمّة الإسلاميّة.

العمل على زيادة أعداد المساجد والمكتبات الوقفيّة والمراكز الإسلامية في البلاد الإسلامية وغير الإسلاميّة، لما لها من أهميّة في الحفاظ على الهويّة الإسلاميّة والثقافيّة للمسلمين في مختلف أصقاع الأرض.

## 6. الهوامش:

[1] أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (ت395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 135/6.

[2] الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (666 هـ)، **مختار الصحاح**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1387هـ - 1967م ص 733.

[3] السرخسيّ، محمد بن أحمد، **المبسوط**، ، دار المعرفة ، بيروت، 1986، 27/2.

[4] الخرشي، ابو عبدالله محمد المالكي، **شرح منح الجليل على مختصر العلّامة خليل**، دار صادر، بيروت ، 34/4.

[5] الخطيب، شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني ( 977 هـ)، **مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج**، دار احياء التراث العربي، بيروت، 376/2.

[6] المقدسيّ، موفق الدين ابو محمد عبدالله بن قدامة ( 670 هـ)، **المغني**، دار الفكر، بيروت 1414هـ-1994م، 597/5.

[7] أبو غدّة، عبد الستار، شحاتة، حسين، **الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف**، الكويت، الأمانة العامّة للأوقاف، ط2، 2014م، ص56.

[8] السباعي، مصطفى ، **من روائع حضارتنا**، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 1998م، ص128.

[9] الحمويّ، ياقوت، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، 1977م، ج3، ص417 – 418.

[10] ينظر: مصدر سابق، **معجم البلدان**، ج1، ص479 -480

[11] ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري الملقب بعز الدين(ت 630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج4، ص292.

[12] الخصّاف، ابو بكر احمد بن عمرو الشيباني ، **أحكام الاوقاف** ، ط ١، مطبعة ديوان الاوقاف المصرية، ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ، ص 293.

[13] ينظر: مصدر سابق، الأحكام الفقهيّة، ص57.

[14] ينظر:عبد المهدي، عبد الجليل حسن، **الحركة الفكريّة في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبيّ والمملوكيّ**، ط1، مكتبة الأقصى، عمان، 1980م، ص 116-117.

[15] ينظر: عكرمة، سعيد صبري، **الوقف الإسلامي بين النظريّة والتطبيق**، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط2، 2011م، ص81 ـ 85.

[16] العليمي، مجير الدين الحنبلي، (ت927هـ/1520م): **"الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل"**، جزءان، الجزء الأول تحقيق عدنان يونس أبو تبانة، والجزء الثاني تحقيق محمود الكعابنة، ط1، مكتبة دنيس، عمان، 1420هـ/1999م، ج1، ص280 ــ 283.

[17] ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المَعافري( ت 543 هـ) ، **أحكام القرآن**، تحقيق :محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1424هـ، ج1، ص90.

[18] المصدر السابق، ج3، ص250.

[19] ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المَعافري( ت 543 هـ) ، **قانون التَّأويْل**، تحقيق :محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، ط1، 1406 هـ، ص433.

[20] مصدر سابق، ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج1 ، ص9

[21] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، ج1، ص339.

[22] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، ج1، ص465.

[23] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، جـ2 ، ص41.

[24] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، جـ2 ، ص50.

[25] الكاتب، عماد الدين، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن حامد، الكاتب الأصبهاني ( ت 597 هـ) ، **حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس (الفتح القسي في الفتح القدسي)**، دار المنار، ط1 ، 1425 ه، ص82.

[26] ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي،( ت 697 ه)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: د. الشيّال، جمال الدين، وغيره، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1377 هـ ، ج2 ، ص 407.

[27] مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، ج1، ص538.

[28] مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، ج1، ص246.

[29] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي( ت 774 هـ) ، **طبقات الشافعيين**، تحقيق :د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413 ه، ص745 .

[30] مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، ج2، ص181.

[31] الحسيني، شمس الدين، أبو المحاسن، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الدمشقي،( ت 765 هـ) ، **ذيول العبر للذهبي**، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، د.ت، ج6 ، ص33.

[32] ينظر: العارف، عارف، **المفصّل في تاريخ القدس**، الجزء الأوّل، مطبعة المعارف، القدس، ط5، 1999م، ص236.

[33] أحمد، رويدة فضل ، **المدرسة الصلاحية في القدس**، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير، فلسطين، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 2015 م، ص19 .

[34] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج2، ص46.

[35] ينظر: مصدر سابق، عارف العارف، المفصّل في تاريخ القدس، ص236.

[36] ينظر: مصدر سابق، عارف العارف، المفصّل في تاريخ القدس، ص239.

[37] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العبّاس تقيّ الدين المقريزي (ت 845 هـ)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1418ه، جـ2، ص 414.

[38] ينظر:عبد المهدي، عبد الجليل حسن، **الحركة الفكريّة في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبيّ والمملوكيّ**، ط1، مكتبة الأقصى، عمان، 1980م، ص 78.

[39] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الأنس**، جـ2 ، ص 59.

[40] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج2، ص 59.

[41] العسلي، كامل جميل، **معاهد العلم في بيت المقدس**، جمعيّة عمّال المطابع التعاونيّة، عمان، 1981م، ص 330.

[42] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج2، ص127.

[43] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج2، ص381.

[44] مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج2، ص202.

[45] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج1، ص239.

[46] ينظر: مصدر سابق، العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص26 – 29.

[47] ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المَعافري (المتوفى 543 هـ) ، **العواصم من القواصم**، تحقيق :عمار طالبي، مكتبة دار التراث، مصر، د. ط، د. ت، ص45.

[48] ينظر: مصدر سابق، عبد المهدي، **الحركة الفكريّة**، ص21.

[49] ينظر: مصدر سابق، عبد المهدي، **الحركة الفكريّة**، ص22.

[50] مصدر سابق، ابن العربي، **قانون التأويل**، ص435.

[51] مصدر سابق، ابن خلكان، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، ص263.

[52] مصدر سابق، ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج1 ، ص 73.

[53] ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المَ عافري( ت 543 هـ) ، **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م، ص140.

[54] مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج1، ص434.

[55] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي( ت 571 هـ) ، **تاريخ دمشق**، تح :عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1995م، ج50، ص 10 - 12.

[56] ابن السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ( ت 771 هـ) ، **طبقات الشافعية الكبرى**،تحقيق: د .محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1413 ه، ج5، ص98.

[57] عبّاس، احسان، **فصول حول لحياة الثقافيّة والعمرانيّة في فلسطين**، ط1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 1970م، ص26.

[58] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج1، ص433 – 434.

[59] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج1، ص 434.

[60] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان،( ت 748 هـ) ، **تاريخ الإسلام ووفيَات المَشاهير والأعلام**، تحقيق: د. بشّار عَوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 2003، ج14، ص95 - 96.

[61] المصدر السابق، ج13، ص448.

[62] ينظر: مصدر سابق، العليمي، **الانس**، ج2، ص440.

[63] مصدر سابق، ابن خلكان، **"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"**، ج7، ص179.

[64] القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت 821هـ/1418م): **"صبح الأعشى في صناعة الإنشا"**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963م، ج11، ص90.

# أ.د/ علاوة عمارة: الفاطميون والمغرب الأوسط: التوجه الساحلي للسلالة الحاكمة وأنماط التحكم في المجالات (ترجمة).

# Pr : Allaoua Amara : The Fatimids and Central Maghreb: Littoralization of the Dynasty and Modes of Territorial Control

**ترجمة/ د. حسين بوبيدي (*)**
قسم التاريخ/ كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية/ جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري
مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي
hocine1492@gmail.com

**تاريخ الاستلام**: 2021-08-23 **تاريخ القبول**: 2021-10-09

**ملخص**: بعد نجاحهم في طرد الأغالبة من إفريقية، نقل الفاطميون مركز دعوتهم وسلطتهم من قلاع بلاد كتامة إلى صبرة بالقرب من القيروان، ثم إلى المهدية، والتي تعدّ أول عاصمة إسلامية تقع على ساحل البحر، وقد كان الإصلاح العقدي ضرورياً من أجل تقديم المراكز الإسماعيلية اللاحقة على أنها بمثابة: دار الهجرة، وإضفاء الشرعية على الأهداف الإمبريالية للخلفاء.

هذا الانسحاب من المغرب الأوسط لا يعني تخلي الفاطميين عن هذه المنطقة، حيث كان عليهم وضع عدة أنماط للسيطرة على المنطقة، وكان استخدام الدعاة الكتاميين والخصيان والعائلات المحلية ذات النفوذ إحدى أدواتهم السياسية.

**الكلمات الدالة**: الفاطميون، كتامة، المغرب الأوسط، صنهاجة، الإسماعيلية، دار الهجرة.

**Abstract:** After chasing away the Aghlabids from Ifrīqiya, the Fatimids relocated the center of their predication, from where they ruled over the

(*) **المؤلف المرسل: د. حسين بوبيدي/hocine1492@gmail.com**

Kutāma fortresses, first in Ṣabra near Kairouan, then in Mahdia, first Islamic capital to be on the coast. A theological reform was necessary in order to define a posteriori the first ismaili centers as "territories of exile" (dār al-hijra) and to give legitimation to the imperial aims of the caliphs.

This withdrawal from the Central Maghreb does not mean however that the Fatimids abandonned the region, in which they had to develop several modalities of territorial control. Resorting to Kutāma preachers, eunuchs and local influential families was one of the means they used in order to do so.

**Keywords:** Fatimids, Kutāma , Central Maghreb, Ṣanhāja, ismailism, exile territory.

## 1. مقدمة:

إن الدخول التدريجي لبلاد المغرب تحت حكم الأمويين بدمشق في النصف الثاني من القرن 1هـ/7م وبداية القرن 2هـ/8م، لم يكن يعني أن هذه المجالات الواسعة قد خضعت بشكل نهائي لسلطة الخلافة، فمند نهاية الحملات العسكرية، كانت هذه المنطقة وجهة لدعاة مثلوا مختلف الجماعات الإسلامية بالمشرق، حيث قصدوها آملين في إيجاد أرض مواتية لتحضير الاستيلاء على السلطة، وقد نجح الدعاة الإباضية والصفرية في تحويل الكثير من جماعات الرحّل في بلاد المغرب إلى مذهبهم، وخاصة من زناتة ونفوسة، ولكن بعد نصف قرن دشّنت جماعة إسلامية أخرى مشروعا توسعيا، لا يقتصر هدفها على استرجاع أحفاد الرسول محمد ﷺ للسلطة؛ بل لإخضاع كل العالم تحت سيطرتها؛ ويتعلق الأمر بالإسماعيلية؛ الفرقة الشيعية المنسوبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام الشيعي السادس الذي بنت عليه شرعيتها[1].

تشير رواية متأخرة ذكرها القاضي النعمان (ت: 363هـ/973م) إلى أن الإمام جعفر الصادق (ت: 148هـ/765م) أرسل داعيين إلى بلاد المغرب؛ هما: أبو سفيان والحلواني

حوالي سنة: 145هـ/970م، حيث استقرا شرق الأوراس ونجحا في تحويل سكان الأربس ومرماجنة ونفطة ببلاد الجريد إلى مذهبهم[2]، وقد أصبحت هذه المواقع الثلاث لاحقا دار شيعة، وبعد قرن من الزمن قام الداعية الإسماعيلي الكبير بالكوفة أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب والمعروف بمنصور اليمن المستقر حديثا في اليمن[3]، باستئناف الأنشطة الدعائية لهذه الجماعة، ونظّم لها شبكة واسعة في الهند، البحرين، في مصر، وفي المغرب[4]، ووفق هذه الرؤية؛ أوعز إلى أبي عبد الله الداعي (ت: 298هـ/911م) وهو داعية مقتدر بالتوجه إلى شمال إفريقيا لتأسيس قاعدة قوية تسمح للحركة بإسقاط العباسيين، وإخراج الإمام من استتاره ليتولى قيادة الأمة الإسلامية[5].

الرواية التي قدمها القاضي النعمان عن الاجتماع الأول لكتامة مع أبي عبد الله الداعي في مكة بمناسبة الحج سنة: 280هـ/893م هي قصة أسطورية؛ ذلك أن حضور جماعة إسماعيلية كان راسخا بالفعل في المناطق الواقعة إلى الشرق من جبال الأوراس[6]، وخصوصا وأن مجموعات من كتامة كانت قد انضمت إلى الإسماعيلية قبل وصول هذا الداعي[7]، والشيء الجديد هو أن أبا عبد الله الداعي قد استقر داخل مجالات كتامة، في منطقة إيكجان الجبلية الواقعة بالمنحدر الجنوبي لجبل بابور شمال شرق سطيف عند جماعة بني سكتان الصغيرة.

لم تخضع هذه الجبال تماما لسيطرة الأغالبة بالقيروان والعلويين بحمزة/البويرة، وقدمت بذلك للإسماعيليين الأوائل ملاذا آمنا، وكانت حوالي عشر سنوات من الدعوة كافية لأبي عبد الله الشيعي لتعليم أنصاره من كتامة الذين صاروا يلقبون بازدراء: المشارقة، وتشكّلت له منهم نواة صلبة ومخلصة[8]، ومن خلال هؤلاء سيتمكن أولا من القضاء على المعارضين له داخل كتامة نفسها، ثم يقاتل بهم قوات الأغالبة في مرحلة لاحقة، وعلى إثر حركة انشقاق في كتامة، قام المؤمنون بالمذهب الإسماعيلي "الأولياء" بإيواء وحماية أبو عبد الله الداعي، الذي قام ببناء قلعة ثانية في تازروت شمال غرب مدينة ميلة في مناطق غشمان وسط قبائل أجانة، ملوسة، لهيصة، لطاية وجيملة[9]، وهكذا أصبحت القلعتان "مدينتان فاضلتان"

للإسماعيلية، عاش المؤمنون فيهما وفقا لمثل هذا المذهب. لقد ركّز الداعي دعوته على المهدوية، أي على الظهور الوشيك للإمام المعصوم من أجل تحقيق العدالة على الأرض كإشارة على قرب نهاية العالم الدنيوي[10].

بعد تحقيق عدة انتصارات على الأغالبة؛ وخاصة في "كيونة" حيث تم صدّ هجوم مضاد للأغالبة بقيادة ابن حبشي سنة: 292هـ/905م[11]، استولت القوات الإسماعيلية على الزاب مما فتح الطريق أمامها نحو القيروان، وهكذا سقطت القرى تباعا الواحدة تلو الأخرى إلى غاية الأربس؛ حيث تمكنت هذه القوات المتقدمة من سحق جيش الأغالبة سنة 296هـ/909م، مما وضع حدّا لحكم هذه السلالة الموالية للعباسيين في إفريقية، بعد فرار زيادة الله الثالث آخر حكامها إلى مصر[12].

بدأ الداعي الكبير أبو عبد الله في تنظيم البلاد وإنشاء مؤسسات جديدة، مستفيدا من اعتناق العديد من كوادر الإدارة الأغلبية للإسماعيلية[13]؛ من جمادي الثانية 296هـ/مارس 909م إلى غاية ربيع الثاني 297هـ/جانفي 909م، كان المغرب الشرقي يدار من طرف الداعي ونوابه في رقادة العاصمة الأميرية القديمة للأغالبة، ومع ذلك بقيت إيكجان حيث "أولياء الله" بمثابة مركز للدعوة. بعد ذلك دشن الداعي حملة إخضاع مكنته من إسقاط الرستميين بتيهرت، وإمارات العلويين في المغربين الأوسط والأقصى، وإطلاق سراح الإمام عبد الله المهدي بالله الذي قدم من سلمية ثم تمّ سجنه من طرف الأمير المدراري بسجلماسة[14].

دخل المهدي منتصرا إلى إيكجان في بداية شهر ربيع الأول 297هـ/ كانون الثاني 910م، حيث مكث بها مدة عشرين يوما قبل أن يقوم بنقل إدارة الجماعة ودولته الجديدة إلى رقادة. ماذا يعني هذا الإجراء؟ لماذا ترك الإسماعيليون مركزهم على الحدود بين المغرب الأوسط وإفريقية واستقروا في رقادة؟ هل هو الابتعاد عن المتمردين من كتامة خوفا من انشقاقهم؟ أم أن هذا الاختيار كان استجابة لهدف سياسي، بل لمشروع إمبريالي للإمام

الراغب في غزو الشرق؟ وما هي الصفة التي أعطيت للأراضي ذات الأغلبية الإسماعيلية في المغرب الأوسط، وكيف قام الخلفاء الفاطميون بإدارة هذه الأراضي البعيدة؟

للإجابة على هذه الأسئلة؛ من الضروري إعادة بناء السياق الذي تطورت فيه الإسماعيلية المغربية من أجل فهم أسباب التوجه الإفريقي، وخاصة التوجه البحري للخلافة الفاطمية. إن القراءة النقدية للمصادر الإسماعيلية وغير الإسماعيلية تمكننا من فهم ظروف نقل مركز الجماعة الإسماعيلية من بلاد كتامة إلى ساحل إفريقية، ومن التشكيك في الرأي الذي تبناه الكثير من الباحثين في الموضوع؛ والذي ينطلق من مفهوم وجود "دار الهجرة" قبل إعلان الخلافة الفاطمية. إن هذا التفسير يسلط الضوء أيضا على طرق إدارة المغرب الأوسط بعد انتقال مركز ثقل الحكم والدعوة إلى الشرق.

## 2. ابتكار دار الهجرة:

الكثير من الباحثين؛ مثل: هالم/H. Halm، وبراث/M. Brett، وحمداني[15]، أقروا بوجود دار الهجرة الإسماعيلية في بلاد كتامة قبل انتقال مركز السلطة السياسية والدينية إلى رقادة، وقد اعتمدوا في حقيقة الأمر على كتابات متأخرة ألفت بعد التحول العقدي للإسماعيلية للإشارة إلى مجال الهجرة، ويبدو لي أن نتائجهم تعدّ صحيحة لما بعد النصف الأول من القرن 4هـ/10م؛ إذا سلّمنا بالأصل العراقي للتنظيم الدعوي الإسماعيلي في بلاد كتامة[16]، فإن حضور دار الهجرة في زمن الداعي أبي عبد الله غير مؤكدة، كما تدل عليه قراءة العديد من النصوص.

إن نقطة البداية في تصوري تنطلق من قراءة أقدم شاهدين فاطميين حول هذه الأحداث[17]؛ الأولى هي لعالم زيدي سابق من القيروان، تحول إلى الإسماعيلية قبل أربع سنوات من انهيار الحكم الأغلبي، ويتعلق الأمر بالداعي أبي عبد الله جعفر بن أحمد بن محمد بن الأسود بن الهيثم الذي ألف كتاب المناظرات التي وقعت بين المؤلف وبين أبي العباس الداعي شقيق أبي عبد الله الداعي. يبدأ المؤلف شهادته بذكر لقاءه الأول بأبي عبد الله بعد

يومين من استيلاءه على رقادة، أي في 3 رجب 296هـ/28 مارس 909م، ثم كتب أن رسالة وصلت إلى أبي العباس من قبل شقيقه أعلن الداعي فيها عن وصول الإمام المهدي إلى إيكجان "موطن الدين ومعدن الإيمان"[18]، هذه الشهادة الفاطمية الأولى على وصول الإمام إلى إيكجان ببلد كتامة لا تشير إلى دار الهجرة، وهي الصفة التي ستمنح لهذه القلاع الإسماعيلية التي تأسست في هذه البلاد، وعلى العكس من ذلك، نجده يتحدث عنها باعتبارها: "موطن الدين".

نفس الشيء نجده في رواية الحوادث التي يذكرها محمد بن محمد اليماني عن الداعي الحاجب جعفر بن علي (ت:340هـ/951م)، صفة دار الهجرة التي منحت للمراكز الإسماعيلية في بلاد كتامة لم يتم استحضارها من طرف مرافق الإمام المهدي أثناء نزوحه من سلمية إلى رقادة[19].

كيف ومتى قدم منظرو الفكر الإسماعيلي فكرة دار الهجرة لإضفاء الشرعية على القرار الذي اتخذه الإمام المهدي بنقل مركز الدعوة إلى رقادة؟ وبالتالي مغادرة الأراضي الموالية بقضيتهم؟ وهل يتناقض هذا الفعل مع النظرية السياسية الإسماعيلية اللاحقة؟ والتي بموجبها ينصح المؤمنون بالتخلي عن منطقة يسيطر عليها الظالمون والاستقرار في بلد يسيطر عليه المؤمنون؟ لماذا ترك إيكجان وتازروت الإسماعيليتين لصالح منطقة ذات أغلبية مالكية وحنفية؟

للإجابة على هذه الأسئلة؛ من الضروري إعادة قراءة النصوص الإسماعيلية التي بُلورت خلال القرن 4هـ/10م، وانطلاقا من معارفنا الحالية يمكننا القول أن أقدم ذكر لدار الهجرة في النصوص الإسماعيلية يظهر في رسالة من الإمام الفاطمي الثاني القائم (322-334/933-946) موجهة إلى الجماعات الإسماعيلية باليمن، والتي يعلن فيها توليه الإمامة. في هذه الرسالة المعنونة بـ: الرسالة الإمامية إلى أهل الممالك اليمنية، يصرّ القائم على وجوب الهجرة والاستقرار في الأراضي الواقعة تحت سلطة الإمام للدفاع عن قضيته[20].

من اليمن نجد المنظّر والداعي جعفر بن منصور اليمن (ت: 347هـ/958م) ابن داعي الدعاة الشهير أبو القاسم بن حوشب، وكان أيضا شاعرا للفاطميين، اشتهر خصوصا بقصائده التي تصف نهاية ثورة أبي يزيد[21]، بيد أن في أعماله التي قام بتأليفها بعد استقراره في بلاد المغرب سنة 322هـ/933م أدخل موضوع دار الهجرة ؛ ففي كتابه: الكشف استخدام تأويل إسماعيلي باطني يهدف إلى إلغاء البعد المسياني للعقيدة الإسماعيلية ممثلة في فكرة المهدوية، والتي من شأنها أن تعلن نهاية العالم[22]. بعد أن طوّر الأسس العقائدية والسياسية للفكر الإسماعيلي رجع إلى الإمام جعفر الصادق (ت: 148هـ/765م) لينسب له القول أن على الإمام أن يستتر بينما يتوزع دعاته طلبا لدار هجرة يلجؤون إليها كما فعل محمد وإبراهيم عليهما السلام[23]، كما اعتمد على حديث ورد فيه أن الشمس ستشرق من المغرب، ليتم له ربط مصطلح "دار الهجرة" بنجاح الإسماعيليين ببلاد المغرب.

تكفل القاضي النعمان من خلال مؤلفاته بإضفاء الشرعية على الأهداف السياسية والإمبريالية للخلفاء الفاطميين، هذا العالم الإمامي الذي تحول إلى الإسماعيلية، ساهم بشكل كبير في تدوين الفقه الإسماعيلي وإضفاء الشرعية على السلالة الفاطمية[24]، وقد أشار في كتابه: المجالس والمسايرات الذي يروي فيه مناقشاته مع الإمام المعز، الخدمات التي قدمها للأئمة المهدي، القائم، المنصور، والمعز. وفيما يتعلق بإيكجان وكتامة فقد سعى إلى إضفاء الشرعية على عملين: الأول هو: نقل مركز الدعوة والسلطة، وتثبيت مكانة دار الهجرة التي أعطيت لإيكجان وفقًا لذلك، والثاني: إعدام أبي عبد الله الداعي من قبل الإمام، وقد انتهى إلى أنه شرّ لا بد منه، حتى يغفر الله خطيئة دعمه لمؤامرة أخيه[25].

في روايته حول تأسيس الإمامة الفاطمية؛ المتضمنة في كتابه افتتاح الدعوة وابتداء الدولة، والذي ألفه سنة: 346هـ/958م لم يشر القاضي النعمان إلى منزلة إيكجان كدار هجرة قبل مجيء الإمام المهدي، ولم يُذكر هذا الوصف إلا بمناسبة تأسيس قلعة تازروت على يد أبي عبد الله الداعي بعد انسحابه من إيكجان في مواجهة هجوم شنته قبائل كتامة

المعادية لنشاطه[26]. لقد تم إدخال مفهوم دار الهجرة في روايات القاضي النعمان في سياق استقرار الداعي في مجالات غشمان وتأسيس قرية تازروت، لكن بعد وصول الإمام المهدي وعودة أبي عبد الله الداعي، تمت الإشارة إلى قلعة إيكجان نفسها باسم: دار الهجرة في رسالة من الإمام المهدي موجهة إلى أبي زاكي خليفة أبي عبد الله الداعي في رقادة والقيروان، وهي رسالة يصعب التأكد من صحتها؛ حيث ورد فيها: "كتابي هذا إليك من إيكجان دار الهجرة ومستقر الإيمان"[27].

خلال القرون اللاحقة؛ تبنت الكتابات حول الفاطميين مصطلح دار الهجرة لكل من إيكجان وتازروت، وضمن هذا السّياق، كتب العالم المالكي ابن حماد الصنهاجي (ت: 628هـ/1231م) في تاريخه المعنون بـ: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم؛ أن الداعية أبي عبد الله الداعي: "بنى بموضع يعرف بإيكجان على مقربة من قسنطينة مدينة وسماها دار الهجرة"[28].

فرض مفهوم دار الهجرة نفسه في الفكر الإسماعيلي لإضفاء الشرعية على هذه الحلقة في تاريخ الجماعة، إذ كان يُنظر إلى أحفاد النبي ﷺ من الفاطميين على أنهم ورثة النبوة وحملة الحق الإلهي[29]، وكان البعد السّلالاتي للإمامة هو مركز الفكر السياسي والعقدي الفاطمي[30]، هكذا جاء في رسالة الإمام الآمر بأحكام الله (490-524هـ/1101-1130م) إلى ولاّة الأقاليم تأكيد على حق ذرية علي في الإمامة بالوراثة[31].

وفق هذه العقيدة؛ عندما يتعرض الأئمة للاضطهاد، يجب عليهم الرحيل إلى دار الهجرة من أجل تطبيق الشريعة الصحيحة والقيام بالجهاد، وهكذا أصبحت الهجرة إلى المكان الذي يتواجد فيه الإمام الدعامة السّابعة من دعائم العقيدة الإسماعيلية، والتي تم ربطها بطريقة ما مع شعيرة الحج، وهكذا حدد القاضي النعمان الأركان السبعة للعقيدة، بداية بالولاية وانتهاء بالحج والجهاد[32]. هذه الهجرة إلى الأراضي القصيّة استلهم فيه الإسماعيليون تجربة الرسول ﷺ، ووفق هذا التطور العقدي فإن العالم ملك للإمام، باعتباره الوريث الوحيد لنبوة الرسول

ﷺ، وينقسم العالم بناء على هذا التصور إلى اثنتي عشرة مقاطعة (جزائر أو جزر)، يرأس كل واحدة منها داعي يتبع الإمام[33].

لقد خضع الفكر الإسماعيلي إلى تطور أدى إلى إلغاء العناصر الأخروية من أجل إضفاء الشرعية على توجه الخلفاء الفاطميين نحو الشرق. إن اعتبار المهدية وصبرة والمنصورية والقاهرة بمثابة دار هجرة ظرفية يؤكد هذا التطور، وعلى سبيل المثال فإننا نعلم أن وليّ العهد أبو القاسم قاد حملتين ضد مصر في سنتي: 301هـ/913م و306هـ/ 918م[34]، وبالتالي فقد كان الاستيلاء على بغداد، والسيطرة ليس فقط على العالم الإسلامي بل على الأراضي غير الإسلامية أيضا هو ما يسمح للأئمة بوضع نهاية "معتقد" دار الهجرة. وكما أوضحت سمية الحمداني؛ فإن عملية تحويل الدعوة إلى دولة (من الدعاية إلى الدولة) يتطلب إصلاحا لاهوتيا (إزالة الرؤية المسيحانية)، وقبل كل شيء تطوير الخطاب الظاهري إلى جانب الخطاب الباطني لتحقيق شرعية الإمامة الفاطمية[35]. في كتابه المعنون بـ: المناقب والمثالب، قدّم القاضي النعمان تفسيرا جديدا لظهور المهدي، والذي لم يعد يفسّر على أنه إعلان بالقيامة، بل بداية لعهد جديد يتسم بالعدالة والرخاء[36].

تم تأكيد هذا الإصلاح العقدي الإسماعيلي في العصير الوسيط من خلال عملين: الأول هو كتاب الافتخار للفيلسوف الخراساني أبو يعقوب إسحاق السجستاني (ت: 361هـ/971م)، والثاني كتاب زهر المعاني لداعي الدعاة باليمن إدريس عماد الدين (ت: 872هـ/1468م)، وبالتالي أصبحت هجرة المؤمنين ضرورية، ولا سيما في مرحلة استتار الإمام؛ حيث قام مؤلف الكتاب الأخير إدريس عماد الدين إدريس (ت: 872هـ/1468م) بوضع أحكامها في وقت متأخر[37]. لم يؤدّ مشروع التحول الذي أدخل على الدعوة إلى توحيد الإسماعيلية بعد الانقسام الأول سنة: 286هـ/899م عندما أعلن عن إمامة عبد الله المهدي في سلمية؛ لأن دعاة البحرين وفارس وبلاد ما وراء النهر رفضوا الاعتراف بها، وواصلوا أنشطتهم الدعوية السابقة[38].

إن الرواية الأكثر تفصيلا حول إقامة المهدي في إيكجان أوردها القاضي النعمان في افتتاح الدعوة، إذ ذكر وصول الإمام المهدي إلى هذه القلعة، وبعد مكوثه بها لمدة عشرين يوما أمر بنقل مركز الدعوة الإسماعيلية إلى رقادة في ظروف لم توضحها المصادر[39]. هذا التحوّل في مركز الدعوة والحكم رافقه نقل أملاك الجماعة و"أولياء الله" مع عائلاتهم للاستقرار في رقادة[40]، وهو ما يعني نهاية دور القلعتين. تم استقبال الإمام المهدي والترحيب به كمنتصر بالقرب من رقادة من طرف أبي زاكي تمام بن معارك، وأبي العباس الداعي شقيق أبو عبد الله الداعي وأعيان الجماعة الإسماعيلية في إفريقية. وقد استقر المهدي في قصر الفتح، وهو قصر أغلبي قديم[41]، وأعلن نفسه خليفة في 20 ربيع الثاني 297هـ/4 يناير 910م[42]. وتأكّد انتقال "أولياء" كتامة من خلال شهادة ابن الهيثم الذي يذكر على الخصوص الداعي المميز أبو موسى داعي ملوسة وشيخها[43].

أدى نقل مركز الحكم والدعوة الإسماعيلي إلى دار الهجرة الجديدة في رقادة ثم المهدية إلى إعادة تنظيم المجال المغربي، وخاصة مع تأسيس مدينة المهدية التي تعد أول عاصمة إسلامية تقع على الساحل. بالإضافة إلى ذلك كان هذا التطور علامة على تحول الدعوة الإسماعيلية إلى دولة تميزت بتأسيس مؤسسات لم تعد بالضرورة قائمة على تنظيم الدعوة من خلال حلق العلم المسماة مجالس الحكمة، ومع هذا البعد عن مراكزهم الأولى واجه الإسماعيليون العديد من الصعوبات في بسط سيطرتهم على مجالات المغرب الأوسط والأقصى. وبحثوا عن طرق للسيطرة على المناطق الواقعة غرب إفريقية تلقوا المساعدة من النخب الموالية في كتامة ومكناسة وبني حمدون وصنهاجة.



**الصورة رقم 1: بقايا قلعة إيكجان (تصوير: علاوة عمارة 2007)**

## 3. مدن محكومة ثيوقراطيا:

قبل السيطرة على إفريقية بوقت قصير، وضع الإسماعيليون هياكل حكومية أشار لها هاينز هالم باسم دولة تازروت الثيوقراطية[44]، وهذه بداية عملية التحول من الدعوة إلى الدولة. قبل ظهور الفاطميين كانت بلاد كتامة جزءا من ولاية الزاب وعاصمتها طبنة[45]، ولكن بعد انتصاب الدّعاة الإسماعيليين بالمنطقة تم استحداث تنظيم جديد لهذا المجال. وانطلاقا من إيكجان أنشأ أبو عبد الله الداعي شبكة دينية، مقسمة إلى أسباع، يدير كل سبع منها رئيس ويساعده أحد الدعاة وفرقة مسلحة[46]. يذكر القاضي النعمان "وجوه أولياء كتامة" الذين كانوا يتمتعون بثقة الخليفة المهدي، وفي موضع آخر يستحضر "شيوخ ووجوه كتامة"[47].

أول من عين واليا على الزاب من طرف الإمام المهدي هو: يحي بن سليمان أحد زعماء ملوسة، وتم تعيين زعماء كتامة الأكثر ولاءً قادة على المناطق بحسب التنظيم الإداري الفاطمي الجديد، ولا سيما في قسنطينة وقصر الإفريقي وفي مدن إفريقية. ثار الكتاميون كردّ

فعل على إعدام أبي عبد الله الداعي وأبي العباس وأبي زاكي وأبي موسى[48]، وشملت هذه الثورة أيضا مجالات ميلة، لكن جيوش المهدي تمكنت من إخماد الثورة واستعادة النظام وتمكنت من أسر قائد الثورة: المارطي الذي تم تصويره كمدع للنبوة[49]. من أجل تحقيق التوازن لسلطته، لجأ الخليفة المهدي إلى شراء العبيد؛ البيض (الصقالبة)، والسود (الزويليون)[50]، وذلك من أجل إضعاف الكتاميين الذين لايزالون أوفياء لرئيسهم الذي تمّ إعدامه، وقد تلاحقت الانتفاضات الكتامية دون أن تنجح في زعزعة استقرار الخلافة الفاطمية في عهد المهدي.

في سياق التأريخ لثورة أبي يزيد تذكر المصادر الحسن بن علي بمثابة وال على قسنطينة[51]، وربما أيضا أنه على بلاد كتامة، لكن مجموعات كتامية أخرى تعرضت للانتقاد من طرف الخليفة المنصور لترددها في تقديم المساعدة للعاصمة المحاصرة من قبل المتمردين الإباضيين. وبعد انتهاء هذه الثورة الإباضية مباشرة – وقبل عودته إلى عاصمته– قام الخليفة بترحيل مئات العائلات من كتامة إلى المهدية من أجل ضمان الخضوع التام لهذا الاتحاد القبلي. وللقيام بذلك كان على المنصور أن يقضي ثلاثين يومًا في سطيف وتسعة أيام في ميلة[52]، وهي المرحلة الثانية من تهجير كتامة إلى إفريقية.

## 4. طبنة والزاب الشرقي:

كانت الزاب من أهم الولايات الواقعة على الحدود بين إفريقية والمغرب الأوسط. تحكمت في نقاط الوصول إلى القيروان، وسيطرت على منطقة كبيرة إلى حد ما بسبب عدم إمكانية الوصول إلى جبال أوراس التي كانت بمثابة ملجأ للحركات المتمردة وتشرف على الحضنة ومنطقة بسكرة. كانت ساكنة ولاية الزاب في الغالب من الإباضية النكار، وتسكنها على وجه الخصوص قبائل هوارة ومزاتة وبني كملان[53]، وكان مركزها طبنه؛ إحدى المدن الكبيرة القليلة في بلاد المغرب التي تحول سكانها إلى الإسماعيلية[54]. أول قرار اتخذه الإمام المهدي بعد وصوله من إيكجان كان تعيين يحي بن سليمان الملوسي أحد القادة الكتاميين واليا على مدينة طبنة[55]، ومع ذلك؛ فإن هذه الولاية تعرضت للتهديد المتكرر من قبل

الحركات الإباضية بقيادة محمد بن خزر المغراوي، إذ أجبر هذا الأخير الخليفة المهدي – الذي تم تنصيبه حديثًا في رقادة – على إرسال حملة عسكرية بقيادة أبي عبد الله الداعي، وقد نجح هذا الأخير في طرد زعيم إباضية زناتة في 26 ذي الحجة 297هـ/5 سبتمبر 910م[56].

ليحتفظ الفاطميون بسيطرتهم على الجماعات الريفية في الزاب أخذوا رهائن من عائلات الوجهاء ليستقروا بالمهدية، وقام فحلون وهو أحد قادة كتامة وحاكم هذه الولاية سنة 309هـ/922م بحملة في جبل أوراس لفرض السلطة الفاطمية على المنطقة، حيث تم احتجاز عشرات العائلات كرهائن وحبسوا في المهدية لضمان استسلام قبائلهم، ونفس السياسة سيمارسها أبو القاسم ابن الخليفة المهدي سنة: 315هـ/927م ضد هوارة جبل أوراس[57].

## 5. تيهرت: مركز لولاية مضطربة:

أصبحت العاصمة السابقة للرستميين تمثل مركزا لولاية شاسعة تشمل الشريط الساحلي بين تنس ووهران، وتمتدّ على منطقة تسيطر عليها زناتة في المناطق النائية. عند استيلاء أبو عبد الله الداعي على المدينة سنة: 296هـ/909م؛ تم تنصيب وال من كتامة عليها؛ ويتعلق الأمر بـ: أبي حميد دواس بن صولات، والذي تعرض بعد فترة وجيزة لهجومات من قائد مغراوة: محمد بن خزر، فلجأ إلى حصن في داخل مدينة تيهرت القديمة في انتظار وصول المساعدة من الخلافة. لقد قمع هذا التمرد وتمت استعادة المدينة بعد حملة عسكرية كبيرة قادها أبو عبد الله الداعي سنة 297 هـ/ 910م، حيث تم خلالها إخضاع القبائل التي تشغل مناطق تنس والخضراء[58]، لكن حاكم تيهرت أُقيل بعد فشله في مواجهة مغراوة سنة 299هـ/911م[59].

دفع هذا الوضع بالخليفة المهدي إلى البحث عن تحالفات بين فروع زناتة، وتحقق له ذلك مع صفرية مكناسة في وادي شلف؛ إذ دخل هؤلاء في خدمة الفاطميين سنة 299هـ/911م بقيادة مصالة بن حبوس الذي عين حاكما لولاية تيهرت، ومنذ سنة: 304هـ/917م، قاد حملات ضمت قوات من قبيلته ومن كتامة ضد العلويين في فاس، وضد نكور ومليلة، وأهم جماعتين من زناتة: مغراوة وبني يفرن، وقد نجح في احتلال البلدات الواقعة على ساحل الريف، حيث أطاح لفترة وجيزة بسلالة بني صالح في نكور وعيّن حكامه عليها[60].

كانت الحملة الثانية لمصالة بن حبوس سنة 308هـ/921م؛ وقد أسقطت الأمير الإدريسي يحي بن إدريس في فاس، وتم فيها السّيطرة على سجلماسة، وعيّن ريحان الكتامي واليا على فاس، وقد مكّنه هذا النجاح من استقباله وتهنئته من طرف الخليفة المهدي[61]، لكن هذا الوالي قُتل خلال المعارك ضد مغراوة بقيادة محمد بن خزر سنة312هـ/ 924م، فخلفه أخوه يصل[62]، وعلى الرغم من فشل الأنشطة الدعوية للداعي منيب بن سليمان المكناسي لنشر الإسماعيلية في الونشريس شمال تيهرت سنة: 309هـ/921م[63]، فقد نجحت الخلافة الفاطمية في الحفاظ على استمرار سلطتها في هذه المنطقة التي شكّلت نقطة الدفاع الأولى ضد زناتة حلفاء الخلافة الأموية في قرطبة؛ حيث كانت هذه الولاية هدفا لهجوم كبير بقيادة محمد بن خزر مدعوما بالأمويين سنة 313هـ/926م، ما دفع الوالي الفاطمي إلى طلب المساعدة من الخليفة المهدي، فأرسل له جيشا كبيرا بقيادة ابنه أبو القاسم (الخليفة القائم)، وقد نجحت هذه الحملة في تهدئة منطقة واسعة بين الحضنة وتيهرت، وألحقت الهزيمة بقوات مطماطة ومغراوة، ومن أجل ضمان استسلام هذه الجماعات، تم نقل المئات من الأعيان برفقة عائلاتهم كرهائن إلى المهدية[64]، وبهذه الطريقة تمكن الفاطميون من المحافظة على ولاية تيهرت.

إن الرسائل المتبادلة بين قائدي زناتة محمد بن خزر وموسى بن أبي العافية وبين العاهل الأموي الناصر (300–350هـ/912–961م)، والتي حفظها لنا ابن حيان (ت: 469هـ/1076م)؛ تسمح لنا بمتابعة تطور الأوضاع في ولاية تيهرت والمغرب الأوسط. وقد حدث ذلك في حقيقة الأمر بعد إعلان عبد الرحمن الثالث الناصر الخلافة الأموية، حيث تم اعتماد سياسة مغربية لزعزعة استقرار الأراضي الفاطمية الواقعة بين تيهرت وسبتة، ومن خلال إقامة علاقات مع كبار قادة زناتة محمد بن خزر المغراوي وموسى بن أبي العافية المكناسي – الذي خدم الفاطميين أيضا في السابق– رأى الخليفة الناصر أن بإمكانه إنهاء الوجود الفاطمي في منطقتي تيهرت وفاس، فيما يتعلق بتيهرت؛ فإن الاستيلاء المؤقت على بعض المناطق مثل الشلف وقرية العلويين شمال تلمسان لم يكن يعني تراجع الحكم الفاطمي على المناطق الغربية من المغرب الأوسط.

منذ سنة: 317هـ/929م، أعلن قادة التمرد في زناتة طاعتهم للخليفة الأموي مقابل التعيين من قرطبة ودعمها[65]، ولتأكيد دعمه لحلفائه في منطقتي المغرب الأوسط والأقصى؛ سيّر الخليفة الأموي أسطوله فاستولى على سبتة عام 319 هـ/931م، وعلى مليلة ونكور وجراوة وأرشقول سنة: 323هـ/934م. لكن هذا التدخل قوبل برد عنيف من قبل القوات الفاطمية بقيادة ميسور الفتى، حيث استطاعت أن تسحق قادة المتمردين من زناتة، وخاصة موسى بن أبي العافية في سنة: 323هـ/934م[66]، واسترجعت السلطة الفاطمية على تيهرت، بما في ذلك إعادة حاكمها مالك بن أبي شحمة إلى منصبه بعد أن طرده السكان[67].

تعاقب على حكم ولاية تيهرت أعضاء من عائلة مكناسة الحاكمة والمرتبطة بالفاطميين، ولكن عندما توفي يصل بن حبوس سنة: 319هـ/931م عيّن الخليفة المهدي حميد بن يحي المكناسي، مما أثار صراعًا مسلحًا بين أفراد هذه العائلة الحاكمة وفروع أخرى من مكناسة. قاد الحاكم الجديد حملة عسكرية ضد ابن عمه موسى بن أبي العافية الحاكم

الفاطمي السابق لمكناسة القريبة من فاس، والذي اختار لاحقا المعسكر الأموي وأصبح أحد أهم قادة حلفائه؛ وبعد هذه المعركة لجأ والي فاس إلى واحات الصحراء[68].

أدت معارضة مكناسة للفاطميين إلى اختيار حكامهم من بين النخبة السياسية والعسكرية في المهدية، وهكذا تم تعيين أبو مالك بن يغمراسن اللهيصي الكتامي واليا على تيهرت حتى سنة: 322هـ/933م، والذي أطاحت به ثورة داخلية في سنة: 328هـ/939م، وبعد انشقاق ابن حميد المكناسي- أحد القادة المحليين الكبار الذين خدموا الفاطميين- وجد الخلفاء الفاطميون أنهم مرغمون على تعيين قادة من أصول عبيديّة لتولي شؤون هذه الولاية، وبعد عدة سنوات من الفوضى، استعاد الفاطميون السيطرة على تيهرت ونصبوا عبد الله بن بكار الذي نجح في القضاء على فرقة موالية للأمويين بقيادة أيوب نجل القائد الإباضي الشهير أبو يزيد[69].

بعد سنوات قليلة؛ عيّن الخليفة المنصور ميسور الخادم لقيادة حملة كبيرة وطويلة من التهدئة طالت المناطق الواقعة بين طبنة وتيهرت[70]، ومن خلال الحفاظ على هذه الأخيرة وقيادة حملات التهدئة، حافظ الفاطميون على سيطرتهم على المنطقة الغربية من المغرب الأوسط. وإلى غاية عودتهم إلى الشرق، استمرت سلطتهم على كورة تيهرت خاصة بعد حملة التهدئة الكبرى التي قادها جوهر في سنة: 349هـ/960م[71]، ولتعزيز هذه السيطرة على منطقة المغرب الأوسط، تم إنشاء مدينتين محصنتين هما المسيلة وآشير.

### 6. بنو حمدون ومراقبة بلاد زناتة:

شنّت مغراوة – وهي جماعة إباضية نكّارية من زناتة – هجومات ضارية ضد كتامة المناصرة للفاطميين، وعقب الهزيمة التي لحقت القوات الكتامية بقيادة عليبة بن عبروس وخليفة بن إسحاق سنة: 310هـ/922م[72]، كلّف الخليفة المهدي ابنه أبو القاسم محمد بقيادة عدة حملات انتقامية كان أهمها حملة 315هـ/927م، وبعد جولة مظفرة في المغرب الأوسط، قرّر أن يؤسس مدينة محصنة في منطقة الحضنة على أراضي بني كملان، وهي جماعة يُنظر إليها

على أنها تنتمي إلى كنفدرالية زناتة. ففي موقع يعود للفترة القديمة بالقرب من مدينة زابي جوستنيانا/ Zabi Justiniana البيزنطية؛ أقام حصنه الجديد الذي سمي باسمه: المحمدية. لم يمنع هذا الاسم الرسمي من عودة الفاطميين إلى الشرق، لتحمل المدينة فيما بعد اسم: المسيلة؛ أي معقل نبلاء بني عيسى (مسيلة أشراف بني عيسى)، ومن أجل تأمين ضواحي المدينة وضمان خضوع الجماعات الريفية تم ترحيل جزء من بني كملان إلى منطقة القيروان[73].

كان تأسيس المسيلة يهدف إلى تعزيز السيطرة على المناطق الجنوبية من المغرب الأوسط بالقرب من تيهرت، وكانت البلدة/الحامية قد عمّرت بعجيسة والعبيد المنضمين إلى الجيش الفاطمي[74]، وقد أسندت أعمال تشييد المسيلة وتحصينها إلى علي بن حمدون بن سماك بن مسعود الأندلسي، الذي كان والده ملتحقًا بخدمة المهدي لعدة سنوات[75]، وكان من المقرر تنصيب هذا الأخير على رأس مقاطعة الزاب الغربية وعاصمتها المسيلة، وقد جعل لهذه المدينة المسورة بابين هما: باب القاسمية وباب الأمور، وخندق يأتيه الماء من إحدى السواقي[76].

كان على علي بن حمدون أن يواجه الاضطرابات التي تثيرها الجماعات الإباضية النكارية، مثل مزاتة وهوارة وبني كملان وبني برزال وعجيسة، وقد قام بدور رئيسي في السيطرة على الزاب الغربي، لأنه نجح في ضمّ العديد من القادة المحليين مثل معلل بن خزر الزناتي سنة: 317هـ/930م[77]. بعد وفاة علي بن حمدون بالقرب من باجة أثناء ثورة أبي يزيد، أوكل الخليفة المنصور هذه المهمة لابنه جعفر، وقد وجد نفسه في صراع مستمر ضد المعارضة في الأوراس، وقمع الدعوة ذات الميول الصوفية التي أعلنها رجل يُكنى: الناصر لدين الله؛ والذي اتُّهم بادعاء النبوة وأُعدم بأمر الخليفة المنصور سنة:335هـ/947م[78]. وقد نجح جعفر نفسه في ضم القائد الكبير لزناتة الإباضية: محمد بن خزر إلى المشروع الفاطمي، مما أدى إلى مواجهات دامية مع القائد الزناتي النكاري أبو يزيد[79]، هذا الأخير قام بنهب منطقة تابعة لخصمه وقتل فيها حوالي عشرين شخصا[80]، ولكن عشية عودة الفاطميين إلى الشرق، دفع

إسنادهم السلطة بالمغرب لأمير صنهاجة بجعفر بن علي إلى الانشقاق والانضمام أخيرا إلى التحالف الأموي.

## 7. آشير ومجالات صنهاجة:

في مواجهة تقدم زناتة في المناطق الغربية من المغرب الأوسط، ومن أجل مواجهة التدخل الأموي على سواحل المناطق الوسطى للمغرب، سعى الفاطميون إلى التحالف مع جماعات صنهاجة الفلاحية بمنطقة الجزائر، وقبل الحديث عن هذا التحالف؛ من المستحسن التذكير ببعض الملاحظات حول هذه المجتمعات قبل هذا الاندماج.

ورد ذكر صنهاجة المغرب الأوسط لأول مرة في بداية القرن 2هـ/8م، عندما أصبحت هذه المنطقة تحت سيطرة القائد الأموي موسى بن نصير، ومن الصعب تحديد مجالاتهم بدقة؛ لأن أقدم المصادر العربية تكتفي بذكر: "أرض صنهاجة"، ومع ذلك؛ فإن كتاب ابن خلدون (ت: 808هـ/1406م) يسمح بتدارك هذا النقص؛ حيث موضع هذا المجال بين المسيلة وحمزة والجزائر ومليانة وحتى نهر ملوية[81]، باستثناء بعض الجيوب التي تنتمي إلى جماعات أخرى.

في بداية القرن 2 هـ/8م؛ يبدو أن مجموعات صنهاجة المختلفة كانت منقسمة بين جماعات إسلامية متعددة، مثل الصفرية والزيدية[82]، ولم ينخرطوا في المشهد إلا في النصف الأول من القرن 4هـ/10م، بعد تأسيس الخلافة الفاطمية على مقربة من أراضيهم، لم تذكر المصادر الفاطمية أي علاقة بين الطرفين، لا في مرحلة الاستيلاء على السلطة، ولا في عهد الخليفة المهدي. ومنذ عهد الخليفة الثاني: القائم بدأت صنهاجة تقوم بدور مهم في تاريخ بلاد المغرب في العصير الوسيط؛ حيث أمر هذا الخليفة سنة: 324هـ/935م القائد القوي لصنهاجة زيري بن مناد بتأسيس آشير، وجعلها مدينة محصنة لأجل حماية الولايات الغربية، كانت المدينة تقع في الجبل الأخضر (سلسلة جبال التيطري) جنوب مدينة الجزائر على ارتفاع 1250م.

اتفقت المصادر على الصلة الوثيقة التي كانت قائمة بين القائد البربري والسلطة الفاطمية، فالأول لم يكن حاكمًا بسيطًا، بل كان حليفًا سياسيًا، وإذا صدقنا كتابات متأخرة نسبيا فإن زيري سكّ النقود باسمه[83]. لم يُعرف أي شيء محدد عن هذه العلاقات إلى غاية ثورة الإباضية النكار بقيادة أبي يزيد الذي نجح انطلاقا من جبال الأوراس في السيطرة على معظم مدن إفريقية باستثناء سوسة والعاصمة الفاطمية المهدية التي حاصرها لبضعة أشهر.

أنقذ زيري بن مناد الخلافة من خطر محدق، حيث زوّد المهدية بالحبوب ودفع بالمتمردين إلى رفع الحصار والفرار، وقد أحدث هذا الفعل وضعاً جديداً لزعيم صنهاجة الذي احتل منذ ذلك الحين مكانة مهمة لدى الحكم الفاطمي، وهو ما يتضح من خلال حصوله على ملابس رسمية (طراز) وخيول[84]. في مرحلة لاحقة سنجد زيري إلى جانب الخليفة أثناء مطاردة الثائر الإباضي أبو يزيد، وشارك بفعالية في المعركة الأخيرة التي أنهت الثورة سنة: 336هـ/947م، ثم سيطغى حضوره على المشهد العسكري، حيث شارك في جميع الحملات التي نفذت ضد زناتة حلفاء خلافة قرطبة في منطقة تلمسان والمغرب الأقصى[85]، وكافأه الخليفة الفاطمي المنصور على جهوده وكلّفه بقيادة ولاية تيهرت المضطربة[86].

إن توسع المنطقة التي شملتها الأعمال المسلحة للأمير الزيري كما ذكر أعلاه، قد نتج عنه معارضة جعفر بن علي بن حمدون الذي رأى المساحة التي كانت تحت سيطرته تتقلص باستمرار، ثم انشق وانضم إلى زناتة ومعسكر الأمويين في قرطبة، وقد اصطدم هذا التحالف الجديد بتصميم الأمير الزيري؛ لكن في سنة: 360هـ/970م، وقع تحت ضربات خصومه في معركة عنيفة، وبعد بضعة أشهر انتقم له بلكين بن زيري التي تمكن من سحق زناتة وحلفائهم، مما سمح له بالسيطرة على منطقة شاسعة تمتد من بسكرة إلى تيهرت[87].

## 8. خاتمة:

أدت مغادرة الإسماعيليين لمراكزهم الدعوية الواقعة في إقليم كتامة إلى إعادة تنظيم المجال في شرق بلاد المغرب. بعد نجاحها في المناطق الداخلية، دشّنت سلالة الأئمة الفاطميين أول

توجه ساحلي لمراكز السلطة السياسية في تاريخ بلاد المغرب في العصر الوسيط. أصبح هذا الانتقال ممكنًا بفضل إصلاح الفكر العقدي والسياسي للإسماعيلية، ولا سيما من خلال إلغاء الدعوة المسيحانية للمهدي القائم واختراع مفهوم دار الهجرة. كان الهدف من استخدام هذا المفهوم العقدي والسياسي في السياق الفاطمي هو إضفاء الشرعية على نقل مراكز الدعوة والدولة إلى الساحل الشرقي لإفريقية، وكذلك الأهداف الإمبريالية للخلفاء. بينما كانت الأراضي الواقعة إلى الغرب من إفريقية (المغرب) خاضعة لأنماط مختلفة من الحكم الفاطمي.

لقد ثبت عدم فاعلية تعيين ولاة من كتامة الإسماعيلية في الولايات التي تضم جماعات معادية للفاطميين، وبناء على ذلك طوّر الخليفة المهدي سياسة جديدة للتحالفات السياسية مع قادة الجماعات المحلية، ولا سيما مكناسة وصنهاجة. على الرغم من الاضطرابات العديدة، تمكن الفاطميون بفضل هذه السياسة المدعومة بحملات التهدئة الكبرى من الاحتفاظ بمنطقة المغرب الأوسط؛ لكن كان على الخلفاء أن ينشروا قواتهم بانتظام للحفاظ على سيطرتهم، كما أدى نقل مركز نشاطهم إلى الشرق إلى تسريع انفصال أراضي المغرب الأوسط.

## 9. قائمة المصادر والمراجع:

### أ- المصادر:

1- جعفر بن منصور اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984.

2- جعفر بن منصور اليمن، كتاب الكشف، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983.

4- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال، 1969.

5- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972.

6- ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: أحمد جلول البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

7- ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، نشر، بيدرو شالميتا، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، 1979.

8- ابن الهيثم جعفر بن أحمد، كتاب المناظرات، نشر: ألفرد مادلينغ وبول ولكر في:

The Advent of the Fatimids. A Contemporary Shi‘i Witness, London , I. B. Tauris , 2001.

9- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط2، تح: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، 1983.

10- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، 1986.

11- إدريس عماد الدين القرشي، زهر المعاني، تح: مصطفى غالب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1991.

12- إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، تح: فرحات الدشراوي، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، تونس، 1958.

13- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، 1958.

14- مجهول، كتاب مفاخر البربر، تح:محمد يعلى، نشر في:

Tres textos sobre Berebéres enel Occidente Islámico Madrid, Consejo de Investigaciones Científicas.1996 .

15- المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1996.

16- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: حسين ناصر وعبد العزيز الأهواني، القاهرة، المؤسسة العامة للكتاب، 1983.

17- القاضي النعمان، الأرجوزة المختارة، تح: إسماعيل القربان وحسين بونوالة، مونتريال، جامعة McGill، 1970.

18- القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، بيروت، دار المنتظر، 1996.

19- القاضي النعمان، المناقب والمثالب، تح: مجيد بن أحمد العطية، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 2002.

20- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 2005.

21- القاضي النعمان، تأويل الدعائم، بيروت، منشورات مكتبة الأعلمي، 2006.

22- الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 2000.

23- الشيال جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002.

24- السجستاني أبو يعقوب، كتاب الافتخار، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984.

25- اليماني (محمد بن محمد)، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح: علي حسن موسى، نشر في: الستر والتقية في تاريخ الاسماعيلية، دمشق، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2009.

26- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977.

**ب- المراجع:**

**باللغة العربية:**

27- إسماعيل سامعي، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، 2010.

28- سيف الدين القصير، ابن حوشب والحركة الفاطمية باليمن، دمشق، دار الينابيع، 1993.

29- موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.

**باللغات الأجنبية:**

30- Brett Michael, The Rise of the Fatimids. The World of the Mediterranean and the Midlle East in the fourth century of the hijra, tenth century CE, Leyde, E. J. Brill, 2001.

31- Dachraoui Farhat, Le califat fatimide au Maghreb (296-362/909-973), histoire politique et institutions, Tunis, STD, 1981.

32- Daftary Farhad, Les Ismaéliens, trad. Zarien Rajan-Badouraly, Paris, Vrin, 2003.

33- ------, Légendes des assassins. Mythes sur les Ismaéliens, trad. Zarien Rajan- Badouraly, Paris, Vrin, 2007.

34- Halm Heinz, Le chiisme, trad. de l'allemand, Hubert Hugues, Paris, Presses Universitaires de France, 1995.

35- ------, The Empire of the Mahdi: the Rise of the Fatimids, trad. de l'allemand, Michael Bonner, Leyde, E. J. Brill, 1996.

36- ------, The Fatimids and their Traditions of Learning, Londres, I. B. Tauris, 1997.

37- Hamdani A. Sumaiya, Between Revolution and State. The Path to Fatimid Statehood. Qādī al-Nu'mān and the Construction of Fatimide Legitimacy, Londres, I. B. Tauris= , 2006.

38- -------, Idris, Hady Roger, La Berbérie orientale sous les Zirīdes, x-xiie siècles, Paris, Adrien-Maisonneuve, 1962.
39- Stern, Samuel M., Studies in Early Ismāʿilism, Jérusalem, The Magnes Press, Leyde, E. J. Brill, 1983.
40- Walker E. Paul, Exploring an Islamic Empire. Fatimid History and its Sources, Londres, I. B. Tauris, 2002.

**ج– الرسائل الجامعية:**

**باللغة العربية:**

41- يوسف بردودي، المذهب الإسماعيلي والعمران بالمغرب الأوسط، مذكرة ماجستر، إشراف: بوبة مجاني، قسنطينة، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2012.

**د. المقالات:**

**باللغات الأجنبية:**

42- Amara Allaoua « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibādites du Zāb (viii^e-xiv^e siècle », REMMM 132(2012), p. 115-135.
43- Canard Marius, « Une famille de partisans, puis d'adversaires des Fatimides en Afrique du Nord », Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Paris, Imprimerie officielle, II, Hommage à Georges Marçais, 1957, p. 33-49.
44- Dachraoui Farhat, « Contribution à l'histoire des Fatimides en Ifrīqiya », Arabica 8(1962), p. 189-203..
45- -------- , « L'Ifrīqiya à l'époque fatimide », Histoire de la Tunisie, vol. 2 : Le Moyen Âge, Tunis, 1974, p. 211-265.
46- Talbi Mohamed, « Ifrīqiya à l'époque aghlabide », Histoire de la Tunisie, vol. 2 : Le Moyen Âge, Tunis, 1974, p. 103-203.

**10. هوامش:**

[1]- Heinz Halm, The Empire of the Mahdi: the Rise of the Fatimids, trad. de l'allemand, Michael Bonner, Leyde, E. J. Brill,

1996, p: 5-51; Farhad Daftary, Les Ismaéliens, trad. Zarien Rajan-Badouraly, Paris, Vrin, 2003, p : 67-82.

[2] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 2005، ص: 23-25.

**المترجم**: في تفنيد وجود علاقة بين الداعيين الشيعيين أبو سفيان والحوالي وجعفر الصادق، وبيان أنهما إنما دخلا المنطقة في النصف الأول من القرن 3هـ/9م، انظر: حسين بوبيدي، "الداعيان الشيعيان: أبو سفيان والحلواني ببلاد المغرب دراسة في النصوص، ومقاربات حول مجالات النشاط والتأثير"، المعالم، 18(2015)، ص: 24-54.

[3] – سيف الدين القصير، ابن حوشب والحركة الفاطمية باليمن، دمشق، دار الينابيع، 1993، ص: 31-63.

[4] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 16-17.

Michael Brett, The Rise of the Fatimids. The World of the Mediterranean and the Midlle East in the fourth century of the hijra, tenth century CE, Leyde, E. J. Brill, 2001, p : 76-78.

[5] - Michael Brett, The Rise of the Fatimids, p : 85-99.

[6] – موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص: 137-138.

Michael Brett, The Rise of the Fatimids, p : 85-99.

[7] -ابن الهيثم جعفر بن أحمد، كتاب المناظرات، نشر: ألفرد مادلينغ وبول ولكر في:

The Advent of the Fatimids. A Contemporary Shi‘i Witness, LondonI, B. Tauris ,2001, p : 122.

[8] – حول تنظيم مجالس الحكمة عند الإسماعيليين أنظر:

Heinz Halm, The Fatimids and their Traditions of Learning, Londres, I. B. Tauris, 1997, p : 17-29, 56-70.

[9] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 58-59.

[10] – المصدر نفسه، ص: 6-57.

Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 103-107.

[11] - Farhat Dachraoui, Le califat fatimide au Maghreb (296-362/909-973), histoire politique et institutions, Tunis, STD, 1981,

p : 57-92 ; Halm Heinz, The Empire of the Mahdi, p : 101-120.

[12] - Farhat Dachraoui, «Contribution à l’histoire des Fatimides en Ifrīqiya», Arabica 8(1962), p : 89-102 ; Mohamed TALBI, «Ifrīqiya à l’époque aghlabide», Histoire de la Tunisie, vol. 2 : Le Moyen Âge, Tunis, 1974, p : 134-136.

[13] - Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 120-121.

[14] – اليماني محمد بن محمد، سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تح: علي حسن موسى، نشر في: الستر والتقية في تاريخ الاسماعيلية، دمشق، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص: 78–90.

Farhat Dachraoui, «L’Ifrīqiya à l’époque fatimide», Histoire de la Tunisie, vol. 2 : Le Moyen Âge, Tunis, 1974, p: 213.

[15] - Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 51-57 ; Michael Brett, The Rise of the Fatimids, p : 105-106 ; Sumaiya A. HAMDANI, Between Revolution and State. The Path to Fatimid Statehood. Qādī al-Nu‘mān and the Construction of Fatimide Legitimacy, Londres, I. B. Tauris, 2006, p : 6-7.

[16] - Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 104.

[17]-E.Paul WALKER ,Exploring an Islamic Empire. Fatimid History and its Sources, Londres, I. B. Tauris, 2002, p : 131-139.

[18] – ابن الهيثم، كتاب المناظرات، ص: 119.

[19] – اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص: 90.

[20] – يوسف بردودي، المذهب الإسماعيلي والعمران بالمغرب الأوسط، مذكرة ماجستر، إشراف: بوبة مجاني، قسنطينة، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2012، ص: 12.

**المترجم**: هذه الرسالة المسماة: الرسالة الإمامية إلى أهل الممالك اليمنية، التي نقلها هنا مؤلف المقال عن يوسف بردودي وقع سهو في نسبتها للقائم بأمر الله الفاطمي، لأنها تعود لأحد أئمة الشيعة الزيدية في اليمن، وهو: المنصور بالله القاسم بن محمد (1006–1029هـ/1597–1620م)، وقد أوضحت ذلك استنادا إلى مخطوط الرسالة ذاته، وإلى المصادر الزيدية في ترجمتي لمقال المؤلف: "التعمير البشري والتعريب في المغرب الإسلامي الوسيط: بلاد كتامة أنموذجا".

[21]- Saluel. M. Stern , Studies in Early Ismāʻilism, Jérusalem, The Magnes Press, Leyde, E. J. Brill, 1983, p : 149-152.

[22] – جعفر بن منصور اليمن، كتاب الكشف، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984، ص: 38–117. وحول العودة المتوقعة للمهدى القائم في الفكر الشيعي انظر:

Halm Heinz, Le chiisme, trad. de l'allemand, Hubert Hugues, Paris, Presses Universitaires de France, 1995 , p : 45-46.

[23] – جعفر بن منصور اليمن، سرائر وأسرار النطقاء، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984، ص: 254–255.

[24] - Sumaiya A. Hamdani, Between Revolution and State, p : 13-132.

إسماعيل سامعي، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة ببلاد المغرب العربي، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، 2010، ص: 37–110.

[25] – القاضي النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وآخرون، بيروت، دار المنتظر، 1996، ص: 183.

Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 159-168.

[26] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 74. وفي ص: 117 من افتتاح الدعوة نقرأ: "ذكر ابتناء أبي عبد الله بتازروت واتخاذها دار هجرة ومحاربته القبائل منها ... وابتنى أبو عبد الله بتازروت قصرا سكنه بنفسه وأقطع الأولياء دورا حوله، وارتحل إليه المؤمنون من كل ناحية وبنوا وسكنوا وأوطنوا وقوي أمرهم".

[27] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 176.

[28] – ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: أحمد جلول البدوي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص: 19.

[29] – جعفر بن منصور اليمن، كتاب الكشف، ص: 14.

[30] – السجستاني أبو يعقوب، كتاب الافتخار، تح: مصطفى غالب، بيروت، دار الأندلس، 1984، ص: 70–73.

[31] – الشيال جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002، ص: 48–51.

[32] – القاضي النعمان، تأويل الدعائم، بيروت، منشورات مكتبة الأعلمي، 2006، ج2، ص: 2.

[33] – القاضي النعمان، الأرجوزة المختارة، تح: إسماعيل القربان وحسين بونوالة، مونتريال، جامعة McGill، 1970، ص: 46.

[34] – ابن حمّاد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص: 23.

Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 168-210.

[35] - Sumaiya A. Hamdani, Between Revolution and State, p : 131-132.

[36] – القاضي النعمان، المناقب والمثالب، تح: مجيد بن أحمد العطية، بيروت، مؤسسة الأعلمي، 2002، ص: 392-395.

[37] – إدريس عماد الدين القرشي، زهر المعاني، تح: مصطفى غالب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، 1991، ص: 204-206.

[38] - Farhad Daftary, Légendes des assassins. Mythes sur les Ismaéliens, trad. Zarien Rajan- Badouraly, Paris, Vrin, 2007, p : 36.

وحول مشكلة أصول الفاطميين أنظر:

Michael Brett, The Rise of the Fatimids, p : 29-48.

[39] – إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، تح: فرحات الدشراوي، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، تونس، 1958، ص: 26.

[40] – اليماني، سيرة الحاجب جعفر، ص: 90.

[41] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 26.

[42] - E. Paul Walker , Exploring an Islamic Empire, p : 17.

[43] – ابن الهيثم، كتاب المناظرات، ص: 119.

[44] - Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 101-107.

[45] – موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص: 188.

[46] – القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص: 71-72.

[47] – القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص: 109، 254.

[48] - E. Paul Walker , Exploring an Islamic Empire, p : 24.

[49] – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط2، تح: ج.س كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، 1983، ص: 166.

[50] – تم شراء العبيد السود من زويلة، وهي واحة صغيرة في الصحراء الليبية، وقد أطلق عليهم مؤلفوا العصور الوسطى اسم: الزويليون.

[51] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 149.

[52] – المصدر نفسه، ص: 288.

[53] - Allaoua Amara, « Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibādites du Zāb (viii$^{e}$-xiv$^{e}$ siècle », REMMM 132(2012), p : 115-135.

[54] – ابن الهيثم، كتاب المناظرات، ص: 64.

[55] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 26.

[56] – المصدر نفسه، ص: 297.

[57] - Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 268.

[58] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 28.

[59] – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص: 153.

Michael Brett, The Rise of the Fatimids, p : 150.

[60] – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص: 175.

[61] – المصدر نفسه، ج1، ص: 185.

Heinz Halm, The Empire of the Mahdi, p : 267-266.

[62] – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص: 189.

[63] – المصدر نفسه، ج1، ص: 185.

[64] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 216.

[65] – ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، نشر، بيدرو شالميتا، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، 1979، ص: 255-261.

[66] – المصدر نفسه، ص: 369-373.

[67] – المصدر نفسه، ص: 373.

[68] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 71.

[69] – المصدر نفسه، ص: 187.

[70] – المصدر نفسه، ص: 231.

[71] – ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج1، ص: 198؛ مجهول، كتاب مفاخر البربر، تح: محمد يعلى، نشر في:

Tres textos sobre Berebéres enel Occidente Islámico Madrid, Consejo de Investigaciones Científicas, 1996, p : 131.

[72] – ابن حمّاد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص: 23.

[73] – مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، كلية الآداب جامعة الاسكندرية، 1958، ص: 172؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977، ج5، ص: 64-65.

[74] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 53.

[75] - Canard Marius, « Une famille de partisans, puis d'adversaires des Fatimides en Afrique du Nord », Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman, Paris, Imprimerie officielle, II, Hommage à Georges Marçais, 1957, p : 33-49.

[76] – ابن حمّاد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، ص: 24.

[77] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 70.

[78] – المصدر نفسه، ص: 207.

[79] – ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص: 460.

[80] – إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 222.

[81] – ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، مؤسسة جمال، 1969، ج6، ص: 153.

[82] – ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت، 1986، ص: 108؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983، ج5، ص: 168-170.

[83] – النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: حسين ناصر وعبد العزيز الأهواني، القاهرة، المؤسسة العامة للكتاب، 1983، ج، 24، ص: 160-161؛ إدريس القرشي، عيون الأخبار، ص: 14.

[84] – النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ص: 163.

[85] – المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1996، ص: 98-99.

[86] – ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972، ج2، ص: 343. الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 2000، ج، 15، 38.

[87] – مجهول، مفاخر البربر، ص: 133-134.

# المعتقدات الخرافية في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط

## (دراسة تاريخية أنموذجية)

# Mythical Beliefs in the Middle West during the Medieval Era (Prototype Historical Study)

**أ.أسماء حاج محمد**
جامعة البليدة2– علي لونيسي
ea.haddj-mohammed@univ-blida2.d

**تاريخ الاستلام**:2021-08-09 **تاريخ القبول**: 2021-10-10

**ملخص:**

يهتم هذا المقال بالموضوعات الخرافية التي لها تماس مباشر بالحياة الاجتماعية والتّصورات الذهنية البعيدة عن المنطق والعقل، والواضح تجذّرها لدى سكان المغرب الأوسط في العصر الوسيط في شكل معتقدات تلاءمت مع البيئة الاجتماعية وطريقة تفكير المجتمع الذّي أصبح هاضماً منساقاً وراء الخوارق بأنواعها، والتطيّر بقسميه التشاؤم والتفاؤل، ومصدقاً لأي رجل يخرج فيهم ويدّعي بأنّه المهدي المنتظر، دون أن نُهُمِّش قصص الجّن والغيلان.

**الكلمات الدالة: الخرافة – المعتقدات– المغرب الأوسط– التطيّر– الكهانة– الغيلان.**

**Abstract:**

This paper sheds light on the mythical topics that have a direct contact with the social life and the irrational and illogical intellectual imaginations. It is clear that these topics had been deeply rooted in the Middle West during the medieval era in the form of beliefs that went in harmony with the social atmosphere and the thought of the society which

accepted and followed all the supernatural forms and the superstitions either pessimistically or optimistically, and believed any man who claimed to be the expected Mahdi, in addition to the stories of jinn and ghosts.

**key words**: Myths- beliefs- Middle West- superstition- supernatural- Jinn and ghosts

---

## 1. مقدمة:

تختلف نظرة الباحثين المهتمين بالمرّكب الذهني للمجتمعات حول الكتابة في موضوع الخرافات اختلافاً يصل في غالب الأحيان إلى حدِّ التناقض حتى في ضبط مفهومها ودلالاتها، ففي الوقت الذّي اعتبرها البعض مجرد موروث شعبي حكواتي قصصي ذهب آخرون إلى دراستها كونها ظاهرة إنسانية تكشف عن عمق الأثر الذّي تخلفه الأزمات في النفسيات والعقليات، وبين ذاك وذاك تبّين أنّ الخرافات كظاهرة اجتماعية في جوهرها قائمة على القبول المغلوط للعديد من المعتقدات والأفكار دون أي عِماد عقلي أو منطقي، لابد من توصيف سياقات حضورها خاصة لدى ساكنة المغرب الأوسط طيلة الفترة الوسيطة، فالمصادر التاريخية زاخرة بالمعطيات التي تُشجعنا كباحثين على الخوض في هكذا نوع من البحوث.

وبما أنّ موضوع المعتقدات الخرافية قد نال حظّه الوافر من التقصي في المجال الأنثروبولوجي والاجتماعي وحتى الأدبي، كان لابد من اقتحام جدران النص التاريخية ونكشف عن:

– الخرافة كمفردة: ماهي صور تداولها في الذهنيات من خلال تشريح وجهات النّظر الحديثة.

– مظاهر حضور التفكير الخرافي: ماهي المعتقدات الأفكار التي عكست مدى انتشار الخرافات داخل النسيج الاجتماعي بالمغرب الأوسط في العصر الوسيط؟

وعلى هذا الأساس نستوضح تعدد النظريات والاتجاهات التي درست الخرافة، ونرصد تجارب ساكنة المغرب الأوسط مع المعتقدات الغيبية التي حاكت نفسيتهم وشعورهم وفق الاتجاهات التي فسّرت الخرافة.

## 2.الخرافة (المفهوم والدلالات الاصطلاحية)

في الوقت الذّي مثّلت فيه الخرافة واقعا ذهنيا معقدا ميز التاريخ الاجتماعي عبر العصور، كان من الصّعب جدا اتفاق الباحثين على تعريف واحد يشرح معناها، لذا استدعت الضرورة البحثية إرجاع الكلمة إلى أصلها لضبط دلالتها اللغوية، ثم رصد وجهات النظر المتنوعة التي تبنّت ضبط مفهومها.

### 2. 1 لغة:

أفادت الخرافة لغةً فساد العقل نتيجة التقدم في السِّن، وهي لفظة مشتقة من الفعل الثّلاثي "خَرِفَ" حاضره "يُخَرِّفُ "وفاعله "مُخَرِّف"[1]، واتصلت أيضاً بالحديث المستملح المكذوب، بحيث لُفِظت عند العرب براء مخفّفة[2].

وقيل أنّها اسم لرجل من بنى عُذرة[3] أو جُهينة[4]إختطفه الجِّن، ولّما رجع إلى قومه بعد مدّة طويلة صار يحدث قومه بما رأى في عالم الجّن، فوُصِفَتْ أحاديثه بالغريبة المكذوبة وقالوا فيها "أحاديث خرافة"[5].

يمكن القول ممّا سبق أنّ الخرافة في القواميس والمعاجم العربي ارتبطت بمجالس الحديث كنوع من أنواع الاستمتاع والترويح عن النّفس[6].

### 2. 2 اصطلاحا (دلالات وتناولات):

- **علم الاجتماع:**

عرّف علماء الاجتماع الخرافة superstitionsبأنّها جملة من الأفعال والألفاظ والأعداد التي تندرج ضمن التراث الشعبي للمجتمع لجلب السّعد أو صرف النّحْس[7]، ولعّل

هذا ما رسمته اعتقادات سكان مرسى الخرز الواقعة شرق مدينة بونة في التمائم[8] بحيث لا يكاد يخلوا أحد منهم من تميمة درءا للحسد[9].

- **علماء الفلسفة:**

اعتبرها الفلاسفة ممارسة معتقد ديني ينظر إليه على أنّه قلة عقل[10]، وهو تعريف قد يوقع البعض في إشكالية التشكيك في بعض الممارسات الغيبية التي جاءت في العقيدة الإسلامية، فالمعلوم أنّ الله تعالى لم ينزّل ما يتنافى مع طبائع العمران والعقول السليمة، إلاّ أنّه نزّل أمورًا لا يمكن للعقل البشري أن يدركها ولا يستطيع أن ينفيها أو يتناقض معها، فمن غير المعقول إذن أن نربط كل الممارسات الدينية الإسلامية بالتفكير الخرافي، لهذا وجب التوضيح أن الدّراسة لا تهدف إلى طرح أي نوع من أنواع التشكيك في العقيدة الإسلامية.

تؤكد حادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أَهّم بتقبيل الحجر الأسود الذّي يعتبر أحد شعائر الحج قال:" إنيّ أعلم أنَك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنيّ رأيت النبّي صلى الله عليه و سلم يقبّلك ما قبّلتك"[11]، وفي هذا القول ردّ على الجهالة التي كانت قبل الإسلام المعتقدة أن الحجر هو يد الله في الأرض يصافح بها عباده، ومن يقبله فقد نال بركة عظيمة[3]، وعليه فإنّ عمر رضي الله عنه قد نبّه المسلمين إلى خطر الانسياق وراء الخرافات القديمة المتعلقة بالحجر الأسود، و في الوقت قدم صورة حسنة عن كيفية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

- **علماء النفس:**

ذهب علماء النفس إلى اعتبار الخرافة مجرد عن تصور أو فكرة بعيدة عن الواقع، قائمة على التصور الخيالي في تفسير الظواهر ومواجهة المواقف، أمّا كونها ظاهرة اجتماعية فإنه يشترك في الاعتقاد بها عدد من أفراد المجتمع، يلجؤون إليها حين لا يجدون أسلوبا آخر أفضل منها يحقق لهم الإشباع النفسي القائم على الأمان والاطمئنان[12]، وهو تعريف له تماس مباشر

بالدّواعي النفسية التي أدت إلى الإيمان بالخرافة والمتمثلة في السّيطرة على الخوف الذي يتملك الفرد حين يبقى عاجزاً إزاء تحديات المجال الحيوي.

- **علماء الأدب:**

تظهر الخرافة عند مختصين في الأدب على شكل قصة أبطالها شخصيات عاقلة أو غير عاقلة وتصاغ نثرا أو شعرا، ولها دلالة الرمزية تعكس الملمح الثقافي المسيطر على مجتمع ما في مرحلة تاريخية معينة، فتبرز أحداثا وشخصيات وهمية عن طريق شخصيات واقعية لتسيطر على ذهن المتلقي أثناء سماعها أو قراءتها[13]، ويُستدل على هذا بالحكايات المنسوجة حول الغَيْلاَنْ[3]التي يصادفها النّاس فيالفلات[4]، فتتراءى لهم في الّليل وتعترضهم، فيتيهون في طريقهم بسبب الخوف، وحملت هذه القصص في جعبتها صورًا عن البطولة الخيالية لشخصيات معروفة[14]، على سبيل تقديم المثال يروي "الشيخ سيدي مخلوف أبركان"[15] أخوه أنّه صادف الشيطان في الصحراء وتهيأ له بالصورة التي هو عليها، فلّما قام له خاف وهرب منه، فبقي الشيخ يركض خلفه حتى توانى عن ناظريه[16] وبالتّالي لا يفوتنا القول أنّ هكذا قصص تدفع بعض الباحثين إلى تبني فكرة أن الخرافة هي قصة تكتمل حِبكتها بتوفر ثلاث عناصر السّارد أو الرّاوي، القصة، وأخيراً المتلقي المتفاعل مع القصة كأنّها حدث حقيقي.

يظهر مما سبق أنّ الخرافة مما سبق ذكره عن وجهات النّظر في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية قد أخذت أشكالا متعدّدة فهي مجموعة من التصورات والممارسات التي تتعارض والواقع الموضوعي، يشترك في الاعتقاد بها عدد من أفراد المجتمع لهم ثقافة فرعية مشتركة في نطاق المجتمع العام، وتتنوع عناصرها بتنوع الظواهر والمواقف التي تواجه الإنسان عبر الأزمنة، تم تداولها لأنّها وجدت تفسيرات ساذجة ساهمت في تحقيق الإشباع النفسي القائم على تحقيق الأمان والاطمئنان.

## 3. المعتقدات الخرافية المنتشرة في المغرب الأوسط في العصر الوسيط:

نشير في هذا الجزء من الدّراسة إلى مجموعة المعتقدات الخرافية المنتشرة في بلاد المغرب الأوسط، والتي حملت على عاتق المؤمن بها مهمة تأدية بعض الطقوس البعيدة عن العقل والمنطق والقريبة إلى السّحر والغيبيات، نقلتها لنا المصادر لتعكس من خلالها مدى تغلغل الخرافات سواء كفكرة أو قصة أو معتقد في المجتمع ولعّل أبرزها:

### 3. 1 التنجيم بين العلم واِدِّعاء معرفة الغيب:

بلغ التنجيم[17] في بلاد المغرب الأوسط مبلغا عظيما إلى حد تضلع بعض الحُكّام في تعلم حركة النجوم، لعّل أبرزهم حكام بني رستم كالإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/ 854-872م)[18] والإمام يعقوب بن أفلح(ت310هـ/922م) الذّي روي عنه أنّه لما كان في طريقه إلى ورجلان أنّه نظر إلى الطالع فتنبأ بذهاب ملك بني رستم على يد بني عبيد، وأخبر قومه بذلك قائلا: "لا يجتمع منكم اثنان إلاّ كان عليهم الطلب، افترقوا فقد انقضت أيامكم، وزال ملككم ولا يعود إلى يوم القيامة"[19].

ولم تكن نساؤهنّ أقل تمكنا من الرّجل فقد أشاد بعض مؤرخيهم ببراعتهن[20]، يقول الإمام عبد الوهاب (ت190هـ /806م) فيهن:" ما عذا الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم أين يبيت القمر"، ولعّل أشهرن الأميرة أخت الإمام أفلح التي كانت تجادل أخاها في مسائل التنجيم، حتى قيل أنّها تفوقت عليه مرة في أمر بقرة التي كانت ستذبح في السوق، فأخبرها أفلح أن البقرة صفراء في بطنها عجل به غُرة على جبهته، فقالت له: "صدقت هي بقرة صفراء وفي بطنها عجل، غير أن الذّي رأيته هو طول ذنبه الأبيض تعممّه على جبهته"[21].

تؤكد المصادر أنّ المنجِّمين بلغوا من المكانة إلى درجة تصنيفهم ضمن الفئات المحسوبة على السلطة، حالهم من حال الأطباء والكتاب، مهمتهم تقديم الاستشارة للحكام[22] في مُقدّمتهم المنجّم علي ابن أبي الرجال التاهرتي (ت462هـ /1034م) الذّي وجد لنفسه مكاناً في بلاط الفاطمي وبني زيري معاً[23]، ومثله محمد ابن النّجار (ت749هـ/1350م)[24]

الذّي اشتهر بتضلّعه في معركة حركة النُّجوم بمختلف أحكامها وقواعدها فاستخلصه السّلطان الزيّاني أبي تاشفين لقضاء حاجاته[25].

تتراءى أيضاً مبالغات الاعتقاد المطلق في كلام المنجِّمين عند الرّحالة القزويني الذّي يبدو أنّه قَبِل أن يُدرج العجيب والغريب في كتابه، ويظهر ذلك من خلال القصة التي سردها عن أحد أثرياء مدينة شرشال الذّي أخبره المنجمون أنّ ابنه ستصيبه لدغة عقرب، فخاف عليه من الهلاك وبنى له قصراً من الحجر حتى لا تتولد العقارب في حجراته ولا تصعد إليه من ملاسته، لكن في أحد أيام حُملت عقرب إلى داخل القصر في سلّة بها العنب، ولدغت الفتى فمات[26].

### 3. 2 النّظر في الكتف[27]

يشير المؤرخ النويري (ت732هـ/1332م) إلى قبيلة صنهاجة وأميرها مناد حين اعتقد في كلام الرّجل الغريب الذّي نظر في كتف الشّاة قائلا:" إن كانت لك زوجة حامل فاحتفظ بها، فإنّها ستلد لك ولدًا يملك كل المغرب ويملك أولاده من بعده"، فأكرمه لقراءته تلك وقال له:" والله مازلنا نتوقع زمان هذا القائم منا، وهي نبوءة سمعناها من أسلافنا"، وكان ذلك الطفل زيري بن مناد (ت 360هـ /971م) مؤسّس دولة صنهاجة بالمغرب الأوسط[28].

إنّ سبب تصديق سكان المغرب الأوسط لهذه القراءات يعود إلى خرافة قديمة تقول أنّ الماشية قد لعقت من التوراة حين ألقى النبيّ موسى عليه السّلام الألواح لهذا فهي مباركة في نظرهم[29] بما في ذلك قبيلة الزناّتة بحيث لا يتردد الإدريسي في ذكر براعة أبنائها في قراءة الكتف "وكان لقبائل الزناتة معرفة بارعة وحدق وكياسة، ويد جيدة في علم الكتف ولا يدري أحد من الأمم أعلم منهم بعلم الكتف"[30].

### 3. 3 الكهانة[31]:

يقودنا هذا العنصر للحديث عن "الكاهنة داهيا"[32] التي ذاعت شهرة تنبؤاتها عموم بلاد المغرب زمن الفتوحات[33]، في المرّة الأولى عندما خرجت ناشرة شعرها تضرب على صدرها

تخبر قومها أنّ خيل العرب أقبلت إليكم بقيادة حسّان ابن النّعمان [34] وفي المرّة الثانية حين أعلمت قومها باقتراب نهايتها على يديه قائلة لهم:" إنّي مقتولة وأعلمتهم أنها رأت رأسها مقطوعا موضوعا بين يدي ملك العرب"[35].

يرى أحد الباحثين أنّ الكهانة في بلاد المغرب عموماً هي صناعة مخصوصة على النسّاء[36]، إذ نادرا ما تشير المصادر التاريخية إلى كُهّان رجال، عدا عاصم بن جميل زعيم قبيلة ورفجومة حوالي 140هـ /757م الذّي ادّعى النبوة، واتبع سبيل الكاهنة في التنبؤ بالغيب وصّدقه الكثير من الناس وانساقوا خلفه[37]، وهنا لابد أن نشير إلى سذاجة المصدّقين لهؤلاء المتنبئين فكم من فيهم ادعى النُّبوَة، فقبلوا به وزاعموه[38]، بل أكثر من ذلك خلعوا عليهم ثوب المهابة والتبجيل وهذا ما يدعمنا به الوزان عن كاهن البطحاء"سينا" وكيف بالغ النّاس في تقديسه و تعظيمه دون أن يقول أو يفعل أو يخترع لهم شيئا، بما فيهم السلطان الزياني الذي كان يخشاه نتيجة امتلاكه لكتب السحر[39].

### 3. 4 خط الرّمل:

يندرج خط الرّمل ضمن أصناف العرافة[40]، يعمد محترفه برسم أشكال على الرّمل[5] فيؤدي من خلالها معلومات للمتردد تخص مستقبله، ومن أمثلة ما يسأل عنه حدوث الزواج أم لا، القراءة للبغض أو المحبة بين المتزوجين[1]، حصول الكسب من التجارة أو معرفة حال المريض وغيرها من أمور التي تبحث في مستقبل الأشخاص من السعد والنحس[41]، ولعّل أشهرن هو محمد ابن تومرت[42] الذّي ثبت عنه اطلاعه على المؤلفات السّحرية أثناء إقامته في المشرق[43] منها كتاب الجفر[44]، دون أن نغفل عن ذكر أبو عبد الله الزناتي المغربي الذي ساهم في تطوير طريقة التنقيط على الرّمل وله في هذا الباب العديد من المؤلفات منها: كتاب "فصول في علم الرمل وفي بيان شرائط الرمل" وكتاب "حلول الإشكال" كلّها مخطوطات غير محققة[45].

### 3. 5 التطيّر[46] بين التشاؤم والتفاؤل:

أفاد الونشريسي أنّ سكان المغرب الأوسط قد تشاءموا من أشياء كثيرة، لعّل أبرزها كنس البيت بعد سفر أحد أفراد الأسرة خوفا عليه من عدم الرجوع[47]، وكذلك إعارة الغربال، إذ نجدهم إذا طلبه أحدهم يقومون برشه بالملح ثم يجعلون في وسطه حجرا تحرزّا من يضع لهم السّحر داخله[48]، وحتى بئر أبي عبد الله ابن مرزوق ت781هـ/ 1379م[49] فقد زعموا أنّ سلاطين بني زيان إذ لم يفطروا عنده قبل خروجهم إلى معركة ما مسّهم أثر ذلك[50].

لم يقتصر الأمر هنا بل تتابعت إلى التشاؤم بالمدن كمدينة تنس حيث انتشرت خرافة عن هواءها الشرير الذي يصيب كل غريب يدخلها فيموت، حتى قيل فيها:

**أيُّها السّــائل عن أرض تنس بلد اللؤم لعمري والدَّنسْ**

**بلد لا ينزل القطر بها للندى في أهلــِــها حرف دَرسْ**

**فُصَحاء النُّطق في لا أبدا وهــــم في نعم بكو خرسْ**

**فمتى تلعن بلادا مرّة فاجْعلِ اللــعنّة إذا في تَنَسْ[51]**

الملفت للنّظر ممّا سبق أن القلق الدّاخلي من المشاكل والأزمات هو الذّي يدفع المؤمنين بالتطيّر إلى أفعال أدائية لدرء شّر الأشياء التي تشاءموا منها، لكن رغم ذلك يبقى عبارة منتوج وهمي باعثه الأساسي عدم قدرة الإنسان إمّا تحكيم العقل والمنطق عند حدوث الأزمات.

أمّا التفاؤل فقد ارتبط في ذهنية السّاكنة بجلب النفع، ما أدى إلى قيامهم ببعض الطقوس لتَكسبّه، منها الآذان لحظة توديع المسافر حتى يعود إليهم سالما من سفرته[52] وكذلك التفاؤل باللّبن ليلة أوّل محرم من السنة الهجرية الجديدة وهي عادة مخصوصة حتى تكون السّنة بيضاء دون مصائب كلونه.

في حين يذهب جمهور آخر إلى التفاؤل بفتح المصحف بالرغم من النهي الفقهاء على أخذ الفأل من المصحف[53]، إلاّ أنّ الأمر تعدّى إلى منصب القضاء في تاهرت، فإذا رُفعت جناية ولم يجد لها أثراً، لجأ القاضي عندهم إلى فتح المصحف على وجه الفأل بأنّ الأمر عندها

من الله، وفعلا حدث ذلك حيث فتح القاضي على قوله: **[سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومْ]**[54] فجذع للجاني أنفه[55].

لنستكمل مظاهر حضور التفاؤل المكتسب عند السلاطين فها هو أبي عنان المريني(ت759هـ/1358م) المتجه إلى المغرب الأوسط في رحلته الشهيرة "الحركة السعيدة"[56] فقبل خروجه من القصر وصله خبر الرجل الصالح الذي كان يتذاكر مع خاصة السلطان أخبار هذه الرحلة و كان بين يديه كتاب لا يعرف عنوانه، فقرر فتحه بنية الفأل لما نوى عليه السلطان، فنظر هو الحاضرون لأوّل صفحة من الكتاب وقرأ ما جاء فيها:" صنع الله لكم في هذه الحركة الميمونة صنعا يفتح شرقا و غربا، ويملككم رقاب الورى عجما و عربا، ويثني إليكم أزمة القلوب ودّا و حبّا"، فلمّا سمع أبي عنان هذا الفأل استأنس به و تشجع فيما هو مقدم عليه[57].

### 3. 6 المهداوية من الأحاديث النبوية إلى الدّعاية الخرافية:

يُعد الإيمان بظهور المهدي المنتظر[58] في آخر الزمان من المعتقدات المسَّلِم بها عند المسلمين، لأنّ لها أصل من الوحي المنزل، لكن خيال الإنسان المدفوع باضطرابات الحياة جعلته يضفي على هذا الأصل الكثير من المبالغات، معبرًا من خلالها على أمله في التغيير[59]، فصارت الفكرة عبارة عن شبه قصة وهمية خيالية استغلها الكثير من الرّجال في بلاد المغرب الإسلامي من أجل تحقيق مآربهم السياسية ولعّل أبرزهم أبو عبيد الله المهدي 260-322هـ/873-933م الذّي عمِل على تأصيلها عن طريق أسلوب الدّعاية فتّأملت كتامة المغرب الأوسط في قدرته على إحداث إصلاح شامل مرتقب تتحكم في سيرورته العدالة الإلهية[60]، خاصة بعد ما جاء أبو عبد الله الشيعي( ت298هـ /910م) الذّي أخذ يتكلم عن المهدي ويشوقهم إليه بقوله:" إنّ للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيـــها الأخيار ، من أهل الزمان ، قوم مشتق اسمهم من الكتمان، فأنتم هم كتامة، و بخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيار"[61].

الظّاهر أنّ المهداوية اكتسب أرضية رصينة وأصبحت أداة ضمان الولاء والتبعية، وربّما هذا ما يفسر نجاح محمد ابن ت 524ه/ 1130م في تنفيذ مخططه السياسي، خاصة أنّه حاول استقطاب عامة بلاد المغرب من خلال خلقه لشخصية أسطورية نافذة مستغلا حب النّاس لآل البيت[62] وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى رأي ياقوت الحموي في أهل المغرب:" فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا، وكم زاعم فيهم أنّه المهدي الموعود به فأجابوا داعيه، ولمذهبه انتحلوا"[63].

## 3. 7 تمثلات الشياطين والغيلان:

يقول المسعودي أنّ الغول "حيوان شاذ من جنس الحيوان مشوّه لم تحمله الطبيعة وأنّه لما خرج منفرداً في نفسه وهيئته توحش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الانسان والحيوان في الشكل"[64]، استمر سرد القصص الخرافية المرتبطة به عند السّاكنة ظنّا أنّ الشياطين والغيلان تتدخل سلبا فتؤثر في حياتهم[65]، فتعاظمت صورته وخضعت للكثير من المبالغات، وهذا استغله السحرة والعرافين فأوهموا العامة بقدرتهم على التفاهم معهم، وحدثوهم عن قصص خرافية كثيرة متعلقة بهم[66] .

ووصلت درجة التخيّل في الغيلان أنّ عند أهل قسنطينة إذ اعتقدوا بأن هناك قصرا بمدينتهم تسكنه الشيّاطين التي طردها المسلمون بعد دخولهم إلى المغرب الأوسط، وهذا القصر في الحقيقة ما هو إلاّ قصر النّصر الذّي يعود زمنيا إلى الحقبة الرّومانية[67]، وصدّقوا أن بإمكانهم تقديم يد العون في الأزمات، لذا سعوا لاسترضائهم وتقديم القرابين إليهم خاصة أثناء الحروب، وعلى سبيل تقديم النّموذج كان أفراد قبيلة بني ورسيفان أحد بطون مغراوة إذا أرادوا تحقيق النّصر في معاركهم لابد لهم من ذبح البقر الأسود للشياطين معتقدين أنّهم سيربحون بفضل مساعدتهم لهم[68].

### 3. 8 الكرامات الأولياء بين المعقول واللاّمعقول:

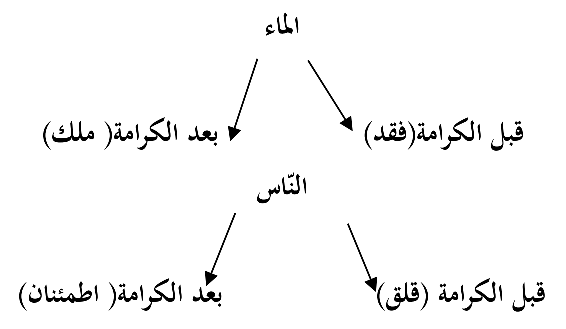
ارتبطت الكرامة في الذهنيات بمدلول صوفي صَرِفْ، اعتبرها البعض مجرد مشاهدات سحرية وظواهر خرافية خارقة يختص بها الوّلي، وظلّت محل جدل واسع إمّا لإثباتها أو نفيها، تجسد ذلك في آراء أعلام المذاهب الفقهية والفلاسفة والمتصوفة أنفسهم الذين استماتوا في الدفاع عنها وجعلوها من الممكنات الثابتة التي أخبر بها النّص القرآني، مثل كرامة السيدة مريم المرأة الصالحة التي كان يأتيها رزقها إلى بيتها[69].

دعم هذا الموقف أعلام المذهب المالكي كابن رشد الجد (ت520هـ/ 1026م) الذّي أغلظ على النّاكرين لكرامات الأولياء وأفتى بوجوب التصديق بها واعتبر إنكارها زيغا وظلالا[70] في حين صرّح المعتزلة بإنكارها إذ رأوا فيها تجاوزا لمدركات العقل وخرقا لقوانين الطبيعية[71] ووضعوها في ميزان اللامعقول بحجة أنّهم لو أثبتوها لما فرّقوا بينها وبين معجزات الأنبياء[72]، فالمتصوف بحكايته الخارقة ألغى كل المفاهيم المتعلقة بحدود قوة الإنسان، باعتبار أنّ طي الأرض والطيران في الهواء أو التكلم مع الحيوان و ترويضه كلها أمور بعيدة عن الطبيعة ليس لها علاقة بمستوى التدين العالي للوّلي[73].

وما يهمنا تحديدا هو ذكر نماذج لكرامات تندرج ضرورة في خانة الخرافة كالعلاقة التي جمعت مؤمن الجان بأولياء المغرب الأوسط، فأبو يعقوب التفريسي مثلا كان مـــن بين الأولياء القلائل الذّين تناقلت كتب المصادر عنهم أنّه يرى صورهم ويقرأ عليهم القرآن في مسجده،[74]، والعالمان الفقيهان حسن بن علي المسيلي وإبراهيم المصمودي فقد قيل أنّهما كانا يتذاكران طريقة التجويد مع مؤمنهم، بعدما اجتهدوا في تعليمهم الأحكام، وتخبر المتون أنّ النّاس كانوا يسمعون كيف صوت العصا التي تقول بضربهم بغية تعليمهم[75].

ما يجب توضيحه بعيدا عن القصص الخرافية أنّ الكرامات في عمومها هدفت بالفعل إلى تحقيق نوع الإشباع النفسي القائم على الطمأنينة ويظهر ذلك في كرامة الاستسقاء واستجابة

الدّعاء حين أصاب القحط سكان تلمسان فاستسقوا- استغاثوا- بالشيخ أبي زكرياء بن يوغان الصنهاجي (ت 537ه/ 1142م) فسقوا[76].




وبالتالي أظهرت الكرامة قدرات عديدة للأولياء منها ما نختم به وهي المكاشفة فهذا الشيخ محمد الهواري الذي كان يجلس إلي النّاس يكاشفهم بأحوالهم ويطلعهم على ما يضمرون من سفر أو زواج وغير ذلك ثم يأخذ في كلام، حتى ضرب به المثل في قدرته على الاطلاع[77].

برهنت هذه الصفحات المصدرية المتعددة أنّ المتصوفة بالمغرب الأوسط قد حظي معظمهم بحيز واسع من التقدير والتبجيل لأجل ما اضطلعوا عليه من أدوار ساعدوا بها السّاكنة خاصة أثناء الأزمات كالجفاف مثلاً [78] فألفت فيهم كتب كثيرة أسهبت في ذكر أثارهم وفضائلهم وكراماتهم[79]، هذه الأخيرة التي شكلت تاريخيا ظاهرة وجدانية حسّية ربطت بين الواقع والخرافة بين مصدق ومشكك إلى يومنا هذا[80].

**الخاتـــــــــــــــــــــــمة**

خَلُصَ البحث إلى جملة من الاستنتاجات يمكن إجمالها على النحو التالي:

-المعتقدات الخرافية هي تلك التصورات التي عبرّت عن تأملات المجتمع اتجاه أزمات الحياة، ويلاحظ ذلك من خلال مجالات حضورها في الذهنيات حيث أخذت صيغا عديدة أفرزتها اكراهات الواقع المعاش.

-ظهر إيمان الساكنة بالسّحر والتنجيم والتمائم والكرامة والتطيّر مدفوعا بالميولات العاطفية الهادفة لمعرفة المستقبل ودرء الشّر وجلب الخير، لكنّهم بذلك تجاوزوا تعاليم الدّين الإسلامي ومرّروا رغباتهم السياسية –مدعو المهداوية والكاهنة– والاجتماعية بحجة تحقيق المصلحة العّامة.

-تبقى الخرافة في المغرب الأوسط مرتبطة ببعض الحوادث التاريخية دون أن تعطي مبرراً لوجودها وتغلغلها إلاّ أنّها لا تخلو من كونها أحد عوامل الدّاعمة لانتشار التـــــخلف في الأوساط الاجتماعية.

## قائـــــــمة المصادر والمراجع:

[1] – ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم أبي الفضل الإفريقي المصري(ت711هـ/1311م): لسان العرب، ط1، دار الصادر، بيروت، ج9، ص 62.

[2] – الجوهري اسماعيل بن حماد(ت391هـ/1002م): الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، ج4، ص1349.

[3] – احدى القبائل عرب الشمال تنسب إلى عذرة بن سعد احدى بطون قضاعة، اشتهروا بتغلب العشق والهوى على حياتهم، تتوزع مضاربهم بين الحجاز وبلاد الشام. القلقشندي أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ /1355م): قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1982، ص49.

[4] – تنتسب كذلك إلى قضاعة، تتوزع مضاربهم في شمال الحجاز. القلقشندي، نفس المصدر، ص42،43.

[5] – عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت حدّث ذات ليلة النبي صلى الله عليه وسلم نساءه حديثا فردت إحدى نساءه قائلة: كأنّ الحديث حديث خرافة، فقال: ((أتدرون ما خرافة؟ إنّ خرافة كان رجلا من عُذرة أسرته الجّن في الجاهلية، فمكث فيهم دهرا ثم رَدُّوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال النّاس: حديث خرافة)). الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى(ت679هـ/1280م): الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، د ر ط، مكة المكرمة، 1993، ص 208.

[6] – ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص65.

[7] – أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1987، ص415.

[8] – التمائم: مفرد تميمة وهي كل ما قُلد في أعناق البهائم أو ابن آدم من قلائد بها ألفاظ أو معوذات خشية العين أو قصد درء كل أنواع البلاء سواء قبل أو بعد الوقوع. النّمري ابن عبد البُّر القرطبي (ت463هـ/973م): التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: محمد بوخبزة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المغرب، 1986، ج17، ص 162.

[9] – البكري أبو عبيد الله (ت 487هـ/1094م): المغرب في أخبار إفريقية والمغرب، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 55.

[10] – أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعليق، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001، ج1، ص1387.

[11] – ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني(ت852هـ/1448م): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق : عبد العزيز ابن باز، المكتبة السلفية، السعودية، د ت ، ص 364.

[12] – عبد الرحمن عيسوي: سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، الدار الجامعية، ط1، الإسكندرية، 2006، ص17.

[13] – هاني كايد: ميثولوجيا الخرافة والأسطورة في علم الاجتماع، دار الرواية، ط1، عمان، 2010، ص14

[14] – سالم ناصر العظيمي: "الأساطير والخرافات في كتابات الرحالة العرب المسلمين والمشارقة (132-656هـ/750-1258م)"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، جامعة واسط، العراق، 2017م، ص195.

[15] – الشيخ العالم الولي الصالح الشهير بسيدي الحسن أبركان ابن مخلوف بن مسعود بن سعد الراشدي ت857هـ/1453م من مشاهير الأولياء بمدينة تلمسان له الكثير من الكرامات والمكاشفات ينتمي إلى قبيلة مزيلة التي تنحدر من بني راشد، اعتكف للدراسة والتعلم، ثم انتقل الى تلمسان وأخذ الفقه الصوفي على كبار مشايخها منهم ابراهيم المصمودي. ابن صعد محمد الأنصاري التلمساني ت 901هـ/1496م: روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق: يحي بوعزيز، منشورات أناب، ط1، الأبيار، الجزائر، 1994، ص 135.

[16] – ابن مريم المليتي المديوني التلمساني(ت1014هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: الصديق محمد الصالح، منشورات السهل، ط1، الجزائر، 2008م، ص99.

[17] – هو علم تخميني يهتم والغرض فيه الاستدلال من أشكال الكواكب وقياس بعضها إلى بعض وقياس ذلك كله على الأرض في جملة ما يكون من الأحوال في الممالك والبلدان والمواليد والتسيير والاختيارات والمسائل. ابن سينا أبي علي الحسين بن عبد الله (ت427هـ/1037م): تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، دار العرب للبستاني، ط2، القاهرة، د ت، ص110.

[18] – الشّماخي أحمد بن سعيد بن الواحد (ت 865هـ/1460م): السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، سلطنة عمان، 1992، ج1، ص142.

[19] – أبو زكرياء يحي بن أبي بكر (ت471هـ/ 1078م): سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1982، ص 189.

[20] – الشّماخي، المصدر السابق، ج1، ص142.

[21] –- نفسه، ص 142.

[22] – مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط2، الدار البيضاء، المغرب،1979، ص40.

[23] – ابن عذاري المراكشي (ت712هـ/1312م): البيان المعرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج، س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983، ج1، ص 273،274.

[24] – أبو عبد الله محمد بن يحي بن النّجار الإمام الفقيه نخبة وقته من أعيان المالكية بتلمسان ولد ونشأ بها، كانت لديه سيادة على أهل وقته في التعاليم والمعقولات، فلم يبخل بعلمه على خدمة أبي تاشفين، ولما استولى أبي الحسن على تلمسان ألزمه خدمته، ورافقه إلى إفريقية، توفي بالطاعون الجارف مع جملة من أعيان المغرب سنة 749هـ/1350م وقيل أنّه تنبأ بوقت موته. ابن مرزوق أبي عبد الله محمد التلمساني (ت781هـ /1379م): المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص 192.

[25] – ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت808هـ/1406م): التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص 48.

[26] – القزويني: زكرياء ابن محمد ابن محمود(ت682هـ/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت، ص 139.

[27] – هو البحث في الخطوط والأشكال التي ترى في أكتاف الضّأن والمعز إذا قوبلت بشعاع الشمس، فتدل تلك الرموز على أحوال العالم الأكبر من حروب وفتن وخصب وجدب. حاجي خليفة: كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ص141.

[28] – النويري عبد الوهاب شهاب الدين ابن أحمد(ت733هـ/1332): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983، ج24، ص 87.

[29] – الونشريسي أبو العباس أحمد يحي (ت 914هـ / 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف للمملكة المغربية، 1981م، ج5، ص 189

[30] – الإدريسي أبو عبد الله محمد الحموي (ت 560هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج1، ص 257.

[31] – يخبرنا ابن خلدون أنّ الكهانة تتعلق بصنف آخر من البشر ناقص عن درجة الأنبياء نظرا لفعلهم القائم على التضليل، والكاهن في العادة قادر على التنبؤ في الجزئيات أكثر من الكليات، وإدراك الغيب عنده يتسنى من خلال النظّر في الأجسام الشفافة كالمرايا وطساس المياه وعظام الحيوانات وقلوبها وأكبادها، وفيهم من ينظر في الحصى والحبوب كالحنطة وكل هذه الأشياء موجودة في عالم الإنسان ابن خلدون عبد الرحمن(ت808 هـ/1408م)، )، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق : خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ،2001 م، ج1، ص 125-127.

[32] –هي داهيا بنت نيعان بن بارو بن بن جراو، كان لديها ثلاث إخوة استبدت بهم وأخذت الرياسة منهم بفضل ما كان لها من الكهانة والمعرفة بالغيب، وقيل أنّها ملكت عليهم خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة، أمّا عن بداية حكمها فقد قيل أنّ بربر المغرب الأوسط رجعوا إليها بعد قتل كسيلة وانضوى تحت سلطانها بنو يفرن وسائر قبائل الزناتة. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 12،13.

[33]– "إنّ الكهانة تكون مع الشيطان (...) وأنّ الشياطين تسترق السمع و تلقيه على ألسنة الكهان، فيؤدون إلى الناس الأخبار بحسب ما ورد إليهم" المسعودي أبي الحسن (ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت،2005،ج2،ص133.

[34] – ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص36.

[35]– ابن عبد الحكم أبي القاسم عبد الرحم بن عبد الله (ت257هـ/870م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق: شارلز توري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د ت، ج2، ص201.

[36]– إدموند دوتي: السحر والدين في شمال إفريقيا، ترجمة: فريد زاهي، دار رؤية، ط1، القاهرة، 2018، ص 467.

[37]– ابن خلدون، العبر، ج7، ص150.

[38]– ياقوت الحموي شهاب الدين الرومي البغدادي (ت626هـ/1228م) : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ص369.3.

[39]– نفسه، ص 369.

[40] – الوزان الحسن بن محمد المعروف باليون الإفريقي (ت 957هـ/1559م)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، ج1، ص 263،262

[41] – ابن خلدون، العبر، ج1، ص 141.

[42] – تعرض لشخصيته أكثر من مؤرخ كلّهم بين معارض ومؤيد لنسبه الشريف: هو محمد بن عبد الله بن كليد ابن يامصل حمزة بن عيسى بن عبيد الله ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب. محمد ابن تومرت: أعز ما يطلب، تحقيق: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، 1997، ص 21.

[43] – عبد الواحد المراكشي محي الدين بن علي التميمي (ت 647هـ/1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، 1994، ص156.

[44] – هو كتاب زعمت الشيعة أنه من علوم أهل البيت ونسبته للصحابي علي ابن ابي طالب رضي الله عنه دون فيه الأحداث قبل وقوعها، وسمي علم الجفر يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم، وتنسب إلى هذا الكتاب خرافة تداولها الناس بأن الجفر هو كلام أخذ من ألواح النبي موسى عليه السلام فاستودعه في جبل إلى زمان الرسول صلى الله عليه و سلم الذي دعا بعد ذلك عليا رضي الله عنه و أعطاه إيّاه وأمره أن يضعه تحت رأسه، فأصبح وقد علمة الله بعد ذلك كل شيء. مجهول: جفر الجامع والنور اللاّمع، تحقيق:_حسن البري، مكتبة فارس حسن الساعدي، البحرين، 1870، ص 16.

[45] – أبو عبد الله الزناتي المغربي: في بيان شرائط الرمل، معهد الثقافة والدراسات الشرقية، جامعة طوكيو– اليابان، ورقة 01.

[46] – لغة: مأخوذة من الطير وأصل فعلها تطيّرت، وتكون في التشاؤم والتسعّد تقول العرب: لا فأل عليك، وقالوا أيضا: تطير بالشيء أي تفاءل به أو تشاءم منه، قال الزمخشري:" الفأل والطيرة قد جاءا في الخير والشر، واستعمل الفأل فيما يكره أكثر واستعملت الطيرة في الشر أوسع. الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث: تح: محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، ط2، دار عيسى بابي الحلبي وشركاؤه، دمشق، 1971، ج3، ص86.

– اصطلاحا: تضم الطيرة التفاؤل والتشاؤم معا وهي تهيئة العقل لحدوث أمر جيد أو سيء نتيجة مصادفة شيء مرئي أو مسموع أو معلوم. جابر زايد عبد السيمري وعبير سليمان محسن الطرطور: "التطير مفهومه وآثاره وسبل معالجته"، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 18، ع01، فلسطين،2010، ص 6.

[47] – الونشريسي، المصدر السابق، ج2، ص 489.

[48] – ابن الحاج محمد بن محمد المالكي الفاسي (ت737هـ/1336م): المدخل، دار التراث، د م، د ت، ج1 ، ص 279.

[49] – الونشريسي أحمد ابن يحي ت914هـ/1508م: الوفيات للونشريسي، تح: محمد بن يوسف القاضي، ط1، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص 65،64

[50] – التنسي أبو عبد الله محمد (ت 899هـ/1493م): تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، ط1، الجزائر، 2011م، ص123.

[51] – مجهول، مصدر السابق، ص 133.

[52] – الونشريسي، المعيار، ج2، ص 489.

[53] – التنسي، المصدر السابق، ص 123.

[54] – سورة القلم: [الآية 16].

[55] – القزويني، المصدر السابق، ص 111.

[56] – الحركة السعيدة: هي الرحلة التي خطط لها أبي عنان سنة 758هـ/ 1357م شرق بلاد المغرب تحديدا قسنطينة وبلاد الزّاب، انطلقت الرّحلة من مدينة فاس ليصل إلى طولقة في حدود بسكرة، تمكن خلالها من

توسيع دائرة نشاطه العسكري وسيطر على تونس وعنابة وقسنطينة وبلاد الزاب، دامت هذه الرحلة حوالي ثمانية أشهر. ابن الحاج النميري ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم (ت 768ه/ 1367م): فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 72 وما بعدها.

[57] – نفس المصدر، ص 162،161

[58] – هو الرجل الذّي بشرت به الأحاديث النبوية أنّه سيخرج في آخر الزمان لهذا قيل المهدي المنتظر. عبد العليم عبد العظيم البستوي: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، دار ابن حزم، بيروت، 1999م، ص28.

[59] – نفس المرجع السابق، ص 6.

[60] – محمد غانم: " ظاهرة المهدي المنتظر في المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين" ، مجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية، ع11، الجزائر 2000م، ص 12،11.

[61] – القاضي النعمان (346ه/957م): افتتاح الدّعوة، تحقيق: فرحات الدّشراوي، الشركة التونسية وديوان المطبوعات الجزائرية، ط2، تونس، الجزائر، د ت، ص 48.

[62] – عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت حياته وآرائه الفكرية والاجتماعية أثره في المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 113.

[63] – الحموي شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرّومي البغدادي ت 626ه/1228م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993، ج1، ص 369.

[64]– المسعودي أبو الحسن علي ابن الحُسين (ت 346ه/958م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، الشركة العالمية للكتاب، ط2، بيروت، 1990، ج2، 135.

[65] – محمد العادل لطيّف: الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، دار زينب للنشر، ط1، تونس، 2019م، ص 142.

[66] – الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 263.

[67] – نفس المصدر السابق، ج2، ص 59.

[68] – البكري، المصدر السابق، ص ص 189،188.

[69] – سورة آل عمران: [الآية 37].

[70] – ابن رشد ابي الوليد محمد ابن أحمد القرطبي المالكي(ت520هـ/1126م): فتاوى ابن رشد، تحقيق: مختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987م، ج1، ص580.

[71] – الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم(ت548هـ/1153م): الملل والنحل، تحقيق: أحمد الفهيمي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1992م، ص38.

[72] – ابن تيمية أبو العباس تقي الدين الحراني (ت728هـ /1328م): النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف، ط2، السّعودية، 2000م، ص 1031.

[73] – ابن حزم علي بن أحمد القرطبي الأندلسي (ت 456هـ/1063م): المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ج1، ص36.

[74] – ابن خلدون يحي أبي محمد بن الحسن الإشبيلي (ت 789هـ/1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك بن بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانة المشرفية، الجزائر، 1903م، ص35.

[75] – الغبريني أبو العباس أحمد (ت 714هـ/1314م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، 1979م، ص34.

[76] – التادلي يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات (ت617هـ/1220م): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء ،1997 م، ص 124.

[77] – ابن صعد، المصدر السابق، 54، 55.

[78] – محمد كمال كامل: التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في العصر المريني (668- 879هـ/1268-1469م)، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2014م، ص 173.

[79] – محمد العمراني: "كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية"، مجلة أمل، المغرب، ع35، 2009م، ص 54

[80] – الطاهر بونابي: "الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط (8 -9هـ/ 14-15م)" مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2009م، ص 633.

# الوحدات العسكرية الرومانية بموريطانيا الطنجية (الأجنحة والكتائب أنموذجا)

# The Roman military units in Mauritania Tangitana (Ala,Cohors)

**مهني السالك، جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس–فاس**

**salek.mihni@usmba.ac.ma**

**تاريخ الاستلام**: 2021-08-08 **تاريخ القبول**:2021-09-19

**ملخص**:

بعد ضم ولاية موريطانيا الطنجية إلى ممتلكات الإمبراطورية الرومانية، شرعت هذه الأخيرة في اتخاذ مجموعة من الإجراءات العسكرية لضمان الأمن والاستقرار بها، حيث قامت بإنشاء منظومة دفاعية متميزة، تجسدت بالخصوص في استقدام وحدات عسكرية من أجنحة وكتائب، متمركزة في عدة معسكرات شيدت في مختلف مناطق ولاية الطنجية، بموازاة ذلك عملوا على إنشاء شبكة من الطرق تربط بين هذه المعسكرات ومجموعة من أبراج المراقبة لتيسير عملية التواصل بينها، وحماية المنطقة ومراقبة تحركات القبائل المورية والتصدي لهجماتهم القوية.

وتثبت الأبحاث الأثرية التي همت مناطق عديدة من موريطانيا الطنجية، وجود العديد من الشهادات العسكرية كانت كفيلة بتحديد الوحدات العسكرية التي توافدت على المنطقة خلال الفترة المبكرة من الإمبراطورية الرومانية (42م–284م)، وقد بينت هذه الشواهد حضور وحدات عسكرية متعددة اختلفت أصولها وأوقات تواجدها بالولاية، وكانت أسباب تواجدها مشتركة ألا وهي الاضطرابات التي تسببت فيها قبائل موريطانيا الطنجية الرافضة لكل أشكال الوجود الروماني بالمنطقة.

الكلمات المفتاحية: موريطانيا الطنجية؛ الجيش الروماني؛ الأجنحة؛ الكتائب؛ الشـــهادات العسكرية.

**Abstract:**

After the annexation of the province Mauritania Tingitna to the possessions of the Roman Empire, this latter took several military measures to ensure security and stability, as it established a distinct defensive system, embodied in particular by bringing in military units from wings and battalions, stationed in several camps built in various regions of the province of Tangitana, in parallel, they worked to establish a network of roads linking these camps and a set of watchtowers to facilitate the process of communication between them, protect the area, monitor the movements of the Mauri tribes and confront their strong attacks.

Archaeological researches, which concerned many areas of Mauritania Tangitana, proves the existence of many military testimonies that were able to identify the military units that flocked to the region during the early period of the Roman Empire (42AD-284AD). The reasons for their presence were common, namely, the disturbances caused by the Mauritania Tangitana, who rejected all forms of Roman presence in the region.

**Keywords:** Mauritania Tingitana; The Roman army; Cohors; Ala; Military diplomas.

**مقدمــة**

اعتمدت روما في بسط سيطرتها ونفوذها بموريطانيا على قوات الجيش الروماني، منذ أن قرر الامبراطور كلاوديوس ضم موريطانيا إلى الأملاك الرومانية للقضاء على ثورات القبائل المورية. فقد عملت روما بعد تثبيت سيطرتها على المنطقة وفق تنظيم محكم لحماية ومراقبة الإقليم على تشييد مجموعة من المعسكرات الرومانية في مختلف جهات الإقليم والتي عرفت توزيع منتظما وكثيفا، كما عمدت إلى جلب مجموعة من الوحدات والقوات العسكرية موزعة بشكل جيد على هذه المنشآت، واختلفت أعدادها بشكل كبير خلال فترات الاحتلال الروماني.

قسم الرومان جيشهم ببلاد المغرب القديم إلى ثلاثة أقسام، وجعلوا على رأس كل قسم قيادة عسكرية مستقلة، وفي الظروف الاستثنائية تتطلب جمعها تحت سلطة قائد واحد عند الضرورة لضمان نجاح العمل العسكري، فكانت مقسمة على النحو التالي: جيش أفريكا ونوميديا (Ercitus Africae)، وجيش موريطانيا القيصرية Ercitus (Mauritanicus) وجيش موريطانيا الطنجية (Ercitus Tangis)، حيث كانت تشكيلة جيش أفريكا ونوميديا مكونة من الفيلق الأغسطي الثالث، وهو جيش نظامي عكس الجيوش الأخرى بالولايات الموريطانية التي كانت مكونة من الوحدات المساعدة (Auxilia).[1]

ومن الراجح أن الجيش الروماني المساعد بالموريطانيتين لم يكن يشمل على نسبة ملحوظة من أبناء السكان المحليين، إذ كان يرسل هؤلاء إلى ولايات أخرى، تجنبا لما يمكن أن يحدث من مشاعر معادية للوجود الروماني بين الجنود المحليين في الوحدات المساعدة وبين قومهم الثائرين، وخاصة في المرحلة المبكرة من الاحتلال الروماني.[2]

ولعل ما يثبت هذه الفرضية ما ورد عند الباحث كانيا (Cagnat.R) أثناء حديثه عن الجيش الروماني، أن نسبة المجندين من السكان المحليين في الوحدات المساعدة لجيش الموريطانيتين قد ارتفعت مع بداية القرن الثاني الميلادي[3].

تشير النقائش اللاتينية إلى هذه الوحدات المساعدة باسم(Auxilia) ، وهي عبارة عن وحدات في الجيش الروماني، غير أنها لا تتمتع بالمواطنة الرومانية، لأن أصول أفرادها عبارة عن شعوب حليفة أو خاضعة لروما، واستخدمت هذه الوحدات بأعداد متزايدة لدعم الفيالق الرومانية في المعارك، وظهروا بوضوح منذ عهد الإمبراطور أغسطس الذي استعان بهم، وقد تزايد عددهم حتى أصبحوا يشكلون في بعض الأحيان نفس عدد قوات الفيلق، ولم يكونوا مشاة فقط، بل نجد كتائب مساعدة من الخيالة وأخرى متخصصة مثل كتائب النبالين، وأخرى كتائب خيالة بسيطة[4].

ومنذ القرن الثاني الميلادي أصبحت تشكل هذه الكتائب المساعدة ثلثي الجيش الروماني، ويتم تجنيد هذه الكتائب من سكان أجانب (Pérégrins)* داخل أراضي الإمبراطورية، وكذلك السكان القاطنين خارج أراضي الإمبراطورية (Deditici)، غير أن تجنيد هذه الوحدات كان مؤقتا وآنيا، فكانت روما تجندها أثناء الحملات العسكرية وتحلها بعد نهاية مهمتها[5].

كانت هذه الوحدات المساعدة تتكون من ثلاثة أنواع : وحدات الفرسان (Ala) ووحدات المشاة (Cohors) والوحدات المختلطة (cohors equitata)، لكن الشيء المميز في العهد الامبراطوري تجلى في ظهور وحدات جديدة أطلق عليها اسم الوحدات الألفية milliaria (units)، وقد شمل هذا النوع من الوحدات جميع أنواع الوحدات المساعدة

equitata,cohors,ala (cohors)، في حين كانت الوحدات المساعدة قبل ظهور هذا النوع من الوحدات يطلق عليها ما اقترح على تسميته بوحدات خمسمائة (units quingenaria).[6]

مكنت الشهادات العسكرية من شواهد قبور وإهداءات عثر عليها بموريطانيا الطنجية، من التعرف على أسماء مجموعة من الوحدات العسكرية استقرت بهذه الولاية خلال فترات مؤقتة، لتعزيز الجيش الروماني في صد ثورات القبائل المورية، إلا أنها لا تسعفنا في معرفة كل التفاصيل الكاملة حول جميع الوحدات العسكرية. ومن هنا نتساءل عن كيفية وصول هذه القوات إلى موريطانيا الطنجية؟ وماهي المهام التي خولت لها، وما هي مميزاتها وأماكن استقرارها؟

## أولا: الأجنحة العسكرية بموريطانيا الطنجية

تألفت هذه الوحدات من الفرسان بشكل كامل، وتعني كلمة (Alae) باللغة اللاتينية "الجناح"، ويقصد به الخيالة أو الجناح الخاص بالفرسان، وكانت ضمن القوات التي أرسلت إلى موريطانيا الطنجية، لتأمين الحماية للمشاة وشن الهجمات وملاحقة العدو، أو للتخفيف عن القوات عند الانسحاب، وهي وحدة خيالة يقدر عدد قواتها نظريا ب500 جندي ويرأسها قائد (Préfet)، ونميز بين نوعين من الأجنحة: جناح الفرسان الخمسمائة (Ala quingenaria)، وجناح الفرسان الألفية (Ala milliaria)[7].

### 1- الجناح الأغسطي الغالي الأول Ala I Augusta Gallorum

أخذ هذا الجناح اسمه من الامبراطور أغسطس، ويحتمل أن هذا اللقب منح للوحدات المساعدة تيمنا بالامبراطور أغسطس الجليل،ويظهر من اسم هذا الجناح أنه جند من بلاد الغال

خلال الفترة الأغسطية، واستقر في إسبانيا سنة 40م قبل أن يصل إلى موريطانيا الطنجية، كما تدل على ذلك العلاقة التي جمعت بين الحاكم وأهالي كلونيا (Clunia) خلال هذا التاريخ، إلا أن تاريخ انتقاله إلى الطنجية يبقى مجهولا، ويشهد فقط بتواجده في هذا الإقليم سنة 88م، خاصة بعد العثور بمعسكر طوكولوسيدا الذي يبعد على وليلي ب 4,5كلم على شاهد قبر لفارس من هذه الوحدة[8].

وحسب بعض الباحثين، فقد تبين من خلال قراءتهم للشاهد السابق الذكر، الكشف عن مجموعة من النقاط المهمة مثل إعادة اسم الفارس، وعدد سنوات هذا الفارس في الخدمة العسكرية. فإذا كان عدد سنوات الخدمة عادة ما يعرف للجنود، فإنه لا يمكن أن ينطبق على سن هذا الجندي، هذا الأخير الذي يدعى (Esdopeles) حدد عمره في (36 سنة)، ومن المحتمل أنه أضيف إليه عدد سنوات عمره المفترض خلال عملية التجنيد (15سنة)[9].

أما البعض الآخر فيقترح فرضية تبدو أكثر قبولا، ذلك أن اسم الجندي يشير إلى أصول إسبانية، والذي ولد في ليكوس أوغسطي (لوكو) ((Lucus Augusti(Lugo) في كاليسيا (Galice)، هذه الأخيرة استقطبت عدد من القوات المساعدة خلال القرن الأول والثاني الميلاديين[10].

يبدو أنه من الصعب تحديد تاريخ هذا الشاهد في ظل غياب عدة مؤشرات، كافتقار اسم الجندي المتوفى إلى تبجيل وابتهال الآلهة المانوية (Dieux mânes)، ومع ذلك فتحديد رقم تسجيل الشاهد مع الإشارة إلى عبارة (Turme)* وغياب المختصرات، كلها عناصر يحتمل أنها تشير إلى تأريخه بمنتصف القرن الأول الميلادي[11]. غير أن البعض الآخر [12] يرجح أنه يعود إلى بداية القرن الثاني الميلادي، وذلك بالاعتماد على الاختلافات الواردة في نقيشة

طوكولوسيدا وشاهد قبر لفارس من الجناح التوريايي التوركاطي Torquata (Tauriana) عثر عليه سنة 1788 في إسبانيا بكالاهورا (Calahorra)، ويعود تاريخه إلى عهدي فيسباسيانوس (Vespasianus) (69م–79م) ودوميسيانوس (Domitienus) (81م–96م)[13].

وعلى خلاف نقيشة كالاهورا، فشاهد قبر الجندي (Att(ius) Esdopeles)) لا يحمل أية إشارة لأصوله، ولاسيما أنه تم استبدال عبارة (stipendiorum) ب (aera)، وهي عبارة اتسمت بها القوات الاسبانية خلال القرن الأول الميلادي[14]، فمن جهة أصبح استعمال عبارة (aerum)[15] المضافة نادرا خارج شبه الجزيرة الايبيرية بعد الفترة اليوليوكلاودية (27ق.م–68م)، ومن جهة أخرى فإن الإشارة إلى (Turme) ووجود صيغ متقدمة مثل Hic situs [est], Cura(m) egerunt h[eredes] ou [sit tib]i ter[ra levis] ) تجعلنا نفترض أنها تعود إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي بدل الفترة الأنطونينية (96م–192م)[16].

وحسب بعض الدارسين فالجندي (Att(ius) Esdopeles) تنحذر أصوله من دون شك من لوكو (Lugo) ، إذ جند خلال الأربعينيات من هذا القرن الأول أثناء إقامة الوحدة الغالية بشبه الجزيرة الايبيرية قبل الانتقال إلى موريطانيا الطنجية، وأنه وجد متوفيا في جنوب هذا الإقليم خلال الفترة الفلافية (69م–96م)[17]. وتبقى هذه الحجج والأدلة عبارة عن فرضيات فقط، ذلك أنه من الصعب الاعتماد على اسم الجندي المتوفى في عملية تحديد العلاقة بين هذين الشاهدين.

وطنت الباحثة روكسان[18] موقع هذا الجناح في تمودة وطنجة خلال القرن الرابع، لكن في القرن الثاني استقرت بصفة دائمة في جهة وليلي. وفي الواقع فإن معسكر طوكولوسيدا الذي بني مابين سنتي (75م-115م) كان بإمكانه استقبال هذا الجناح على غرار الجناح الحميري الأول (ala I Hamiorum) المشار إليه خصوصا في شمال الولاية[19].

إن حضور الجناح الأغسطي الأول في المنطقة التابعة لوليلي، مؤكد من خلال الإشارة إلى فارس من الجناح موضوع على قاعدة تمثال عثر عليها بوليلي، وشهادة لدكيريون (Décurion) الجناح، ونقيشة مشوهة بمعسكرعين الشكور، فضلا عن شاهد قبر لفارس من الجناح بطوكولوسيدا، ويعود تاريخها إلى ما بين سنوات 151-160[20].

## 2- جناح جيميليانا Ala Gemelliana

فيما يخص هذا الجناح، يجب أن نميز بين جناح جيميليانا الذي ورد في شهادة بناصا سنة 88م، وجناح يحمل نفس الاسم كان حاضرا في إقليم النوريك (Norique) واستقر في ريتي (Rhétie) خلال بداية القرن الثاني الميلادي[21]. فمن الصعب القول بأن نفس الوحدة عرفت تحركات بين الطنجية والمناطق الدانوبية كما تشير إلى ذلك الباحثة ماركريت روكسان[22]، حيث تمت الإشارة إليها في شواهد موريطانيا الطنجية المؤرخة بسنوات 117/114م، 122م و 129م، وأيضا في شواهد ريتي (Rhétie) المؤرخة ب 125/121م و 128/125م[23]، فمن المحتمل إذن وجود جناحين لجيميليانا، أحدهما تابع لجيش موريطانيا والآخر متمركز في نوريك (Norique) ثم في ريتي (Rhétie).

لا يعرف مسار جناح جيميليانا بموريطانيا الطنجية قبل ظهور شواهد بناصا سنة 88م. فحسب بعض الباحثين فإن هذا الجناح قدم من بلاد الغال، ومن المرجح أن جزء منه جند في وقت لاحق من إسبانيا. وقد عثر بطنجي على شاهد قبر يدل على قدوم فرسان هذا الجناح من جنوب شبه الجزيرة الايبيرية، وهي نقيشة لفاليريا باستيلا (Valeria Bastula) تنحدر من مدينة قرطبة (Cordoue) في البيتيك، وهي أم الفارس فالريوس سيفيريوس (Valerius Severus) الذي ينتمي لجناح جيميليانا[24].

يطرح هذا الشاهد عدة إشكاليات انطلاقا من تاريخه بالاعتماد على مميزاته الشكلية، ووجود مواطن روماني في هذا الجناح يدعى C(ivium) R(omanorum) خلال سنة 114م، وتقدم الباحثة حمدون[25] تاريخ هذه النقيشة ببداية القرن الثاني الميلادي. غير أن إسم هذا المواطن الروماني لا يمكن اعتباره معيارا حاسما في التحديد، ولا يتعلق بتمييز شرفي ولا بوصف قانوني، لأن المواطن الروماني يمكن تجنيده في وحدة لا يمكن أن تسمى بعد بوحدة المواطنين الرومان[26].

من جهة أخرى فإن نوع النصب التذكاري (لوحة من الرخام)، وعلم الباليوغرافيا، واسم المتوفى لم تتم الإشارة فيه إلى الآلهة المانوية، وهي كلها مؤشرات توحي بأن تاريخه يعود إلى حوالي الربع الأخير من القرن الأول الميلادي، بدل فترة حكم تراجانوس (98م-117م)[27].

بالإضافة إلى ذلك، فالفارس فاليريوس سيفيريوس يفترض أن تكون أصوله من إقليم البيتيك ووالدته من قرطبة مثل أوريكو (Origo)*، التي ازدادت خلال فترة حكم أغسطس (27ق.م-14م) أو تيبيريوس (Tiberius) (14م-37م). فمن خلال المعلومات الراهنة إلى جانب عدم الإشارة إلى أب الفارس يظهر أنه يحمل لقب أمه، فالفارس فاليريوس سيفيريوس

ازداد خلال عهد تيبيريوس أو ربما خلال فترة حكم كلاوديوس (41م–54م)، وبدأ خدمته العسكرية كفارس في حوالي 20 سنة خلال سنوات 60م [28]. والراجح إذن أن هذا الفارس أقام في إسبانيا قبل أن يتوجه إلى الطنجية، كما هو الحال بالنسبة للجناح الأغسطي الغالي والجناح التوريياني[29].

تبث وجود هذا الجناح بموريطانيا الطنجية بعد العثور في معسكر تاموسيدا على آجور مختوم يحمل عبارة (Al(a) G(emellian)[30]، كما تؤكد ثلاث نقائش تمركزه في واد سبو، وفي تاموسيدا شاهد قبر لقائد (decurion) أصبح دومفير (Dumvir) لمستوطنة (Babbensis)، كما عثر على شهادة منحت لفارس الجناح في سنة 124م، وأخيرا شهادة أخرى عثر عليها بتاموسيدا ناقصة مؤرخة في 28 مارس 118م، وحسب بعض الباحثين يفهم من هذه النقيشة الأخيرة التي تحمل العبارة التالية (ex gregale alae Gemellianae) أن مصطلح (Ex gregale) ينطبق على جنود الأجنحة أكثر من جنود الكتائب[31]، أما شاهد قبر الخاص بأم أحد فرسان الجناح التي عثر عليها بطنجي[32] فلا يمكن اعتبارها دليلا على تمركز هذا الجناح.

## 3-الجناح الأول الفلافي الغالي التوريياني I (Flavia) Gallorum Tauriana victrix

حمل هذا الجناح اسم الامبراطور فلاڤيوس، وأطلق عليه لقب فكتريكس (Victrix)، ويعني المنتصرة، وربما أطلق هذا اللقب على الوحدات التي حققت انتصارات كبيرة. قدم هذا الجناح من (lugdunensis) في بلاد الغال قبل الفترة الفلاڤية (69م–96م)، وكان مرابطا هناك حسب النقائش، وقد ورد ذكر هذا الجناح في أحداث غير معروفة وقعت أثناء ثورة

(Vindex)، والتي أوقدت الخلاف القديم بين ليكدونوم (Lugdunum) و فيينا (Vienna) من جديد بسبب الحرب، ويبدو أن ليكدونوم قد ساندت نيرون (Nero) ( 54م–68م) عندما ثار ضد كالبا (Galba) (68م–69م) في سنة 68م، ثم جندت بعد ذلك من جديد إلى إيطاليكا (Italica). وعلى أية حال، فعندما أعلن الامبراطور عن اغتيال كالبا ثارت القوات الجرمانية تحت قيادة فيتلوس[33].

ويبدو أن حاكم ليكدونوم جلب معه فيلقا إيطاليا، وجناحا من الفرسان التورياني كان يتمركز في ليكدونوم، وربما يرجع ذلك إلى أنشطته في إخماد ثورة الباثافيان (batavian) خلال سنة 70–71م، ومن المعروف أن المحطة المقبلة لهذا الجناح كانت هي موريطانيا الطنجية ، إذ تم التعرف عليها من خلال مجموعة من الشواهد العسكرية[34].

اندمج الجناح الغالي التورياني في الجيش النظامي قبل نهاية حكم أغسطس (27ق.م–14م) أو تحت حكم تيبيريوس (14م–37م)، ومن المحتمل أنه كان جزء من جيش شبه الجزيرة الايبيرية خلال تلك الفترة[35]. فخلال الحرب الأهلية سنة 69م كانت محصورا في ليون، ثم غادر إلى إسبانيا حوالي 70–71م قبل أن يتوجه إلى موريطانيا الطنجية حيث تبث حضوره هناك سنة 88م[36].

وقد سجل أثناء إقامته في اسبانيا استعمال نقائش الجنود، حيث عثر بوليلي على شاهد قبر لفارس (éduen) من الجناح التورياني، من المرجح أنه يرجع إلى الفترة الفلاڤية (69م–96م)، والذي وظف فيه اسم ((aer(um)) للإشارة إلى عدد سنوات الخدمة[37]. فهذا الاسم الأخير يعتبر من مميزات النقوش الجنائزية لقوات شبه الجزيرة الايبيرية خلال القرن الأول الميلادي، استعمل من طرف الجنود الذين ينتمون إلى هذا الجيش، وحتى بعد رحليهم من

اسبانيا بصرف النظر عن موطنهم الأصلي [38] . فشاهد قبر الفارس (éduen Cosuobnus) يوضح أهمية هذا الاستخدام المستورد من شبه الجزيرة الايبيرية، بعد انتقال الجناح الغالي التورياني التركاتي (Ala Gallorum Tauriana torquata) إلى موريطانيا الطنجية.

إن الآثار المتبقية من طرف هذا الجناح هي قليلة العدد، ولا تحمل أي دليل قاطع، فالشهادتين اللتين عثر عليهما ببناصا، الأولى مؤرخة في 122م والثانية مؤرخة ما بين 129 و 132م، تعتبران غير كافيتين كدليل على وجود هذه الوحدة في واد سبو. كما عثر بوليلي على شاهد قبر لجندي (éduen) من المرجح أنه سابق لسنة 122م، غير أنه لا يقدم أي مؤشر على تموقع هذا الجناح، لكن إذا كان الترتيب جغرافيا فيجب على الجناح أن يستقر إما في ناحية سبو وإما في شمال الإقليم[39].

## 4- الجناح الأشتوري الثالث III Astrum pia fidelis ciuiumn Romanorum

حمل هذا الجناح لقب بيا فيديليس (Pia Fidelis)، ويعني المخلصة والوفية، وقد أطلق هذا اللقب على الوحدات التي ظلت وفية للأباطرة الرومان أثناء الثورات والأزمات. وقدم هذا الجناح خلال الفترة الأغسطية من الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية في وقت لاحق، وكان ما يزال حاضرا في إسبانيا في بداية القرن الأول الميلادي، إذ تم الكشف عن شاهد قبر لجندي توفي بعد خمس سنوات من الخدمة العسكرية في هذه الوحدة بمدينة سكونت (Sagonte) [40] ، ويدعى هذا الجندي الذي يعود أصله من شمال غرب إسبانيا بإيلايسوس(Elaesus)، ويلقب بكويلو(Coelo) ذو القرابة الاثنية

Coelerni/Coelerini) وهو لقب وظفه بلينيوس الشيخ وبطوليمي للإشارة إلى شعب من منطقة براكا (Braga)[41]، وكل هذه الإشارات المستعملة من أجل تحديد الوحدة من البعد الاثني واسم الجندي المتوفى، كلها عناصر تعود بدون شك إلى النصف الأول من القرن الأول الميلادي[42].

ويقترح الباحث بول هولدر (Paul Holder) فترة الإمبراطور كلاوديوس (41م-54م) أو نيرون (54م-68م) دون الإشارة إلى أدلته[43]، أما الباحث كيزا ألفودي Alföldy (Géza) فبمراجعة شاهد القبر يقدم عنصرا جديدا يؤيد التاريخ القديم، ويتمثل في جزء خلفي من شاهد من الحجر الجيري منقوش في نقيشة ثانية وذلك قبل عهد نيرون، مما يدل على إعادة استعمالها في وقت لاحق[44]. ومن المرجح إذن أن الجندي (Elaesus) قد خدم خلال عهد أغسطس وتوفي خلال حكم هذا الأخير، بل حتى تحت حكم الإمبراطور تيبيريوس (14م-37م)[45]. هذه الفرضية الأخيرة التي أرخت لشاهد قبر الجندي بالربع الأول من القرن الأول تبدو أكثر قبولا، فالجناح الأشتوري الثالث إذن كان مستقرا إلى حدود هذه الفترة في إسبانيا (Citérieure).

يمكن أن نستنتج إذن أن هذا الجناح قد جند من الشمال الغربي لشبه الجزيرة الايبيرية في عهد أغسطس، وأقام في إسبانيا (Citérieure) قبل مغادرته إلى الطنجية ربما خلال فترة إلحاق موريطانيا سنة 40م، وبقي بعد ذلك تابعا لهذه الولاية الموريطانية.

فيما يخص مؤشرات تموقع هذا الجناح فهي قليلة، إذ تم العثور على شاهد قبر بتاموسيدا، ويبدو أنها لجندي من الكتيبة الأشتورية الثالثة [46]، وبعين الشكور كشف عن نقيشة

غير مؤكدة لمحارب سابق استقر بهذه الجهة، ومؤرخة لما بعد 161م، لأنه إلى غاية هذا التاريخ كان هذا المعسكر محتلا من طرف الكتيبة الأشتورية الأولى والكاليسية [47].

وتشير إحدى النقائش إلى تموقع هذا الجناح في شمال موريطانيا الطنجية خلال بداية القرن الثالث الميلادي، وتحمل هذه النقيشة اسم جندي في هذا الجناح يطلق عليه (praepositus castelli Tamudensis)، وهي صفة منحت لجندي هذا الجناح لأداء مهام مؤقتة[48]. وبالتالي يمكننا القول أن هذا الجناح لم يستقر في جنوب الطنجية فقط، ولكن أيضا في شمالها وأغلب الظن في معسكر تمودة .

## 5- الجناح الحميري السوري الأول I Hamiorum Syrorum sagittaria

فيما يتعلق بهذا الجناح، منحت شهادة في سنة 109م إلى جندي Ex (gragale) لجناح عثر عليه في بناصا، وكذا شاهد قبر في طوكولوسيدا، غير أن الآثار التي تركتها هذه الوحدة كثيرة في شمال الإقليم، وتتمثل في : شاهدي قبرين لجنديين من الجناح كانا مدفونين في طنجة، وشاهد قبر لجندي سوري في القصر الكبير، وهو أب الجندي المدفون في طوكولوسيدا[49].

وحسب بعض الباحثين[50]، فإن الجنود الثلاثة السوريين ينتمون إلى هذا الجناح، واستقروا بالقصر الكبير خلال نهاية القرن الأول أو في النصف الأول من القرن الثاني الميلاديين، ويبدو

أن هذا الجناح كان متمركزا في شمال الإقليم، وبدون شك في أوبيدوم نوفوم Oppidum (Novum).

تدل أقدم الشواهد العسكرية المتعلقة بالوحدات المساعدة لهذا الاقليم بوجود خمس أجنحة خلال الفترة الممتدة ما بين 88-109م، ويؤرخ لأقدم شهادة اكتشفت بالطنجية بحوالي 9 يناير 88م، أما الشهادة الثانية فيؤرخ لها ب 109م، وفي هذه الوحدات الخمس يعتبر الجناح الحميري الأول ذو الأصول السورية هو الجناح الوحيد الذي لم يمر من شبه الجزيرة الإيبيرية قبل نقله إلى موريطانيا الطنجية، حيث تأكد وجوده في نهاية القرن الأول الميلادي من خلال ثلاث شواهد قبور بطنجة والقصر الكبير وطوكولوسيدا[51].

وبخصوص الأجنحة الأربعة المتبقية فالجناح الأشتوري الثالث قدم من إسبانيا، أما الجناحين الآخرين، الجناح الأغسطي الغالي الأول والجناح الغالي التورياني الأول فقد أقاما في شبه الجزيرة الأيبيرية قبل أن يستقرا في الطنجية. أما بالنسبة لجناح جيميليانا فمساره غير معروف إلى حد كبير، وربما ارتبط مصيره بالوحدات الثلاث السابقة.

ولذلك مثلت شبه الجزيرة الايبيرية ممرا متميزا للأجنحة التي شكلت الجيش الأول لموريطانيا الطنجية. وإذا كانت واحدة من بين الأجنحة الخمس وردت في شهادة 88م، فالجناح الأشتوري الثالث يتضح أنه من أصل إسباني، ومن المحتمل أن الوحدات الثلاث الأخرى أقامت في شبه الجزيرة الايبيرية ويتعلق الأمر بالجناح الأغسطي الغالي الأول والجناح التورياني التركاتي، وجناح جيميليانا الذي استقدم في البداية من بلاد الغال، وانتقل خلال فترة معينة إلى شبه الجزيرة الايبيرية. فهل ينطبق نفس الشيء إذن على كتائب موريطانيا الطنجية ؟

### ثانيا : الكتائب العسكرية بموريطانيا الطنجية

شكلت الكتائب المساعدة جزء هاما ومعتبرا من الجيش الروماني بموريطانيا الطنجية، وتعتبر هذه الكتائب (Cohorte) النوع الأكثر شيوعا، وربما تتكون من جنود المشاة فقط، كما نجد بها بعض كتائب الفرسان، ويتم التمييز بين نوعين من الكتائب : كتيبة الخمسمائة تضم نظريا حوالي 500 جندي، ويرأسها قائد (Préfet)، وكتيبة ألفية وهي الأخرى يقدر عدد جنودها نظريا بألف جندي، ظهرت في القرن الأول الميلادي ويقودها قاض عسكري (Tribun)[52].

#### 1- الكتيبة الإترورية الأولى I Ituraeorum ciuium Romanorum

تشكلت هذه الكتيبة في ظل ظروف الأزمة التي واجهتها سوريا في بداية القرن الميلادي الأول، حيث فرضت سيطرتها على السكان العرب : الأنباط (Nabataeans) الاتوريون(Ituraens)* وعلى المناطق التي كانت تحتلها في ذلك الوقت[53]، كانت تتواجد في المناطق الجبلية لفينيقيا وفي جنوب سوريا، وأسفرت عن إخضاع أغسطس للاراضي التي كانت لصالح عائلة هيرودوس (Herodes) خلال سنة 49م بعد وفاة سوهاميس (Sohaemus)، وقام بضم مملكة اتوريا إلى إقليم سوريا[54].

إن عملية إعادة تشكيل تاريخ هذه الوحدة يطرح عدة تساؤلات فيما يخص إسناد بعض النقائش إلى الكتيبة الايتورية الأولى أو إلى كتيبة إيتورية أخرى، باعتبار أنها الكتيبة الايتورية الوحيدة المشار إليها بدون رقم الوحدة. وقد تم التعرف على اسم الكتيبة الايتورية من خلال النقائش التي عثر عليها في مصر،والتي أشارت إلى الكتيبة الايتورية الثانية. لذلك فإنه لا ينبغي الخلط بين هذه الوحدة والكتيبة الايتورية الأولى ( I Ituraeorum Ciuium Romanorum) بموريطانيا الطنجية[55].

وقد وضعت الباحثة ماركريت روكسان[56] الفترة التي قضتها هذه الوحدة في الاقليم الافريقي بين الجيش في شهادة 109م، وهي الفترة التي بقيت فيها هذه الوحدة بصفة دائمة في اقليم موريطانيا الطنجية.

جندت إذن هذه الكتيبة من سوريا واستقرت في موريطانيا الطنجية، حيث وردت في شهادات (152،138،137،136،131،118،108،101،100،و160م) [57].

وتعتبر وثيقة الأشراف المؤشر الوحيد حول هذه الكتيبة، والذي يوطن هذه الكتيبة في كاسترا برانسيس(Castra) Bariensis)، باعتبارها قوات الحدود (limitanei)[58] ومن المحتمل أن تكون بناصا.

## 2- الكتيبة الدلماتية الخامسة V Delmatarum

تعتبر هذه الكتيبة من بين وحدات المشاة المساعدة الرومانية، أطلق عليها فيما بعد اسم (Delmatae)، وتشكلت من القبائل الموجودة على طول الجبال الساحلية من البحر الأدرياتيكي لكرواتيا الحديثة[59]، إذن يصف لنا الجغرافي سترابون هذه الجبال بأنها وعرة للغاية

وأن دلماتيا مولعة بالحرب[60]. وكانت المرة الأخيرة التي حارب فيها هذا الشعب ضد الرومان خلال ثورة الإليريان(Illyrian) حوالي سنة (6-9م)، بدأت الثورة من قبل القوات المساعدة الدلماتية وسرعان ما انتشرت في جميع أنحاء دلماتيا وبانونيا، وتعد هذه الحرب الأكثر صعوبة التي واجهتها روما منذ الحروب البونيقية قبل قرنين من الزمن، ولكن بعد الحرب أصبحت دلماتيا مصدرا مهما من المجندين للجيش الروماني[61].

وحسب بعض الباحثين فقد ظهرت حوالي اثنا عشر كتيبة دلماتية بعد إخماد ثورة الإليريان، خاصة الكتيبة السابعة والخامسة الدلماتية، حيث كانت جميع هذه الوحدات موجودة خلال فترة الإمبراطور كلاوديوس (41م-54م). ويبدو أن تسع من هذه الكتائب بقيت إلى حدود القرن الثاني الميلادي[62]. ولم يتضح سبب إعطاء كتيبتين دلماتيتين نفس الرقم لهذه الكتيبة الدلماتية الخامسة (cohors V Delmatarum c.R) بموريطانيا الطنجية. ويفترض الباحث سبول (Spaul) أن هذه الكتيبة من المحتمل أن تكون الكتيبة الليبرنومية الأولى (cohors I Liburnorum) وتم إعادة تسميتها[63].

ورد ذكر الكتيبة الدلماتية الخامسة لأول مرة في شهادة بناصا سنة 88م، وكانت على الأقل حاضرة في هذا الإقليم إلى حدود سنوات 160م[64]. وبغض النظر عن شهادات الطنجية تبقى هذه الكتيبة غير معروفة، فعدم وجود شواهد إبيغرافية لا يسمح بطرح فرضيات حول تجنيدها ومصدرها وتاريخ وصولها إلى هذا الإقليم. فليس هناك أي مؤشر حول موقع هذه الكتيبة، وكانت تحتل الوضعية الثالثة في الشهادات العسكرية مابين سنتي 151-160م[65].

### 3- كتيبة II Hispanorum Vasconum Ciuium Romanorum

قبل أن نتحدث عن مكان استقرار هذه الكتيبة، يتساءل بعض الباحثين حول إشكالية تسميتها، نظرا لوجود ثلاث كتائب تحمل أسماء قريبة من هذا الاسم وهي : الكتيبة الأولى (II Hispana ciuium Romanorum))، والكتيبة الثانية II (Romanorum Ciuium) Hispanorum، والكتيبة الثالثة (II Hispan(orum/a?) Vasconum). فالكتيبتين الأولى (II Hispana) والثانية (II Hipanorum) مختلفتين كما تشير إلى ذلك الشهادة العسكرية (I.A.M,2,235)، وكانت الكتيبة الاسبانية الثانية ( II Hispana ) إلى حدود سنة 122م تذكر دائما قبل الكتيبة (II Hispanorum) المستثناة في الشهادة السالفة الذكر والمؤرخة بسنة 109م[66].

وخلال سنوات 150-160م ظهرت الكتيبة الثالثة (II Hispan(orum/a?) Vasconum) حسب نقيشة بيلو (Belo)، حيث تبدو مختلفة عن الكتيبة الأولى ( II Hispana) المدرجة في الوضعية الثامنة والمتوافقة مع الكتيبة الثانية (II Hispanorum) التي تحتل الموضع الثالث، أما الكتيبة الثالثة (II Hispan(orum/a?) Vasconum) فتحتل نفس الموضع في النقيشة المؤرخة ب 156-157م[67].

من جهة أخرى، تؤكد إحدى الشهادات العسكرية أن الكتيبة الأولى كانت متموضعة في المركز الثامن، وحسب صورة النقيشة يرجح بعض الدارسين قراءتها ب (II Hispan(a) c(iuium) R(omanorum) وليس (II Hispanor(um))، حيث يمكن أن نقرأ بوضوح حرف (R) و (C)، وهذه القراءة تثبت تأويل نقيشة بيلو (Belo)[68].

وفي الشهادات المؤرخة بسنوات (150-160م) حصل تغيير في ترتيب الكتيبتين الاسبانيتين، وهذا التغيير بدون شك سابق[69]، لأن الباحث موريس لونوار لاحظه في شهادة 131م وذكر هذا الاختلاف، حيث كان يجهل نقيشة بيلو.

وإذا قمنا بتحديد الملاحظات حول النقائش التي لا تعتمد على ترتيب رقمي، فإن الكتيبة (II Hispana) لن تسبق الكتيبة ( II Hispanorum) في الشهادة المؤرخة سنة 122م، ففي الشهادتان المؤرختان بسنوات 150-160م، نجد أن الكتيبة II (Hispanorum) أخذت مكان الكتيبة (V Delmatarum) واحتلت الوضعية الثانية، فهذه التغيرات في ترتيب الكتائب هي على الأرجح راجعة للتغييرات التي طرأت على تموقع الوحدات[70]. ويبقى المؤشر الوحيد ما ورد ذكره في وثيقة الأشراف والتي وطنت كتيبة II (Hispanorum) في دوكا (Duga)، وربما تكون الصوير حاليا[71]، بعد العثور بها على نقيشة تشير إلى (II) Span(orum?)، فضلا عن شاهد قبر بليكسوس[72] يشير إلى الكتيبتين (I أو II Hispanorum).

أما بخصوص الكتيبة الاسبانية الأولى (cohors I Hispan(orum)) فقد تم التعرف عليها بموريطانيا الطنجية من خلال العثور على شاهدي قبر بوليلي، ويؤرخ لهما البعض بالقرن الأول الميلادي، الشاهد الأول يتعلق بالقائد ساتيرنينوس (Saturninus) [73]. أما النقيشة الثانية فهي مجزأة بشكل كبير[74]، فشاهد القبر هذا القائد يشير إلى انتمائه إلى الآلهة المانوية. أما البعض الآخر فيرجح أيضا أنهما يؤرخان بفترة إلحاق المملكة المورية بين سنتي 40-42م، ذلك أن الكتيبة الاسبانية الأولى أرسلت من إسبانيا إلى موريطانيا ربما خلال نفس

الوقت الذي أرسل فيه فيلق جيمينا العاشر (X Gemina)، لتهدئة الاضطرابات التي وقعت بعد مقتل الملك الموري بطليموس سنة 40م[75].

انتقلت هذه الكتيبة من موريطانيا الطنجية إلى القيصرية، حيث مكان تواجد الكتيبة الفلاقية الاسبانية الأولى (cohors I flavia hispanorum )، والتي أشارت إليها شهادة بموريطانيا القيصرية سنة 107م[76]. و قد تضاربت الآراء حول التحديدات بين الكتيبة الفلاقية الاسبانية المشار إليها في نقائش القيصرية خلال القرن الثاني والثالث الميلاديين وبين الكتيبة الاسبانية الأولى الموجودة بوليلي خلال القرن الميلادي الأول[77]. وعلى الرغم من ذلك يتفق بعض الباحثين على أن انتقال الكتيبة الاسبانية الأولى بموريطانيا الطنجية إلى موريطانيا القيصرية كان قبل سنة 107م، والتي عرفت تحت اسم الكتيبة الفلاقية الاسبانية الأولى[78].

ويحتمل بعض الباحثين أن تتمركز الكتيبة (II Hispanorum) في نواحي وليلي، بينما استقرت الكتيبة (II Hispana) في شمال الإقليم، أما الكتيبة ((II Span(a فربما كانت تتمركز في معسكر الصوير [79]، وفي هذه الحالة فإن موقع الكتائب ربما قد تغير بين القرن الثاني والرابع الميلاديين. وبالتالي يمكن القول أن تحديد موقع هذه الكتيبة ما زال يلفه الكثير من الغموض، ولا يمكن تأكيد ذلك إلا بعد الكشف عن نقائش جديدة حول هذه الكتيبة.

### 4-الكتيبة الغالية الرابعة IV Gallorum equitata ciuium Romanorum

قدمت الكتيبة الغالية الرابعة من بلاد الغال، وورد ذكرها في شهادة الطنجية سنة 88م، وتبث تواجدها بإسبانيا إلى حدود فترة الامبراطور كلاوديوس، وخلال فترة حكم هذا

الأخير تم ترسيم الحدود المخصصة لأراضي هذه الكتيبة [80]. وقد وفدت هذه الكتيبة إلى ولاية الطنجية ابتداء من منتصف القرن الميلادي الأول، وربما عندما كانت الحاجة ماسة إلى القوات في هذه المنطقة[81].

طرح وصول هذه الكتيبة إلى موريطانيا الطنجية عدة تساؤلات، فهل قدمت إلى موريطانيا الطنجية مباشرة بعد مغادرتها من إسبانيا القريبة (Citérieure) ؟ وهل تم إرسالها فقط خلال الفترة الفلاڤية (69م-96م) ؟ ففي جميع الأحوال كان حضورها بموريطانيا الطنجية سنة 88م، كما تظهر ذلك شهادة بناصا مع (c(ivium) Romanorum) والتي أشارت إلى مميزاتها، حيث استقرت بمعسكر سيدي سعيد، وكان تجنيدها دائما في جزء من إسبانيا خلال القرن الثاني الميلادي، كما يشير إلى ذلك شاهد قبر لفارس من لويزيتانيا بجرمانيا (lusitanien Ger(manus))[82].

وقد سمح إهداء موجه إلى يوليا ماميا (Iulia Mamaea) من طرف هذه الكتيبة، بتحديد موقع هذه الأخيرة في سيدي قاسم الحالية ما بين سنتي 222-235م، ولعل ما يثبت ذلك العثور على قبر فارس، فقد كان بإمكان هذه الوحدة تغيير المعسكر بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين[83]، لكن العديد من الأمثلة توضح ما لاحظناه بالنسبة للأجنحة بأن الوحدات تتحرك إلى داخل المناطق الجغرافية المحددة، بالإضافة إلى أن هذه الكتائب كانت تشكل جزءا من حامية لبلاد وليلي.

## 5-الكتيبة الأشتورية الأولى والكاليسية I Astrum et Callaecorum ciuium Romanorum

تشكلت هذه الكتيبة من طاراكونا في إسبانيا، واستقرت في إليريوم (illyrium)، حيث وردت في شهادتين سنة 60م[84]. وتبث حضور الوحدة الأشتورية منذ مدة طويلة بموريطانيا الطنجية لكن لم يتم تحديدها، لأنه تم التعرف في هذا الإقليم على ثلاث كتائب أشتورية : الجناح الأشتوري الثالث، والكتيبة الثالثة الأشتورية، والكتيبة الأشتورية الأولى والكاليسية.

أقامت الكتيبة الأشتورية الأولى والكاليسية في وليلي، ويتضح ذلك من خلال الإهداء الموجه إلى الإمبراطور نيرون بين 13 أكتوبر و 31 دجنبر سنة 57م[85]، مع اسم الوحدات التي قد تشير بالفعل إلى أن جزءا من وحدة كانت تتمركز هناك[86]. وذلك بمناسبة بناء هذه الوحدة لبناية ضخمة. ويفترض أن هذه الكتيبة أنشئت البريطوريوم (praetorium) خلال القرن الأول الميلادي بعين الشكور، وأصبح مكان استقرارها النهائي[87].

شكلت موريطانيا الطنجية أول حامية للكتيبة الأشتورية الأولى والكاليسية، وهي وحدة جندت من إسبانيا، وقدمت مباشرة خلال عملية احتلال المملكة المورية سنة 40م، وغادرت إقليم الطنجية خلال نهاية حكم الإمبراطور نيرون (54م–68م)، كما يتضح ذلك من خلال شهادة بانونيان (Pannonien) والمؤرخة بحوالي 60م[88]، في حين لم تشر إليها شهادة الطنجية لسنة 88م. وفي بداية القرن الثاني الميلادي عادت هذه الكتيبة إلى الطنجية، حيث يظهر اسمها في شهادة بناصا سنة 109م.

استقرت هذه الكتيبة بمعسكر عين الشكور بالقرب من وليلي، وربما منذ إنشاء هذا المعسكر سنة 57م، ومن المحتمل أنها عسكرت فيه إلى حدود منتصف القرن الثاني الميلادي (161م)[89]. ويؤكد ذلك الإهداء الموجه إلى (saturne Frugifer) خلال القرن الثاني

الميلادي من طرف قائد الكتيبة، ثم إهداء ثاني من قائد آخر لنفس الكتيبة مخصص إلى (Genuis Loci)[90]، والشيء نفسه بالنسبة للكتيبة الغالية الرابعة IV(Gallorum) التي أصبحت خلال القرن الثاني الميلادي جزءا من حامية لبلاد وليلي، وذلك منذ سنة 57م حيث تمت الإشارة إليها في إهداء موجه إلى نيرون في بوابة الساحة العمومية.

### 6-الكتيبة السورية الثانية الألفية II Syrorum Sagittaria (equitata) milliaria

جندت هذه الكتيبة من سوريا ربما خلال الحرب الأهلية سنة 69م، ومن المرجح أن الإمبراطور فيسباسيانوس(69م-79م) اختار أن يحصر هذه الكتيبة بالطنجية بعد انتهاء هذه الأحداث. وبما أن هذه الكتيبة لم تعبر إلى شبه الجزيرة الإيبيرية[91] فقد ظل تجنيدها بالخصوص في الشرق، ومن دون شك بسبب الخصوصية العسكرية لهذه الوحدة من الرماة[92].

ورد ذكر هذه الكتيبة لأول مرة في الشهادة المؤرخة بسنة 88م، وشهادة أخرى غير مكتملة لسنة 160م منحت لجندي من هذه الكتيبة عثر عليها ببناصا[93]. ويؤكد وجود هذه الكتيبة من خلال نقيشة، طالب من خلالها سكان بناصا سنة 215م من الإمبراطور كراكلا (198م-217م) بمنحهم كتيبة ألفية عوض الجناح الخماسي (Quingénaire)، فالكتيبة الموجودة قبل سنة 215م لا يمكنها إلا أن تكون II Syrorum Sagittaria (equitata) miliaria))، أو الكتيبة الرابعة الطنكرومية الألفية ( IVMiliaria Tungrorum) التي وصلت إلى موريطانيا الطنجية خلال النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي[94]. لكن بين سنتي 122-156م لم تكن الكتيبة السورية الثانية كتيبة ألفية، وتثبت قراءة إحدى النقائش التغيير المقترح للشهادة 160م، فالكتيبة كانت تتمركز في بناصا مابين

سنتي 156-160م[95]، ويفترض أن تكون الكتيبة السورية الثانية ( cohors II (Syrorum] Sag(ittaria)] وليس الجناح الحميري السوري ( ala I Hamiorum (Syrorum sag(ittaria))، لأن هذا الأخير كان مستقرا خلال هذه الفترة في شمال الإقليم.

من جهة أخرى، لم يرد ذكر الكتيبة السورية الثانية ضمن الأجنحة التي كانت تعسكر في موريطانيا منذ احتلالها، ولهذا قدم الباحثان كاركوبينو وكزال احتمالين بخصوص وجودها في هذه الولاية: الأول أن هذه الكتيبة قد أتى بها القائد سولبيكوس من الشرق، والثاني أن هذه الكتيبة كانت ضمن جيش الاحتلال الذي ضم موريطانيا الطنجية إلى الامبراطورية الرومانية[96]، ولكن يبدو أن الفرضية الأولى هي الأقرب إلى الصواب، لأنه لو كان هذا الجناح موجودا منذ احتلال موريطانيا الطنجية لوردت إشارة خاصة مع العدد الكبير من الشواهد العسكرية التي عثر عليها بموريطانيا الطنجية.

ويؤكد العثور على آجر مختوم اكتشف بمعسكر تاموسيدا حضور هذه الكتيبة في واد سبو ما بين 125-145م، لكن من الصعب معرفة إذا كانت سابقة أم لا لجناح جيميليانا[97]. وبعد سنة 216م وردت إشارة للكتيبة بمعسكر سلا في إهداء للثالوث الكابطولي ( Triade Capotoline)[98]، وبالتالي يمكن القول أن هذه الكتيبة قد نقلت إلى هذا المعسكر، لأن الطريق الرابطة بين واد سبو وسلا تسهل عملية تنقل القوات.

## 7-الكتيبة الأشتورية الثالثة III Astrum (pia fidelis) ciuium Romanorum

يظهر من خلال اسم هذه الكتيبة أنها حملت أيضا لقب (Pia Fidelis) المخلصة والوفية، وقد سمحت الشواهد رغم ندرتها بتحديد موقع هذه الكتيبة، فقد حددتها وثيقة الأشراف[99]، في معسكر طابرناي شمال ليكسوس، وهي الإشارة الوحيدة التي تحدثت عن هذه الكتيبة، وحسب بعض الباحثين فإن الأخيرة مناسبة تماما مع وضعية معسكر طابرناي، لأنه لا يحتوي على مساحة كبيرة، وما يعزز هذه الفرضية أنها ليست الكتيبة الأشتورية الثالثة التي كشف عنها بوليلي[100].

بالمقابل، يرجح البعض الآخر أن هذه الكتيبة قد لاقت التكريم والتقدير ( pia fidelis) في سنة 156-157م، وربما بسبب تحركاتها أثناء الاضطرابات المفتعلة من طرف قبيلة الباكواط خلال فترة أنطونينوس التقي، بعد تصديها لثورة هذه القبائل وحمايتها لمدينة وليلي، وبالتالي فقد كان بإمكانها التمركز بنواحي وليلي[101].

بينما يفترض البعض الآخر أن شاهد القبر الوحيد الذي عثرعليه بتاموسيدا، لا يمكن اعتباره دليلا كافيا على موقع هذه الكتيبة، حيث توفي الجندي بعد قضاء 16 سنة من الخدمة في المعسكر الذي عسكرت فيه وحدته العسكرية، وبالتالي فإن هذه الكتيبة ربما استقرت في واد سبو أو في شمال الولاية، استنادا إلى الترتيب الجغرافي للوحدات في الشواهد العسكرية بموريطانيا الطنجية.[102].

## 8- الكتيبة الليماوية الأولى I Lemauorum ciuium Romanorum

حملت الكتيبة الليماوية الأولى اسم لماوي(Lemavi)، وهو شعب سلتي من الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية يقع في منطقة منهو العليا (Haut-Minho)*. وقد تبث حضور هذه الكتيبة بموريطانيا الطنجية خلال النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، كما تشهد على ذلك نقيشتين رئيسيتين[103] : الأولى في شهادة بناصا المؤرخة بسنة 88م، والثانية نقيشة اكتشفت بسلا 1966 وجدت مدفونة في مقبرة باب زعر(Bab Zaer) على مسافة مئتي متر، وتؤرخ بمنتصف القرن الأول الميلادي[104].

من جهة أخرى، فإن استخذام صيغة (hic s(itus) e(st)) كعدم وجود عبارة (c(ivium) R(omanorum)) للكتيبة[105] يمنع من وضع هذه النقيشة إلى ما بعد القرن الأول الميلادي. ومن المؤكد أن هذا الجندي هو من أصول إسبانية، إذ يعتبر فاليريوس (Valerius) هو الإسم الثاني الأكثر شيوعا في شبه الجزيرة الإيبيرية، واسم (Veto) يشير إلى الشعب السلتي من الفيتونيين (les vettons) على مقربة من جيرانهم الليماويين (Lemaves) الذين أقاموا بين كاديانا (Guadiana) في الجنوب ودويرو (Duero) في الشمال[106].

يبدو إذن من خلال هذه النقيشة أن الكتيبة الليماوية الأولى جندت من شمال غرب شبه الجزيرة الإيبيرية خلال فترة حكم الامبراطور كلاوديوس (41م-54م) أو الامبراطور نيرون (54م-68م)، وأنها أرسلت مباشرة إلى موريطانيا الطنجية حيث استقرت بمدينة سلا، وقد نقلت هذه الكتيبة بصفة منتظمة في الشهادات العسكرية بموريطانيا الطنجية، إذ تشير ثلاثة عشر شهادة بوجود هذه الوحدة بموريطانيا الطنجية مابين 8 يناير 88م وسنة 160م[107].

بالمقابل، يؤرخ بعض الباحثين لشاهد قبر جندي هذه الكتيبة بسلا حوالي (60م)، ويرجح أن الكتيبة الليماوية الأولى كانت سابقة للكتيبة السورية الثانية في معسكر سلا قبل العثور على أية وحدة أخرى وبالتحديد في وادي سبو[108].

## 9- الكتيبة الغالية الثالثة III Gallorum felix

حملت أيضا هذه الكتيبة لقب فيليكس (Felix) وتعني التقية والمخلصة، وتشير الشهادة المؤرخة بسنة 146م إلى وجود هذه الكتيبة الغالية الثالثة بداسيا السفلى، كما ورد ذكرها سنة 82م في شهادات جيش جرمانيا العليا، والتي أضيفت إلى الكتيبة الاسبانية عندما كانت تتمركز في مويسيا (Moesia) في تلك الفترة، وليس في الشهادة التي أشارت إلى الكتيبتين في مويسيا كما يضعها الباحث جون سبول، ويبدو أن الأمر يتعلق بنفس الكتيبة وليس بوحدات مختلفة[109].

وحسب بعض الدارسين فإن الكتائب الغالية تختلف عن الكتيبة الغالية الثالثة فليكس (III Gallorum Felix)، التي تمت الإشارة إليها في موريطانيا الطنجية بدءا من منتصف القرن الثاني الميلادي في الشهادة المؤرخة 156-157م[110]، ولكن لم يشر إليها في أي نقيشة أخرى3. بينما يذكر البعض الآخر أن هذه الوحدات التي وصلت إلى موريطانيا الطنجية بعد سنة 156م، ربما لم تكن بعد ذلك موضوعة حسب ترتيب جغرافي، وبالتالي يصعب تحديد موقع هذه الكتيبة[111].

وقد خلصت الباحثة روكسان إلى أن الكتيبة الثالثة الغالية فليكس استقدمت إلى موريطانيا الطنجية، خلال عهد الامبراطور أنطونينوس التقي (138م-161م )، ولا شك أن ذلك قد تزامن مع اندلاع الثورات المورية [112].

## 10- الكتيبة الطنكرومية الرابعة IV Tungrorum

وردت هذه الكتيبة لأول مرة في نوريكوم (Noricum) في الشهادة المؤرخة سنة 94م[113]. بعد ذلك ظهرت هذه الكتيبة أيضا في الشواهد ابتداء من 156-157م، وجدت بجانب عبارة (vexillatio) (حاملة الراية)، وكانت الكتيبة الألفية غائبة في ريتي (Rétie) ابتداء من 167-168م[114]، ومن المحتمل أنها كانت حاضرة في شهادة بيلو وثابتة في موريطانيا الطنجية ابتداء من 160-170م[115].

استقرت هذه الكتيبة بمعسكر عين الشكور شمال وليلي خلال فترة حكم الامبراطور ألكسندر سيفيروس (222م-235م)[116]، وساهمت في ترميم حمامات معسكر عين الشكور، ومع ذلك فإنه من المؤكد أن هذه الكتيبة لم تستقر في هذا المعسكر الصغير، وربما في أحد المعسكرات المحيطة به[117].

ويبدو أن الترتيب الجغرافي للكتيبتين الطنكرومية الرابعة (IV Tungrorum) والكتيبة الغالة الرابعة (IV Gallorum felix) لم يتم احترامه، لذلك يتساءل بعض

الباحثين فيما إذا تغير موقع هذه الوحدات مابين منتصف القرن الثاني وبداية القرن الثالث الميلاديين. فمن جهة، كانت هذه الوحدات تتنقل بالخصوص داخل المناطق الجغرافية المحددة لها، لكن من جهة أخرى، فهذه التعزيزات العسكرية كانت بهدف حماية منطقة وليلي ضد الهجومات المحتملة من طرف الموريين خلال عهد أنطونينوس التقي (138م-161م)[118]. إلا أن الشيء المؤكد هو أن هذين الكتيبتين استقرتا بدون شك في جهة وليلي، في حين أن الكتائب التسعة الأولى كانت مرتبة ترتيبا جغرافيا، وفيما يخص الكتيبة الغالية الثالثة III (Gallorum) فقد جاءت لتعزيز منطقة وليلي أو النواحي الأخرى.

من جهة أخرى يؤكد الباحث موريس أوزينا[119] أن النظام الدفاعي لوليلي تم تدعيمه بشكل جيد، خلال النصف الثاني من القرن الثاني وبداية القرن الثالث، فالاعتماد على الترتيب الجغرافي (جنوب- شمال-جنوب) في قائمة الوحدات العسكرية المشار إليه في الشهادات العسكرية التي ظهرت حوالي 122م يظهر حسب بعض الباحثين الأهمية الإستراتيجية لهذه المنطقة خلال الفترة الممتدة ما بين 150-160م، ويبرز ذلك بوضوح من خلال الإشارة في هذه المنطقة لوحدة أو وحدتين من الوحدات المساعدة ووحدات الدعم التي كانت متمركزة في الجهة[120].

## 11-الكتيبة البراكارومية الأولى (I Bracar(orum

يبدو أن هذه الكتيبة قد جندت في البداية من بريطانيا قبل أن تنتقل إلى موريطانيا الطنجية ،كما هو وارد في شهادات سنة 75و 88م، ثم انتقلت هذه الكتيبة بعد ذلك إلى مويسيا السفلى(Moesia Superior) سنة 134م[121]. ولا يمكن القول أن هناك علاقة مباشرة بين الكتيبة الأخيرة والوحدة التي تحمل نفس الاسم بموريطانيا الطنجية[122].

فيما يتعلق بمسار الكتيبة البراكارومية الأولى، تشير إثنية هذه الكتيبة أن تجنيدها الأصلي كان في منطقة براكا (Braga)، وقديما براكارا أوغسطا (Bracara Augusta) في (Citérieure)[123]. وبعد وقت قصير من تجنيدها في بداية القرن الاول الميلادي أرسلت إلى دلماتيا، حيث استقرت في مدينة بيكيست (Bigeste) في موقع هيماك (Humac) الحالي بالبوسنة، حيث عثر على خمس نقائش أرخت بالفترة اليوليو–كلاودية (27ق.م–68م) أوالفلاڤية (69م–96م)، والتي أشارت إلى الكتيبة الأولى البراكارومية الأغسطية I (Bracar(orum) Augus(tanorum))، وحملت ثلاثة من هذه النقائش أسماء على بعض النقود شمال غرب شبه الجزيرة الإيبيرية[124].

وابتداء من منصف القرن الأول الميلادي بدأ تراجع عدد من الحاميات في دلماتيا، حيث انتقلت الكتيبة الأولى البراكارومية الأغسطية من بيكيست (Bigeste) في اتجاه الطنجية، من أجل التدخل في الأحداث التي وقعت ما بين 40–42م و88م، ولم تستقر هذه الكتيبة بموريطانيا الطنجية، لأنه مابين سنوات 99م–134م عثر على أربع شواهد تشير إلى وجودها في مويسيا السفلى[125].

إن وجود هذه الكتيبة بموريطانيا الطنجية غير مؤكد، فلا نعرف بالضبط مكان استقرارها والمدة التي أقامت فيها بهذه الولاية. كما أن هذا الاسم لم يرد ذكره في الشواهد العسكرية بالطنجية، باستثناء شهادة بناصا المؤرخة بسنة 88م تحمل عبارة (I Bracar) [126].

يتبين من خلال الشهادات العسكرية أن هذه الوحدات العسكرية المساعدة بموريطانيا الطنجية، والتي بلغ عددها حوالي ستة عشر وحدة عسكرية، لم يتم تجنيدها من نفس المكان، بل أخذت من وحدات أخرى كما تشير أسمائها إلى أصلها وإلى الولايات التي قدمت منها،

وفي الأوقات الحرجة كانت تأتي من المناطق القريبة والبعيدة لتعزيز الوجود الروماني، وهذه التحركات التي تقوم بها قوات ووحدات الجيش الروماني تدل على وجود جيش منظم بشكل جيد، وفي الوقت نفسه تدل أيضا على الضعف في صفوف الجيش الروماني الذي لا يتوفر على وحدات احتياطية دائمة. فكلما اندلعت انتفاضات وثورات في منطقة من المناطق، اضطر الأباطرة الرومان إلى إرسال تعزيزات عسكرية من الوحدات المستقرة في الأقاليم الأخرى، والتي تكون فيها الأوضاع مستقرة من أجل القضاء على الثورات.

من خلال دراستنا لهذه الوحدات العسكرية المساعدة يظهر أن الرومان اتبعوا نمطا منظما في تسمية الوحدات المساعدة، فكان يذكر نوع الوحدة متبوعا برقم تسلسلي، وفي بعض الحالات يعطي اسم الفرقة بالاعتماد على أسماء الأباطرة الذين أسسوا تلك الفرق، أو شاركوا الامبراطور في حروبه أو أخذت لقبها على شرف الامبراطور، وهناك وحدات تعتمد على اسم الاقليم الذي نشأت فيه، أو نتيجة لإنجازاتها العسكرية في منطقة معينة أخذت تسميتها منها، وقد مكنت تسمية الوحدات بهذه الطريقة في تمييز الوحدات ذات الأسماء والأرقام المتشابهة.

أطلقت روما على الوحدات العسكرية المساعدة بولاية الطنجية العديد من الأسماء والألقاب، حيث حملت لقب الأباطرة الرومان خاصة أغسطس الذي كان يمنح في جميع الأوقات من أجل التبجيل، ومن أهم الوحدات التي حملت هذا اللقب الجناح الأغسطي الأول (Ala I Augusta)، إضافة وحدات تعود للفترة الفلافية.هناك ألقاب أخرى أطلقت على هذه الوحدات مثل لقب المخلصة والتقية (Pia Fidelis) لكي تبقى وفية للأباطرة أثناء الثورات والاضطرابات كالجناح الأشتوري الثالثة (III Astrum (pia fidelis) ciuium Romanorum)، ومن الألقاب الأخرى التي أطلقت على هذه الوحدات

لقب (Victrix) نتيجة لإنجازاتها العسكرية في منطقة معينة كالجناح الأول الفلافي الغالي التورياني(I (Flavia) Gallorum Tauriana victrix).

لم تكن الوحدات العسكرية المساعدة بموريطانيا الطنجية إذن وليدة الصدفة، بل تكونت خلال فترات متتالية حسب الظروف التي واجهتها روما، فكلما ازداد نفوذ روما ازداد معه عدد الجيش وقوته وأصبحت تجهيزاته أكثر تطورا وفعالية. فقد تميزت هذه الوحدات بدقة التنظيم ومرونته، وقاموا بتنظيم فرق الجيش وتقسيمها إلى وحدات صغيرة أطلقوا عليها أسماء مختلفة (cohors,Alae)، وذلك لمنح القوات الرومانية مرونة أكبر وللحفاظ على تنظيمهم أثناء مواجهة الثورات.

ساهمت الشواهد العسكرية التي عثر عليها في كل مدن موريطانيا الطنجية في حفظ جزء من تاريخ المنطقة خلال الفترة الرومانية، ومكنتنا من التعرف على أسماء العديد من الأباطرة الذين توالوا على حكمها سواء في حالة السلم أو في حالة اندلا ع الثورات، كما أمكن وضع تسلسل كرونولوجي لحكم هؤلاء الحكام.

أمكن من خلال الشواهد العسكرية وشواهد القبور التعرف على أسماء الأجنحة والكتائب العسكرية المساعدة، والتي شغلت ولاية الطنجية خلال الفترة المبكرة من الامبراطورية الرومانية من أجل القضاء على الثورات المورية، وفي هذا الصدد فقد شكلت القوات الاسبانية المصدر الأول للوحدات المساعدة بموريطانيا الطنجية، بعد ذلك مثلت القوات الغالية(Gallorum) المصدر الثاني لتجنيد الوحدات المساعدة في بلاد الغال، كما أضافت روما مناطق الدانوب ريتيا (Rhétie) ونوريك (Norique) وبانونيا(Pannonie) ومويسيا(Moesia)للامبراطورية الرومانية مصدرا جديدا وهاما لتجنيد الوحدات المساعدة

بهذه الولاية، أما في المناطق الشرقية فزود إقليم سوريا الجيش الروماني بقوات سورية(Syrorom)، إضافة إلى إقليم دلماتيا(Delmatie).

وفي الأخير فإن هذه الوحدات العسكرية المساعدة التي عسكرت بموريطانيا الطنجية مازالت في حاجة إلى معطيات تاريخية، فالنصوص الأدبية لا تتضمن إشارات كافية حول هذا الموضوع، أما الشواهد العسكرية فهي تشير إلى بضع وحدات عسكرية خلفت بعض الآثار الدالة عليها ويكتنفها بعض الغموض، وهو ما لا يساعد على التأكد إن كانت الوحدات المذكورة فعلا قد استقرت بالولاية أم عسكرت بها لفترة مؤقتة أم مرت بها.

**الهوامــش:**

[1]- شنيتي (م.ب)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري، الليمس الموريطاني ومقاومة المور، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999،ص. 95.

[2]- نفس المرجع، ص. 102.

[3] - Cagnat (R), l'Armée Romaine d'Afrique, et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie national : E. Leroux, Paris,1913,p.307.

[4] - daremberg (Ch.V), Saglio (E), Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines, T.3, Librairie Hachette,Paris,1900, p.586-587.

*– هم أجانب ورجال أحرار يعيشون في الولايات التي احتلتها روما، وليست لديهم المواطنة الرومانية، ولا وضعية قانونية، وفي الغالب قدموا من أجل التجارة.

*– هم السكان الأجانب الذين انهزموا في الحروب، ولا يتمتعون بالمواطنة الرومانية.

[5] - Ibidem.

[6] - Ibidem.

[7] - Ibid, p.174.

[8] - Bernard (G), Christol (M), Les Relations militaires entre l'Hispanie et laMaurétanie Tingitane à la fin du Ier siècle, **M.C.V**, Nouvelle série, 39-2, 2009. p.194 ; C.I.L, II, 5792;I.A.M, 2, 234.
[9] - Euzennat (M), Le Limes de Tingitane. La frontière méridionale, Etudes d'antiquités africaines, **C.N.R.S**, Paris,1989, p. 295-296 ; Hamdoune (Ch), Les épitaphes militaires de Tingitane, **B.C.T.H**, 24,1997,p. 148 ; I.A.M, 2, 817.
[10] - Bernard (G), Christol (M),op,cit,p.196.
*– وحدة عسكرية تتألف من ثلاثين فارسا وثلاث ضباط في الجيش الروماني.
[11] - Bernard (G),Christol (M), op,cit, p.196.
[12] - Hamdoune (CH), op,cit, p. 148.
[13] - Christol (M), Le Roux( P), L'aile Tauriana Torquata et les relations militaires de l'Hispanie et de la Maurétanie Tingitane entre Claude et Domitien, **Ant Afri**, T 21, 1985, p. 16 ; C.I.L, II, 2984.
[14] - Ibid, p. 23.
[15] - Ibid, p. 26-27.
[16] - Bernard (G), Christol (M), op, cit, p.196.
[17] - Euzennat (M), op,cit, pp. 274-292.
[18] - Roxan (M), The Auxilia of Mauretania Tingitana, Latomus, T 32, 1973, p. 844.
[19] - Euzennat ( M),op,cit, p. 254.
[20] - Nadine (L), L'ordre des unités dans les diplômes militaires de Maurétanie Tingitane partir de 122 ap. J.-C, **Ant, Afr**, 34, 1998, p. 84 ; Chatelain (L), Thouvenot (R), Diplôme militaire trouvé à Volubilis (Maroc),**C.R.A.I**,86,1942, n.2-3,p.141 ; I.A.M, 2, 451; I.A.M, 2, 810 ; I.A.M, 2, 812 ; I.A.M, 2, 817.
[21] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 197 ; C.I.L,16, 5.
[22] - Roxan (M), op,cit, p. 844.
[23] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 197 ; I.A.M, 2, 237 ; 122 : I.A.M, 2, 239 et 806 ; 129 : I.A.M, 2, 241.
[24] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 197-198 ; I.A.M, 2, 30.
[25] - Hamdoune (CH),op,cit, p.145.
[26] - Bernard (G), Christol (M), op,cit p. 198.

[27] - Ibidem ; Hamdoune (CH), op,cit, p. 145.

*- يشير هذا الإسم إلى أنه ينحدر من أصول إسبانية، وهو الأكثر شيوعا في شبه الجزيرة الإيبيرية.

[28] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 198.
[29] - Hamdoune (M), op,cit, p. 136.
[30] - Euzennat (M), op,cit, p. 94.
[31] - Nadine (L), op,cit,p.84; I.A.M, 2, 250; I.A.M, 2, 240 ; I.A.M, 2, 285.
[32] - Ibidem ;I.A.M, 2, 30.
[33] - Dubois (M), Auxillae, A compendium of non legionay units of the Roman Army,Raleigh,2015,p. 376.
[34] - Ibid, p.377.
[35] - Christol (M), Le Roux (P), op,cit, p. 18-21.
[36] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 196 ; I.A.M, 2, 234.
[37] - Ibid, p. 197 ; I.A.M, 2, 508.
- Ibidem.
[39] - Nadine (L), op,cit, p. 84; - I.A.M, 2, 239 ; I.A.M, 2, 241; I.A.M, 2, 508.
[40] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 193.
[41] - Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, III, 28, Texte établi, Trad. Et commenté par J.Desanges, Paris, Belles Lettres,1980 ; Ptolemy (C), The Geography, II,6, Translate and edited by Edward luther stevenson, with an introduction by josef fichers, New York, 1991, d'après Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 193.
[42] - Ibidem.
[43] - Holder (P), Studies in the Auxilia of the Roman Army from Augustus to Trajan, Oxford,p. 266 ; D'aprés, Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 193.
[44] - Alföldy (G), Fasti Hispanienses : senatorische Reichsbeamte und Offiziere in den spanischen Provinzen des römischen Reiches von Augustus bis Diokletian, Wiesbaden, 1969. D'aprés Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 194.
[45] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 194.

[46] - Rebuffat (R), Implantation militaire romaine en Maurétanie Tingitane,**Afri Rom**, 4, Atti del IV convegno di studio(sassari,1986),Sassari,1987, p.50.
[47] - Nadine (L), op,cit, p. 84.
[48] - Ibidem ; Mastino (A), un Decurione dell'ala III Astrum Praepositus Castelli Tamudensis, In Una nuova dedica a Giove nel dies natalis di Settimio Severo, **M.E.F.R**, T 102, 1990, p. 251-265.
[49] - Nadine (L), op, cit, p. 84-85 .
[50] - Akerraz (A), Rebuffat (R), El Qsar el Kébir et la route romaine de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et ad Novas,dans l'armée et les affaires militaire,IV colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'afrique du Nord,(Strasbourg 5-9 avril 1988),**C.T.H.S,** Paris, 1991 p. 382-385.
[51] - Nadine (L), op,cit,p.85 ;I.A.M, 2, 234 ; I.A.M, 2, 236.
[52] - daremberg (Ch.V), Saglio (E),op,cit,p.599-600.

**-*** بلدة قديمة تقع شمال شرق فلسطين، كان يعيش في هذه المنطقة في البداية السكان العرب، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى روما.

[53] - Ovidiu (T), Cohors I Ituraeorum sagittariorum equitata milliaria, Editors:Ligia Ruscu, Carmen Ciongradi, Radu Ardevan Cristian Roman, Cristian Găzdac, 2004,p.805.
[54] - Ibidem .
[55] - Ibidem.
[56] - Roxan (M), op, cit, p. 846.
[57] - Dubois (M), op,cit, p.98.
[58] - Notitia Dignitatum, XXVI, 16, Notitia Urbis Constantino politanae et Laterculi Provinciarum,Otto Seek,Berolini Apud Weidmannos,1876, p.178, "Tribunus cohortis primae(Et) Ityraeorum, Castrabariensi".
[59] - Dubois (M), op,cit,p.65.
[60] - Strabon, Géographie, VII,5, trad. française : Amédée tardieu, T. III, Paris, Hachette, 1909.
[61] - Holder (P), Auxiliary deployment in the reign of Hadrian, London, 2003, p.106.

[62] - Spaul (J), Cohors 2,The evidence for and a short history of the auxiliary infantry units of the Imperial Roman Army, Oxford, 2000, p.302.
[63] - Ibid, p.309.
[64] - Roxan (M), op,cit, p. 846 ; Bernard (G), Christol (M), op,cit, p.204 ; IAM, 2, 234.
[65] - Nadine (L), op,cit, p. 85.
[66] - Ibidem
[67] - Ibidem.
[68] - Lenoir (M), Diplômes militaires inédits de Volubilis, **B.A.M**, 15,1983-1984, p. 216-217.
[69] - Nadine (L), op,cit, p. 85.
[70] - Ibidem ; I.A.M, 2, 239 ; I.A.M, 2, 809 et 810.
[71] - Notitia Dignitatum,XXVI,14, op,cit,p.177 ", Tribunus cohortis secundae Hispanorum, Duga".
[72] - Nadine (L), op,cit, p. 85 ; I.A.M, 2, 76 ; I.A.M, 2, 510.
[73] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 202 ; I.A.M, 2, 510.
[74] - Ibid, p. 203 ; I.A.M, 2, 512.
[75] - Hamdoune (CH), op, cit, p. 142-143.
[76] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 203 ; C.I.L, XVI, 56.
[77] - Ibidem.
[78] - Roxan (M), op,cit, p. 580 ; Rebuffat(R), L’armée de la Maurétanie Tingitane, **M.E.F.R**, T 110, n° I, 1998, p.232.
[79] - Nadine (L),op,cit, p. 86.
[80] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 203; I.A.M, 2, 234.
[81] - Roxan (M),op,cit,p.848.
[82] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 203 ; I.A.M, 2, 299.
[83] - Nadine (L),op,cit, p.86; Hamdoune (CH), op,cit, p. 150 ; I.A.M, 2, 298.
[84] - Dubois (M), op,cit, p. 26.
[85] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 201-202.
[86] - Dubois (M), op,cit, p. 26.
[87] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 201-202.
[88] - Ibid, p. 202.

[89] - Rebuffat (R), L'armeé..., op,cit, p.198 ; Id, Implantation.., op, cit, p. 38- 39.
[90] - Nadine (L), op,cit,p.86.
[91] - يمكن اعتباره دليلا عكس ذلك، وما تبقى فقط من اسم الوحدة المشار إليها عبارة([S]agittariorum)، وهو مصطلح يتضمن في قائمة الأسامي أكثر من 12 كتيبة وجناح أو فصيلة الرماة السورية أو الإتورية (Ituréens )، بالإضافة إلى ذلك لا تدل هذه النقيشة على التجنيد المحلي لجنود القوات المساعدة، ويتعلق الأمر بشظية تتحدث عن مسار قاضي إيطاليكا(Italica) الذي تم إرساله على رأس هذه الوحدة في جميع أنحاء الإمبراطورية.
[92] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 204.
[93] - Nadine (L), op,cit, p. 86 ; I.A.M, 2, 234 ; I.A.M, 2, 243.
[94] - Euzennat (M), op,cit, p. 61 ; I.A.M, 2, 99.
[95] - Nadine (L), op,cit,p. 86 ; I.A.M,2,99.
[96] - Carcopino (G),Gsell (S), la base de sulpicius félix, et le decret des Décurions de Sala, **M.E.F.R,** T 48,1931,p.5.
[97] - Euzennat (M), op,cit, p. 162.
[98] - Ibid, p. 92-94 .
[99] - Notitia Dignitatum,XXVI,19,"op,cit,p.177, Tribunus cohortis tertia Asturum,Tabernas."
[100] - Rebuffat (R), L'armeé..., op, cit, p.198 ; Nadine (L),op,cit,p. 86.
[101] - Roxan (M),op,cit, p. 847.
- تعتقد الباحثة روكسان أن هذه الصفة ذكرت فقط في الشهادة (IAM, 2, 809) وربما قد تكون خطأ في النقيشة.
[102] - Nadine (L), op,cit…,p. 86-87 ; I.A.M,2, 253.
*- هي منطقة تقع في أقصى شمال البرتغال.
[103] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 199 ; IAM, 2, 234.
[104] - Euzennat (M), op,cit, p. 160.
[105]- حول شهادة 109م، الكتيبة الليماوية الأولى تسمى C(iuium R(omanorum)
[106] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p. 200.
[107] - Ibidem ; CIL,II,5792.
[108] - Nadine (L), op,cit, p.87.

[109] - Ovidiu (T), Matei-popescu (F), Alae et Cohortes Daciae et Moesiae. A review and update of J. Spaul`s Alaand Cohors, Acta Musei Napocenis 39/40 (1), 2004,p.283.
[110] - Ibid ; CIL,XVI.
[111] - Nadine (L),op,cit p.87.
[112] - Roxan (M), op,cit,p.848.
[113] - Dubois (M), op,cit,p.218.
[114] - Roxan (M), op,cit, p. 848.
[115] - Lenoir (M), op,cit, p. 221.
[116] - Dubois (M), op,cit, p. 218.
[117] - Euzennat (M),op,cit, p. 272 ; IAM, 2, 824.
[118] - Nadine (L) op,cit ,p. 87.
[119] - Euzennat (M), op,cit, p. 291-292.
[120] - Nadine (L), op,cit, p.87 ; I.A.M,2,239, 805.
[121] - Dubois (M), op,cit, p.41.
[122] - Ovidiu (T), Matei-popescu (F),op,cit, p.274.
[123] - Bernard (G), Christol (M), op,cit, p.201 ; I.A.M, 2, 234.
[124] - Ibidem.
[125] - Ibidem.
[126] - Ibidem ; I.A.M,2, 234.

# الطبيب في الوسط الاستعماري بالجزائر خلال القرن 19 بين المهام الإنسانية والدعائية

# The doctor in the colonial center in Algeria during the 19th century between humanitarian and propaganda tasks

عثمان زقب(*)

جامعة الشهيد حمّه لخضر، atmane-zegueb@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2021-08-20 تاريخ القبول: 2021-09-23

**ملخص:**

يعتبر الطب والأطباء من العناصر البارزة، التي اعتمد عليها الاحتلال الفرنسي في سياسة الاختراق والتوغل التي انتهجها للمجتمع الجزائري والمسلم، لإدراكه أنّ هذه الوسائل غير الاعتيادية لها مفعولا وتأثيرا كبيرا في النفوس ضمن ما يعرف بالاستعمار الناعم.

لقد كان للطبيب في الوسط الاستعماري بالجزائر العديد من الأدوار، جمعت بين المهام الإنسانية والدعائية لخدمة توجهات السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر. من خلال هذه الدراسة حاولت كشف إستراتيجية الاحتلال في توظيف الطب والأطباء كأداة تغلغل في الجزائر، باستغلال الظروف الصعبة للجزائريين، وكذا نضرتهم المحترمة للطبيب وثقتهم في علاجاته، وهذا ما جعل الاحتلال الفرنسي يستعمل هذه الأداة في نشر أفكاره ومبادئه.

**الكلمات الدالة:** الأطباء، التغلغل، الدعاية، العلاج، الاستعمار.

**Abstract:**

Medicine and doctors are among the prominent elements on which the French occupation relied in the policy of penetration and incursion that it pursued in the Algerian and Muslim society, due to the realization that

(*) عثمان زقب، atmane-zegueb@univ-eloued.dz

these unusual means have a great effect and impact on the souls within what is known as soft colonialism.

The doctor in the colonial milieu in Algeria had many roles, combining humanitarian and propaganda tasks to serve the orientations of French colonial policy in Algeria. Through this study, I tried to reveal the occupation's strategy in employing medicine and doctors as a tool of penetration into Algeria, by exploiting the difficult circumstances of the Algerians, as well as their respectful look at the doctor and their confidence in his treatments, and this is what made the French occupation use this tool to spread its ideas and principles.

**Keywords:** the doctors; penetration; Hype; treatment; colonization.

## 1. مقدمة:

استخدم الاحتلال الفرنسي العديد من الأساليب والوسائل لإخضاع الجزائر وشعبها لسلطته خلال القرن 19، ومن بين الآليات التي وظفتها الإدارة الاستعمارية الطب والأطباء لمعرفتها تأثير هذه الأداة كوسيلة اختراق للمجتمع الجزائري، بحكم حاجة الجميع لزيارات الطبيب وتلقي العلاج؛ خاصة بالنسبة للعنصر النسوي.

إن التغلغل في الأسرة المسلمة تحت شعار الخدمات الإنسانية والعلاجية كان من بين اهتمامات الحكام الفرنسيين في الجزائر، والذي سيسمح لهم بنشر أفكارهم وتوجهاتهم ومن ثم تحقيق ما يعرف بالاستيعاب المنشود.

إن الإشكالية الرئيسية التي ارتكزت عليها هذه الدراسة قائمة أساسا؛ للتساؤل عن كيفية استغلال الطب والأطباء في الجزائر خلال القرن 19 كأداة تغلغل واختراق باستغلال مهامهم الإنسانية؟

وضمن هذه الإشكالية الرئيسية تطرح التساؤلات الفرعية التالية: كيف كان الوضع الصحي في الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي؟ فيما تتمثل السياسة الطبية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية تجاه الجزائريين المسلمين؟ كيف تمّ استغلال الطب والأطباء كأداة تغلغل واختراق للمجتمع الجزائري المسلم تحت شعار المهام الإنسانية والعلاجية؟ كيف تجاوب الجزائريون مع الطب والأطباء الاستعماريين؟

فيما يتعلق بالمنهج المعتمد في هذا المقال، فيتمثل أساسا في المنهج التاريخي باعتماد الوصف والتحليل والاستنتاج لمختلف القضايا المرتبطة بدور الطب والأطباء الاستعماريين في الجزائر خلال القرن 19.

أما أهداف هذه الدراسة فيمكن حصرها في إبراز الدور الماكر الاستغلالي للطب والأطباء الفرنسيين في توظيف حاجة الجزائريين للعلاج من أجل الدعاية الاستعمارية، وكذا الفوارق الكبيرة في الخدمات الطبية بين الفرنسيين والجزائريين المسلمين.

## 2. الوضع الصحي في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي:

تميز الوضع الصحي في الجزائر بداية الاحتلال الفرنسي بالتدهور سواء تعلق الأمر بالغزاة الجدد الفرنسيين أو الجزائريين المسلمين؛ فأصعب مشكلة واجهت إدارة الاستعمار هي ارتفاع معدل الوفيات بين الجنود والمهاجرين الأوروبيين، بسبب عدم التأقلم مع الظروف الطبيعية للجزائر آنذاك، وعدم بناء مستشفيات للتكفل بهم مع بقاء الجنود في معظم الأحيان بدون ثكنات تحميهم شرّ الحر والبرد. أما بخصوص الجزائريين فلم تهتم إدارة الاحتلال بهم سوى نسبيا من باب محاولة اختراقهم والتأثير عليهم بواسطة توظيف التطبيب والأطباء كأداة توغل، وحتى عندما بنيت مستشفيات كانت موجهة أساسا لخدمة الجنود في المقام الأول والمهاجرين الأوروبيين ثانيا.

يذكر كمال كاتب بخصوص هذه النقطة بأنه؛" عشية الاحتلال الفرنسي كان نظام الصحّة في الجزائر بدائيا(..) كانت المستشفيات منعدمة والهياكل الوحيدة المسجّلة هي مستوصف الداي، والملاجئ التابعة لبعض المساجد"[1].

كما تناولت الباحثة الفرنسية كلير فرج (Claire Fredj) جزء من تقرير عن الوضع الصحّي للمعمرين والجنود الفرنسيين بعد انقضاء العقد الأول من الاحتلال من خلال ما كتبه الطبيب انطونيني (Antonini) في تقريره عام 1841 "إن القوة التي يهلك بها المرض القوة الاستكشافية والسكان الأوروبيين الذين بدؤوا في الاستقرار في المستعمرة الأفريقية يجعل هذه المؤسسة مشكلة"[2].

وفي إطار حديث جاك ليونار (Léonard Jacques ) عن الرسالة الحضارية والفكر الاستعماري. مع نمو الأعمال الاستعمارية، كان الأطباء كذلك مطالبين للحكم بخصوص تأثيرها على السكان المسلمين، فان أول مشكلة كبيرة يواجهها ج.ش. بودين ( J.-Chr. Boudin) والتي أشار إليها على سبيل المثال دون مراوغة ما يتعلق بالتراجع الديموغرافي للمسلمين الجزائريين حيث يقول: "لقد تعرض السكان المسلمون، في وقت الغزو، لنزيف ديموغرافي مهم. يتكتم الأطباء الفرنسيين على تقييم أسباب هذه الظاهرة الكبرى؛ من المسلّم به أنهم لم يكن لديهم إحصائيات دقيقة خلال العقدين الأولين، ولم يعرفوا حتى في منتصف القرن التاسع عشر، ما إذا كان هناك أربعة ملايين مسلم ، كما يعتقد دي كورسيليس ( de Corcelles) وبوجو (Bugeaud ) في 1847، أو مليونان فقط مثلما تشير تقديرات أخرى إلى ذلك في 1854. لكن بعض الأطباء يكشفون عن بعض العناصر المسببة للأمراض من الوجود الفرنسي"[3].

في إطار الاستفادة من تجارب الجزائريين للتأقلم مع ظروف البلاد؛ تعتقد كلير فرج (Claire Fredj) أنه كان على الأوروبيين أن يأخذوا الأهالي المسلمين كنموذج؛ من خلال

التعرف على عاداتهم وطريقة حياتهم، "نتفق مع ما يصفه كيسنوي ( Quesnoy) على وجه الخصوص للمزارعين من الوضوء اليومي والحمامات العامة المتكررة (..) وكل ما يحدث يوميا أمام أعيننا بين العرب"[4].

ضمن هذه النقطة المرتبطة برغبة الفرنسيين للاستفادة من تجارب الطب العربي الجزائري؛ قدم جاك ليونار (Léonard Jacques) تعليق الطبيب الرئيسي ألفونس بيرثيراند (Alphonse Bertherand )(1815-1887)، مؤسس مجلة لاغازيت الطبية للجزائر (la Gazette Médicale de l'Algérie) في جانفي 1856 والمدير الأول لمدرسة الجزائر للطب، والذي كان صريحا، في خطاب ألقاه في 22 نوفمبر 1860: ".. دعونا نطالب بشرف استعادة عرب الجزائر هذا الطب القديم الخالد الذي خلال ظلمة العصور الوسطى الطويلة والكثيفة، حافظ أسلافهم بأمانة على التراث لنقله إلى آبائنا في الغرب". كما كان يكرس الدكتور ألفونس بيرثيراند (Alphonse Bertherand ) نفسه، مع شقيقه، الدكتور إميل لويس بيرثيراند (Emile-Louis Bertherand )، لتعميم علاج طبي معين موجه للعرب[5].

رغم انتقادهم للطب التقليدي الجزائري؛ اهتم الأطباء الفرنسيين بمسألة الاستفادة من تجارب الأطباء الجزائريين نظرا لتحديات الأقلمة التي واجهها الفرنسيين جيشا ومعمرين في الجزائر مما عرقل مشاريع الاستعمار في بدايتها، وضمن هذه النقطة؛ يذكر أدولف آرموند ( Adolphe Armand) مؤلف كتاب "الجزائر الطبية" بخصوص كفاءة الأطباء العرب وحرصهم على الاستفادة من خبرتهم من خلال الاحتكاك بهم ومناقشتهم بقوله:"الأهالي، بصفتهم أوصياء على التجربة ثمرة الملاحظة، لديهم دائمًا شيء مفيد للتشاور في ممارساتهم، على الرغم من أنهم عرب؛ لذلك يجب أن نذكر هنا رأي البربري الحكيم الموريسكي محمد بن شعوة

(Mohamed-ben-Chaoua) أشهر طبيب عربي في الجزائر العاصمة؛ الذي كان في كل صباح عام 1843، يحضر لزيارة الجرحى في مستشفى الداي"[6].

يرى الطبيب م.أونتنيني (M. Antonini) بدوره؛ بأنه لا يمكن للمستعمرات أن تكون مزدهرة إلا "من خلال عمل مزدهر فقط ومتواصل، وأيضا بأجيال من المستوطنين العظماء. يجب لذلك ولتمهيد الطريق للاحتلال؛ تخصيب التربة، بناء ثكنات ومستشفيات لتلبية احتياجات الجيش، لكي يحافظ على غلّته وحمايته لفترة طويلة"[7].

في العقود الأولى من الغزو في الجزائر عام 1830 طرح سؤال حسب الباحثة كلير فرج (Claire Fredj) حول إمكانية توطين سكان أوروبيين هناك، حيث لوحظ في البدايات وعلى وجه الخصوص ارتفاع معدل الوفيات بين سكان الحضر غير المعتادين على الظروف المعيشية الجديدة. هذه الصعوبات طرحت مسألة التأقلم بقوة باهتمام من مختلف الأطباء. كما حاولت التقارير من مسعفي الجيش الفرنسي تحديد الخطوط العريضة للمشهد الصحي الذي لا يزال في طور الولادة في الجزائر. ففي الأرياف نلاحظ نشاط الطبيب العسكري ومعه الأطباء المدنيون والأخوات المسيحيات والقابلات[8].

وللاستدلال على أهمية ودور الطبيب في استعمار الجزائر يكفي أن نستعرض هنا تعليق الطبيب م.أونتنيني (M. Antonini) والذي جاء فيه بأنه: "منذ الغزو، كان تاريخ ممتلكات إفريقيا طبيًا بشكل حصري تقريبًا"[9].

### 3. توجهات السياسة الطبية الاستعمارية تجاه الجزائريين المسلمين:

رغم تأكيد الفرنسيين على أهمية الطب والأطباء كأداة تغلغل واختراق للجزائريين المسلمين، إلا أن السياسة الطبية الموجهة أساسا تجاههم لم تكن كافية لتخليصهم من آلامهم بل أكثر من ذلك أن قدوم المحتل الأجنبي قد جلب معه أمراضا لم تكن معروفة في البلاد.

يذكر فرونسوا قورجو( François Gourgeot)؛ بأنه جاء في تعقيب من طرف طالب لملك المغرب في حضـــور مهمّة فرنســـيّة عام 1836:" بإمكانكم أن تحقّقوا أكثر بكثير في مكناس مع العرب بواســـطة الأطباء والمرابطين أكثر من(مقارنة) بالمدافع والبنادق"[10]. كما يرى أيضــا الباحث دي فوييد (de Feuillide) ؛ بأنه:" من خلال الطبيب بإمكاننا أن نملك الأجيال التي تمشـــي. يقال وأعرف ذلك؛ بأن الأهالي لا يثقون إلا في أطبائهم، والذي يحجّمهم ويكويهم .. فهم عنيدين فيما يتعلق بتلقيح الأطفال"[11].

لقد أبرز الكاتب ايفون توران( Yvonne Turin) في مقاله المعنون بـ " الطب الدّعائي والاســـتعمار، تجربة بوفاريك في 1835 "؛ تجربة الطبيب بوزان (Pouzin ) والذي يمارس مهنة الطب في باريس قبل الحملة على الجزائر والعالم الإسلامي، حيث سيصبح الدكتور بوزان (Pouzin ) لاحقا بعد الحملة على الجزائر، مديرا للإســـعاف في بوفاريك، لقد " كان له فضــول مهني، حيث كان يعلم جيّدا الأســاليب الجديدة بالخصــوص الدور المتعاظم الممنوح للملاحظة الإكلينيكية. ربّما أيضا أنّ له علاقات ببيئات التنشئة الاجتماعيّة، على طريقة سان سيمون، فضولي، يقض للتجارب التي أجريت في "الدول البربريّة" "[12].

يرى الدكتور إميل برتراند ( Émile Bertherand) بأنه في كلّ مرّة عندما يكون قوّادنا على اتّصــال مع الأهالي، كان العرب يحصــلون دوما على معاينات أطبائنا الفرنســيين. ففي شــهر جويلية 1834، "كان الدكتور جيســكار(Giscard)؛ وهو جرّاح لواء الزواف يجود بإســـعافاته على الأهالي القادمين لســـوق بوفاريك، كما أن طبيب الحاكم العام الدكتور بوزا Pouzin قد أقام في جانفي 1835 خيمة في نفس المكان، وبمســـاعدة مترجم، كان يوزّع على العرب معاينات وأدوية مجانيّة"[13].

لقد كان في الواقع للدكتور بوزان (Pouzin) نظرة تتمثّل في أنّه بالإمكان إحداث تنمية حضاريّة لهذه البلدان والشعوب البربريّة من خلال نظام دعاية طبّي. ولتحقيق هذا المشروع في

ذهن هذا الأخير نجده قد غادر باريس في 26 سبتمبر 1834 من أجل الالتحاق بمدينة الجزائر. يبدو أنّ هذا الطبيب كان له علاقات عديدة باريسيّة مما جعله يحض بدعم في الجزائر من طرف الحاكم العام وليس هذا فقط بل من الملك وملكة فرنسا. وقد تقابل في الجزائر مع بيليسي Pélissier، وكذا لاموريسيير (Lamoricière)، وكذا المترجمان أليغرو (Allegro ) وفيرجي( Verger) واللّذين رافقاه في عدّة مرّات من دوراته(جولاته) [14].

إن المجهودان التي بذلها الدكتور بوزان (Pouzin) جعلته يفحص إلى غاية 150 مريضا تمّت زيارته في يوم واحد. " مع ذلك لم تكن هذه الأمور تتم دون مخاطر. لأنّه في أحد الأمسيات رجع الدكتور لوحده لأنّ مرافقيه الثلاثة سفكت دمائهم في الطريق. لم يغيّر ذلك من عزيمته. فمنذ أفريل 1835، فهذا الطبيب نفسه نظّم كل أيام الخميس، في الجزائر، خدمة تلقيح، من أجل أن يتسنّى لكلّ واحد الاستفادة من منافع التلقيح ". وفي مرحلة أخيرة توصّل الطّبيب بوزان إلى إنشاء مصلحة إسعاف ثانية للعرب، لكون أنّ الزيارات في الأسواق للطّبيب لا تسمح بمتابعة المرضى. ومن الصّعب مراجعة نفس الأشخاص، وكنتيجة لذلك فالدّعاية الطبيّة ضعفت[15].

خلال شهر أفريل 1835، منح الملك للحاكم مبلغ 1000 فرنك لإسعاف متيجة. كما اشتركت الملكة ضمن هذا العمل بمنحة 500 فرنك، وفي فيفري 1838، فان الدكاترة ميااردي ( Méardi)، بوديشون (Bodichon)، ترولي (Trolliet)، والذي يمثلون أطباء مدينة الجزائر؛ قد أسّسوا معاينات مجّانية للأهالي في مستشفى كاراتين (Caratine)؛ وقدّمت لهم أيضا أدوية[16].

لقد شعرت الإدارة الفرنسيّة منذ سنوات 1840 حسب الباحث كمال كاتب؛ "بضرورة استعمال الطب لكسب ثقة الأهالي وقبولهم بالاستعمار الفرنسي. كان للأطباء العسكريين الفضل في تحقيق هذا الهدف بالاشتراك مع أنشطة المكاتب العربيّة. فطوّروا مستوصفات

الأهالي وكانوا ينتقلون بين العشائر حيث يجرون التلقيح ضد الجدري. كانت العلاجات التي يقدّمونها مجانيّة مما ضمن نجاحهم وغيّر نظريّة السكان حول تطبيقات الطب التقليدي. وخاصة أثناء فترات المجاعة والبؤس"[17].

في إحدى جلسات المؤتمر الطبّي 1843 قال وزير التعليم العمومي بأنّ:" حكومة الملك، تعوّل كثيرا على التفاني المهني، وعلى التأثير الأخلاقي للأطبّاء في الجزائر، من أجل تحضير العرب، من أجل تقوية الهيمنة الفرنسيّة في إفريقيا"[18].

ولم يكتف بذلك بل أنّ نفس الوزير(التعليم العمومي) عند زيارته لمستشفى في مدينة الجزائر في 4 جويلية 1846 ألقى كلمة على الأطبّاء العسكريين جاء فيها:" أنتم تقدّمون خدمات كبيرة في هذا البلد؛(..) لديكم أيضا مهمّة أخرى أكثر أهميّة لاستكمالها، بأن تغطّوا في قسم كبير لأجل إدخال حضارتنا وسط القبائل العربيّة والقبائليّة. إن تبشيركم هو الوحيد، ربّما الذي بإمكانه النجاح من الآن إلى غاية سنوات طويلة. انه من ضمنكم من سيستدعونه ، بسبب نقص الموارد الطبيّة، لتخفيف معانات الأهالي، سيصلون مما لا شكّ فيه لاختراق وإنماء لديهم، البعض من أفكار حضارتنا الأوروبيّة. نأمل أنّ الحكومة ستعطيكم قريبا ضمن هذا الهدف الوسائل (الإمكانات) الأوسع نطاقا والأكثر فعالية. من جهتنا، سنبذل كلّ جهودنا من أجل وضعكم في موقف لنشر التعليمات الطبيّة بين الأهالي، والتي ستكون مفيدة في نفس الوقت للإنسانية وللتّأسيس لقوّتنا في هذه البلاد"[19].

وفق ما يعتقده الباحث جاك ليونار (Léonard Jacques ) فان الطبيب العسكري كان يدرك دوره السياسي والثقافي، من بينهم، بريتون جول براولت ( Breton Jules Brault ) الذي ابرز تعليقات للعديد من الأطباء في المستعمرات في 1903: ".. يجب استبدال الساحر الجاهل (يقصد الدجّال) بالطبيب المثقف. هذا الأخير متى كان سيصطدم بالخيال الدائم لهذه القبائل في طفولتها، عندما سيريحهم من أمراضهم (..) يعالج بنتائج ملحوظة

بسهولة (..) سيصبح وحيهم، سيكونوا في يده وبالتالي يمكن أن يوجههم نحو الضوء. يوجد هناك دور جيد يجب القيام به لطب القرن الذي كان للتو غزو"[20].

لكن جاك ليونار (Jacques Léonard) أصرّ للتعليق على كلامه بقوله؛ أن استخدام بريتون جول براولت (Breton Jules Brault ) الأفعال في المستقبل مردّه أنه كان محبطا بسبب ضخامة المشاكل التي تطرحها صحة المسلمين، ويتضح ذلك من خلال كلامه في مقالة أخرى له عام 1905: "هناك الكثير الذي يجب القيام به من أجل تحسين الوضعية"[21]. مما يعطي انطباعا واضحا على الوضعية الصحية المتدهورة التي كان يعانيها الجزائريين.

لم يكن نادرا؛ حسب إميل برتراند (Émile Bertherand)، "توغّل الجراحون الفرنسيون لمعالجة نساء الأهالي وبناتهن. خلال سنوات 1847، 1848، 1848 و1850 حوالي 45.000 عربي عولجوا من طرف أطبّاء المكاتب العربيّة من ضمنهم 10.775 في مقاطعة وهران، 16.061 في مقاطعة قسنطينة؛ 17.382 في مقاطعة الجزائر"[22].

كان يوجد في الجزائر بمقاطعاتها الثلاثة سنة 1844 حسب الكاتب لويس دي باديكور (Louis de Badicour) ؛ 32 مستشفى عسكري، بالإضافة إلى أنّ هناك 6 مستشفيات جديدة عسكرية أنشأت في 1845، ففي 1846 استقبلت المستشفيات 104.138 مريض عسكري، وانخفض هذا العدد إلى 48.204 مريض سنة 1853. وفي 1853 كان العدد الإجمالي للمرضى المعالجين في المستشفيات قد وصل إلى 70.106 من بينهم 48.704 عسكري و 21.402 مدني[23].

مع تأسيس المكاتب العربيّة في فيفري 1844؛ انتدب لها ضابط صحّة في إدارات القسمات الثلاثة فقط. وخلال 1847 وبعد الانتباه من طرف الغرف، أسّست خدمة للصحّة يضمنها أطبّاء مدنيين حيث تمّ إقرارها في 29 جوان 1847 من طرف وزير الحرب

حيث يعالج فيها الأهالي المسلمين مجّانا. وضمن هذا المجال يصرّح أحد ضبّاط المكاتب العربية، وهو القبطان لاباسيت (Lapasset )بأنّ:" إنشاء خدمة الصحّة، من المكاتب العربية هي ذات أهميّة كبيرة؛ فالوزارة التي أوجدت هذه الفكرة فهمت الأمر جيّدا (..) من أجل ربط الأهالي بنا، المجموعة كبيرة جدّا"[24].

يذكر كمال كاتب بخصوص التشريعات المؤسسة لهذا النشاط الصحّي أنّه "كان منظما بمراسيم 12 أفريل 1845 و21 جانفي 1853. ثمّ جاء مرسوم 3 جويلية 1859 ، مغيّرا ومتمّما بمرسوم 23 ديسمبر 1874، والذي حدّد القانون الأساسي للمستشفيات المدنيّة التي فتحت لكل السكان دون تفريق للعرق أو الدين"[25].

إن هذه الإجراءات والمنجزات؛ لا تخفي حقيقة مفادها أن إدارة الاحتلال كانت تهمل الوضع الصحي للأهالي المسلمين بشكل عام. حيث يقول الدكتور يحي بوعزيز بأن الاستعمار:" لم يكتف بإعراضه عن مكافحة الأمراض الأهلية، بل نقل أمراضا فتاكة كالزهري والسل(..) وأن الجهاز الصحي بمعناه العصري معدوم أصلا، أما المستشفيات التي شيّدت فإنها من باب ذرّ الرماد في العيون، وباستثناء المراكز الكبيرة حيث تطلبت مصلحة الاستعمار وجود أطباء كثيرين "[26].

إن مسألة التقصير من طرف الإدارة الاستعمارية بحق الرعاية الصحية للأهالي المسلمين يقره أيضا؛ دي فوييد (de Feuillide)، إذ يرى أنه؛ من النادر أن تجد في الجزائر مستشفيات موجّهة للمدنيين، فهي موجهة للعدد الكبير من الخدمة العسكرية بها، فلا يمكنها أن تستخدم إلا لصالح السكان الحضريين. في حين أنّ السكان الريفيون المشرّدين في دائرة كبيرة ، فلا يملكون الإمكانات للانشغال في حالة الجروح أو المرض للعلاج؛ حتّى أنّ الكولون لا يذهبون إلى المستشفى في حالة المرض، فان هؤلاء عندما يمرضون ينامون، وينتظرون بأن تسر السماء لأجل علاجهم أو يموتون[27].

لقد كان وباء الكوليرا الأكثر انتشارا:" فقد حدث سنوات 1833، 1849، 1851، 1854، 1865، 1869، 1887، 1889، 1893، 1896، ثمّ في 1912 و1916. وهذه الأوبئة تنطلق عادة من مدن ذات موانئ وتصل تدريجيا إلى المناطق الداخليّة بإتباع التواجد العسكري الفرنسي"[28].

إن مسؤولية الاحتلال في نقل الأمراض الفتاكة تشهد به حتى تقارير إدارة الاحتلال الفرنسي؛ حيث يرى كمال كاتب بأنه:"كان يجب انتظار 1859 حتى تتمكن مصلحة الصحّة للجيوش، في إحدى نشراتها ، أخذت القسط الأوفر من اهتمامات الكتاب ودراسة وضعيّة سكان الجزائر وأكدت بأن أوبئة الكوليرا التي انتشرت طيلة القرن 19 في الجزائر قد جيء بها من أوروبا"[29].

يعتقد دي فوييد (de Feuillide)؛ بأنه:" منذ التهدئة، فالطبيب لم يأخذ تأثيرا في العائلة العربية والدور الذي لعبوه في الشعوب بأوروبا، الخطأ يرجع في قسم كبير منه، لنظام التجميع والذي أوقف الأهالي بعيدا عن كلّ اتصال مع السكان المدنيين وبالطبع خارج مسار الدوائر الطبيّة. لكن مع التطبيق المدعوم من نظام الإدماج؛ فالأهالي يتواجدون مدموجين مع الأوروبيين في القرى والبلديات؛ فالمنزل العربي لن يعود مغلقا أمام التحقيقات المنتظمة للطب الإداري.(..) والطبيب الاستعماري لن يتأخر عن أن يكون أكثر عامل مؤثر في الانصهار الفرنكو-عربي"[30].

حسب كاتب فرنسي مجهول ضمن كتابه المعنون بـ"البلديات المختلطة وإدارة الأهالي في الجزائر"؛ فانه بخصوص نفقات الرعاية العموميّة والتي تشمل مجالات متنوعة فانّه "ليس للأهالي في العادة قسما كبيرا من توزيعات الإغاثة والتوزيعات المجّانيّة للأدوية "لأنّ المعمرين في المراكز الجديدة يستنزفون بسرعة بمفردهم لمصلحتهم أرصدة الإغاثة ومخزون الصيدليّة البلديّة، مع أن هذه المصاريف ليست إلا شيء قليل جدّا في الميزانيّة 0.20% في معظمها"[31].

لقد قال جاك ليونار (Léonard Jacques ) كلاما هاما جدّا بخصوص دور الإطار الطبي الاستعماري في الجزائر من خلال كشف دوره وأهدافه ونظرته تجاه الاهتمام بصحة المسلمين الجزائريين جاء فيه أنّ "الأطباء الفرنسيون في الجزائر هم قبل كل شيء في خدمة فرنسا وجيشها وإدارتها ومستعمريها؛ حتى أولئك الذين لا يوافقون على الاستعمار، حتى أولئك الذين يكرهون الانصهار العرقي، أعتقد أنهم يخدمون مصالح وطنهم. مع بعض الاستثناءات، لم يأتوا إلى الجزائر لمساعدة الأهالي، لأغراض خيرية بحتة. إذ قاموا بتلقيح الأطفال المسلمين، ليس بدون صعوبات، فهذا يعني إطاعة التعليمات الرسمية، وهذا التصرف من قبل السلطة العامة بشكل غير مباشر يحمي الجنود والمستوطنين الأوروبيين من انتشار الجدري؛ في عصر السكك الحديدية والبواخر التي قربت المسافات من بعضها البعض، كانت مكافحة الأمراض الغريبة تهدف أيضًا إلى الحفاظ على أوروبا القديمة"[32].

إن هذا الإهمال والتحايل في النفقات الصحية على الجزائريين المسلمين خاصة في البلديات المختلطة، قد جعلت الدكتور بوردي (Bordier ) يقر بأنه وفق لإحصائيات سنة 1882 كانت : "وفيات الأطفال تصل بالنسبة للأهالي نسبة مخيفة: إنها 50 لـ 100 في العام الأوّل من الحياة، في حين مقارنة بفرنسا.. هي 20 لــ 100 وعند الفرنسيين في الجزائر: هي 22 لـ 100"[33].

لقد انعكست هذه السياسة في الواقع على قلّة أعداد الجزائريين المسلمين الذين يرتادون المستشفيات الاستعمارية في المقاطعات الثلاثة؛ حيث قدرت أعدادهم بـ 3256 مريضا سنة 1873؛ و1944 مريضا سنة 1877، ثمّ 3337 في 1881، لترتفع لاحقا إلى 4214 مريضا في 1884[34].

## 4. توظيف الأطباء كأداة اختراق ودعاية للمجتمع الجزائري:

لقد قام الأطباء بأدوار عديدة في إطار المشروع الاستعماري في الجزائر؛ وغالبا ما لا يقتصر دورهم على المجال الطبي فقط؛ بل يتم استغلال توغلهم في المجتمع الجزائري المسلم بحجة تقديم المعالجة لخدمة أهداف أخرى جاسوسية، وكذا العمل على التأثير فيهم، وتحقيق ما يعتبره البعض الانصهار الفرنكو-عربي مع الجزائريين المسلمين في البلاد، عل الرغم من المخاطر العديد. وسأستعرض إلى نماذج من هذه التجارب وآراء بعض الكتاب الفرنسيين في مزايا الاستفادة من الطبيب والدعاية الطبية في المجتمع الأهلي.

حسب ما يتناوله توران ايفون ( Turin Yvonne) رغم أن الحرب كانت على أبواب الجزائر؛ ومع غياب الأمن، استمر الدكتور بوزان (Pouzin ) في جولاته الطبية الدعائية بحماسة. كان يجلب له بعض المرضى، ويوزع في نفس الوقت الأدوية، كما كان يرفض كلّ مكافئة. كما كان هذا الأخير يستغل فترة المساء، للاحتكاك بالسكان والتواصل معهم. بما في ذلك تواصله مع "الزعيم الديني في القليعة، وتحصّل على ممارسة مهاراته بالقرب من حجّوط، واحدة من القبائل الأكثر قساوة"[35].

يقر الطبيب إميل برتراند (Émile Bertherand)؛ بأن فائدة إدخال الطّب الأوروبي كوسيلة تحرّك فعّالة على العربي، شيء لا يرقى إليه شك أمام أعين الكل. وضمن هذا الإطار يستشهد بمقولة للبارون بود ( le Baron Beaude ) جاء فيها:" إن الجيش، يملك فئة من الرجال التي مع مساعدة قليلة سترتبط الكثير من الأهالي: إنهم الأطبّاء. العرب والقبائل لديهم ضمن موهبتهم ثقة غير محدودة، ويعترفون بالعلاجات التي يتلقونها منهم (..) فالطّبيب والمعروف عن هذا، يعبر قبائل الأعداء مع ثقته بأن يكون في كلّ مكان يبحث عنه ويحمى.."[36].

لقد وصف ضابط في المكاتب العربيّة، أحد امتيازات التأثير الطبّي للأطباء الاستعماريين خلال القرن 19، من خلال قوله:" معلومات هامة، التي لا يمكن لزعماء المكاتب العربية الحصول عليها، يتم تحصيلها من خلال الأطبّاء، تعلّمت العديد من جديد من خلالهم"[37].

يشير الطبيب الفرنسي شيليي دوروتي (Chellier Dorothée) سنة 1895 ضمن مقدمة كتابه المعنون بـ"رحلة في الأوراس: ملاحظات طبيب مرسل في مهمة لدى نساء العرب" بقوله: "في العمل التالي، سنجد سردًا صادقًا لسلسلة من الملاحظات التي تم جمعها خلال المهمة التي كلفني بها السيد كامبون (Monsieur Cambon)، الحاكم العام للجزائر. دراسة الوسائل التي يجب توظيفها لتحسين حالة السكان العرب وأحد الابتكارات الذي يدعو في هذا الصدد إلى إنشاء مستشفيات ميدانية في المناطق النائية (القبايل، الميزاب، الأوراس)". ومن خلال كلامه يبدو أنه انبهر بطبيعة الأوراس وسكانها مقارنة بمناطق أخرى، ويبدو أنها قد جذبت انتباهه بشكل خاص، كما صرح بخصوص تفاعل السكان مع علاجاته بقوله: "ما أدهشني بشكل خاص خلال مهمتي هو استعداد المرضى للمجيء وطلب رعايتي، والثقة الكاملة في العلاج المعتمد، والتأثير السريع الذي كان بإمكاني اكتسابه في أذهانهم"[38].

كما انعطف لاحقا هذا الأخير على الطب والطبيب كأداة استيعاب وجذب للعرب بدل اللجوء للقوة حيث يقول:"نحن نعلم أنه منذ غزو الجزائر، ظلت جهودنا لاستيعاب العرب شبه عقيمة. لم تقود القسوة إلى أي نتيجة مهمة. يظل العربي يقاوم كل محاولات الحضارة"[39].

يؤكد بدوره ليتولد ليمانسكي (Witolde Lemanski) بأن: "دور طبيب الاستعمار له من الأهميّة بحيث أنّ الإدارة لم تكن دوما منصفة معه بالنّظر لما يقدّمه، فنشاطه السياسي والوطني الذي لا يمكن إنكاره، ينبغي أن يمكنه من كسب انتصارا ماديا أفضل(..). كثيرا هي الظروف التي تتطلب الطبيب لدى العائلات المسلمة. مثل ما هو في كلّ مكان، فالآباء

القلقين، بالتقريب فزعين مع أبسط أذى للأطفال، يسارعون لاستدعاء رجل الفن (يقصد الطبيب)"[40].

لقد طرح شيليي دوروتي (Chellier Dorothée)عدة أسئلة بخصوص تفعيل دور المرأة والطبيب في المشروع الاستعماري، من بينها؛ بطرح وجود احتمال من عدم نجاح سياسة الاستيعاب للمجتمع الجزائري المسلم؛ "بسبب تغييبنا دور المرأة كأداة توغل؟ . كما تساءل مجددا بقوله: "عما إذا كانت طبيبة لا تستطيع أن تفعل شيئًا مفيدًا من خلال تسهيل إدخال أفكارنا في هذه البيئة شديدة العناد بعيدًا عنا. كنت أعرف أن السيد كامبون (Cambon) كان يحاول استخدام الأطباء، ليس فقط لجلب مساعدة الرعاية المستنيرة إلى الأهالي وتدمير تأثير الأطباء الذين يستغلون بلا استحقاق سذاجة أتباعهم في الدين، ولكن أيضًا للإسراع في عمل الاستيعاب"[41].

من الناحية السياسيّة، يرى إميل برتراند ( Émile Bertherand)؛ "بأن الطّبيب ببساطة صديق، يستقبله الغني والفقير، بدون خلفيات مسبقة، فلديه الامتياز بأن يشاهد ويسمع كثير من الأشياء، لكونه لا يأتي بقوّة سلطويّة فهو لا يجلب إلا المواساة والإسعافات، فهو يأتي لإرجاع الصحّة والقوّة، إلى اللّذين أصابهم البؤس والمرض والآلام، وعلى الأقل عندما يغادر يترك ذكريات الإحسان ويمنح القدوة لأحاسيس الأخوّة، والتضامن الإنساني ومشاعر دينيّة جميلة، انه يحمل بكتمان (بهدوء)؛ حيث يصف عمله بأنه؛ الضربة الأكثر قوّة للمعتقدات الخرافيّة، المنافية للعقل (السخيفة)؛ أن ينمي لدى روح الأهلي هذه الاستقلاليّة"[42].

كما يقدم الطب الاستعماري؛ حسب ما يراه إميل برتراند ( Émile Bertherand)، يقدم من الناحية الإنسانية خدمات هامة منها:

– القيام بدور في تحطيم شيئا فشيئا، بعض الممارسات التي يراها بربريّة، خاصة أثناء عمليات الولادة. والعمل "تدريجيا على تشويه سمعة المعالجين في البلاد. والذين يستثمرون بسذاجة ووقاحة الموارد المالية للفقراء المجبرين على استشارتهم".

– مراقبة المسائل الخطيرة للصحّة العموميّة.

– التقليل مما يعرف، بالأدوية الشافية والتي وصفها بالسّخيفة والمظلّلة والخطيرة خاصة التّمائم.

– تقديم الإسعافات في حالة انتشار الأوبئة.

–العمل على نشر الآراء والنّصائح والتي يعمل الجهل العقلي على ديمومتها وانتشارها.

– ضمان دقّة ودرجة السلامة في المدافن؛ ومراقبة الموضع الملائم للمقابر.

– استشارة ومراقبة تنفيذ المعايير الصحيّة الأكثر استعجالا لتقليل أسباب الأمراض المعدية والوبائيّة...الخ[43].

كما عدّد الطبيب إميل برتراند ( Émile Bertherand) مزايا أخرى تتعلّق بنقاط ذات وجهة نظر علميّة، ارتأيت أن لا ضرورة لذكرها في هذا المقام[44].

استطرد جاك ليونار (Jacques Léonard) في كلامه بخصوص مواقف السلك الطبّي الاستعمار بقوله: "أن هؤلاء الأطباء هم برجوازيون فرنسيون واقعيون. أبوتهم في ظل الإمبراطورية الثانية وتحت الجمهورية الثالثة تستجيب لمصلحة مفهومة جيدًا (..) إن الجهد الاستعماري يقتضي تعاونها وتنميتها. في ظل هذه الظروف، فإن أي مظهر من مظاهر العنصرية، ماكر وعفوي، محجوب بضمير حسن ونوايا حسنة"[45].

إن الدراسة التي قدّمها الطبيب الفرنسي ويتوولد ليمانيسكي( Witolde Lemanski)، ورغم كونها تتعلق بعادات العرب من خلال استخدام تونس كنموذج ، غير أنّ تشابه البلدين و بحكم استعمار فرنسا لكلا البلدين، ولتوفره على مادّة قيّمة حول طبيب المستعمرات ودوره الهام قد فرض علينا الاستعانة ببعض ما أبرزه في دراسته. ومما ذكره أن في مجتمعنا الحديث، يقال في العادة أنّ الطبيب يعوّض الراهب، وكيف أنّه في العشرين سنة الأخيرة، قد نجح الطبيب الأوروبي بسهولة كبيرة في التنقل إلى البيت المسلم، حيث أنّ كرامته وسمعته الاحترافية أو المهنية قد ساعدته كثيرا في هذا العمل الصّعب،" فالأهالي وثقوا فيه، وقبلوا استعماله لدى النساء، وكان بإمكانه رؤيتهم بوجه مكشوف. فالطّبيب منح علاجاته ببراعة وتفان. النساء إذا أخذوا اتصال مع المدنيّة الحديثة. الطّبيب أخذ لا حقا في الحياة المدنيّة الاجتماعية المسلمة، دورا هام جدا ليلعبه مثل ما هو في حياة الأوروبيين الحديثة"[46]. في الوقت الذي لا يحبّذ فيه الطبيب شيليي دوروتي (Chellier Dorothée) الاعتماد على العنصر الذكوري في الطب الاستعماري الموجه للعائلة، حيث يصرح بان:"الرغبة في التصرف مباشرة مع الرجل البالغ هي محاولة غير عقلانية، وعادة ما تكون نتائجها العملية لا شيء"[47].

أما بخصوص استخدام العنصر النسوي في الطب الاستعماري؛ وتقييما لاستنتاجاته يصرح الطبيب شيليي دوروتي (Chellier Dorothée) عن أهمية دور الطبيبة كأداة اختراق وتغلغل بقوله: "لذلك كنت سأكون قادرًا على إدراك فائدة الطبيبة في القبائل البعيدة، والتي لا تزال غير متمدنة، ونقدر ما إذا كان يمكن أن تفعل الشيء نفسه للخدمات مقارنة بالمدن العربية (..) لنتعاون في تربية الطفل بالحصول على ثقة الأم وزيارتها وتعويدها على إتّباع توجيهاتنا. من خلال القيام بذلك ، سوف نحصل على النتيجة التي كنا نسعى إليها لفترة طويلة دون جدوى "[48].

لقد اعترف الفرنسيون بأنه رغم انفتاح الاحتلال الفرنسي صحيا على الأهالي المسلمين؛ من خلال المستشفيات والهياكل الصحية المحدودة والمتواضعة بالنضر لتعاظم حاجيات المسلمين في الجزائر. إلا أن هؤلاء كانوا يتمنعون إلى حد ما عن الاقتراب من هذا النوع من الاستشفاء المرتبط أساسا بالمحتل الكافر.

وضمن هذا التوجه؛ ارتأى الطبيب إميل برتراند (Émile Bertherand) تقديم ملاحظات في هذا الأمر تتعلّق؛ بأنّ الأهالي الذين يقبلون كثيرا على المستشفيات العسكرية، كانوا يرفضون البقاء للاستشفاء فيها لأسباب عديدة تتعلّق بالتّباين في العادات والتقاليد الدينيّة، ولغة الخطاب...الخ. كما أنّ الغذاء دائما مشتبه فيه، لأنّ أيادي مسيحيّة قامت بتحضيره. والأهالي الذين يطلبون علاجات في المكاتب العربية لا يأتون إلا حسب المناسبة: فالطّبيب إذا لا يمكنه متابعة ومراقبة العلاج، وهناك تظهر عقبات، والمتعلّقة بمصاريف يؤسف لها، توزيعات للأدوية عادة نشطة، فالذين بإمكانهم الحصول على العلاج والدّواء هم الذين آلامهم تجبرهم على البقاء في الدوّار[49].

## 5. خاتمة:

لم تكن السياسة الطبية التي انتهجتها إدارة الاستعمار الفرنسي في الجزائر بريئة، لكونها بالأساس قد كرّست وجود مخطط اختراق للمجتمع والأسرة الجزائرية المسلمة باستغلال حاجتها لتلقي العلاج. إن الأهداف الدعائية للفكرة الاستعمارية كانت واضحة في ممارساتها، رغم محاولة الاختباء تحت الشعارات الإنسانية المخادعة المرفوعة، وهذا ما يفسر إحجام الغالبية من الجزائريين المسلمين في التعامل معها وتوجسهم من العلاجات التي يوفرها الغازي الأجنبي.

لقد كرّست السياسة الطبية الاستعمارية بدورها، فوارق واضحة بين الخدمات الصحية من حيث الحجم والكيف والهياكل، بين ما يقدم للجنود الفرنسيين والمعمرين وبين ما يمنح للجزائريين المسلمين.

## 6. قائمة المراجع:

1-بوعزيز يحي، **السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)**،الجزائر، 1991.

2-كاتب كمال، **أوروبيون أهالي، ويهود بالجزائر 1830-1962 تمثيل وحقائق السكان**، ترجمة رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر،2011.

3-Adolphe Armand, **L'Algérie médicale : topographie, climatologie, pathogénie, pathologie, prophylaxie, hygiène, acclimatement et colonisation**, imprimerie de L. Martinet, Paris, 1854.

4-Anonyme, **Les communes mixte et le gouvernement des indigènes en Algérie**, Augustin Challamel, éditeur, Librairie Maritime et Coloniale, Paris, 1897.

5-Antonini.M, **Rapport médical sur l'Algérie, adressé au Conseil de santé**, imprimerie de moquet et compagnie, Paris,1844.

6-Bertherand Émile, **Médecine et hygiène des Arabes: études sur l'exercice de la médecine et de la chirurgie chez les musulmans de l'Algérie**, Germer Baillière, libraire-éditeur, Paris, 1855.

7-Bordier Arthur (Dr), **La colonisation scientifique et les colonies Françaises,** Typographie Paul Schmidt, Paris, 1884.

8-C.de Feuillide, **L'Algérie Française**, typographie de Henni Plon, imprimerie de l'Empereur, Paris, 1856.

9-Fredj Claire, les médecins de l'armée et les soins aux colons en Algérie (1848-1851), Berlin**;** "**annales de démographie historique**", **2007/1**, **n°113**, **pages** (**127à154**), https://www.cairn.info/revue-annales-de-demographiehistorique, consulter le 26-07-2020, 23:39.

10-Gourgeot François, **Situation politique de l'Algérie**, Challamel aîné éditeur libraire Algérienne et coloniale, Paris, 1881.

11-Gouvernement Général Civil de l'Algérie, **Statistique général de l'Algérie années 1882 à 1884** , imprimerie de l'association ouvrière, Alger, sans date.

12-Jacques Léonard, "Médecine et colonisation en Algérie au XIXe siècle", In: **Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest**. Tome 84, numéro 2, 1977. pp. 481-494 . http://www.persee.fr.

13-Lemanski Witolde, **Mœurs arabes**,(**scènes vécues**), imprimerie Bussible, Saint-Amant, 1913.

14-Louis de Badicour, **La colonisation de l'Algérie ses éléments**, imprimerie Bailly Divery et Ce, 1856.

15-Yvonne Turin, "Médecine de propagande et colonisation, l'expérience de Boufarik en 1835", **Revue de l'Occident musulman et de la méditerranées**, n°8, 1970.

## 7. هوامش:

[1] كمال كاتب، **أوروبيون أهالي، ويهود بالجزائر 1830–1962 تمثيل وحقائق السكان**، ترجمة رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011 ، ص94.

[2] Claire Fredj, les médecins de l'armée et les soins aux colons en Algérie (1848-1851), Berlin**;** "**annales de démographie historique**", **2007/1**, **n°113**, **pages** (**127à154**), https://www.cairn.info/revue-annales-de-demographiehistorique, consulter le 26-07-2020, 23:39, p127.

[3] Léonard Jacques, "Médecine et colonisation en Algérie au XIXe siècle", In: **Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest**. Tome 84, numéro 2, 1977. pp. 481-494 . http://www.persee.fr, p489.

[4] Claire Fredj, op.cit, p133.

[5] Léonard Jacques, op.cit, p490.

[6] Adolphe Armand, **L'Algérie médicale : topographie**, **climatologie**, **pathogénie**, **pathologie**, **prophylaxie**, **hygiène**, **acclimatement et colonisation**, imprimerie de L. Martinet, Paris, 1854, p235.

[7] M. Antonini, **Rapport médical sur l'Algérie**, **adressé au Conseil de santé**, imprimerie de moquet et compagnie, Paris,1844, p53.

[8] Claire Fredj, op.cit, p150.

[9] M. Antonini, op.cit, p51.

[10] Gourgeot.F, **Situation politique de l'Algérie**, Challamel aîné éditeur libraire Algérienne et coloniale, Paris, 1881, p151.

[11] de Feuillide.C, **L'Algérie Française**, typographie de Henni Plon, imprimerie de l'Empereur, Paris, 1856, p241.

[12] Turin Yvonne, "Médecine de propagande et colonisation, l'expérience de Boufarik en 1835", **Revue de l'Occident musulman et de la méditerranées**, n°8, 1970, p186.

[13] Bertherand Émile, **Médecine et hygiène des Arabes: études sur l'exercice de la médecine et de la chirurgie chez les musulmans de l'Algérie**, Germer Baillière, libraire-éditeur, Paris, 1855, p555.

[14] Turin Yvonne, op.cit, pp 186-187.

[15] Turin Yvonne, "Médecine de propagande et colonisation, l'expérience de Boufarik en 1835", **Revue de l'Occident musulman et de la méditerranées**, op.cit, p188.

[16] Bertherand Émile, op.cit, pp 555-557.

[17] كمال كاتب، المرجع السابق، ص95.

[18] Bertherand Émile, op.cit, p549.

[19] Ibid.

[20] Léonard Jacques, op.cit, p490.

[21] Ibid, pp 490-491.

[22] Bertherand Émile, **op.cit**, p563.

[23] de Badicour Louis , **La colonisation de l'Algérie ses éléments**, **La colonisation de l'Algérie ses éléments**, imprimerie Bailly Divery et Ce, 1856,pp 254-255.

[24] Bertherand Émile, op.cit, pp 557-558-559.

[25] كمال كاتب، المرجع السابق، ص95.

[26] يحي بوعزيز ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830-1954)، الجزائر، 1991، ص94.

[27] de Feuillide.C, op.cit, pp107-108.

[28] كمال كاتب، المرجع السابق، ص97.

[29] نفسه، ص100.

[30] de Feuillide.C, op.cit, pp 242-243.

[31] Anonyme, **Les communes mixte et le gouvernement des indigènes en Algérie**, Augustin Challamel, éditeur, Librairie Maritime et Coloniale, Paris, 1897, pp40-41.

[32] Léonard Jacques, op.cit, p492.

[33] Bordier.A (Dr), **La colonisation scientifique et les colonies Françaises**, Typographie Paul Schmidt, Paris, 1884, pp180-181.

[34] Gouvernement général civil de l'Algérie, **Statistique général de l'Algérie années 1882 à 1884** , imprimerie de l'association ouvrière, Alger, sans date, p98.

[35] Turin Yvonne, op.cit, p187.

[36] Bertherand Émile, op.cit, pp549-550.

[37] Ibid, 553.

[38] Chellier Dorothée, **Voyage dans l'Aurès**: **notes d'un médecin envoyé en mission chez les femmes arabes**, Imprimerie nouvelle J.Chellier, Tizou ouzou, 1895, p5.

[39] Ibid.

[40] Witolde Lemanski, **Mœurs arabes**,(**scènes vécues**), imprimerie Bussible, Saint-Amant, 1913, pp268-269.

[41] Chellier Dorothée, op.cit , p6.

[42] Bertherand Émile, op.cit, pp 552-553.

[43]Ibid, pp 553-554.

[44]Ibid, p554.

[45] Léonard Jacques, op.cit, p492.

[46] Witolde Lemanski, op.cit, pp 263-264-265.

[47] Chellier Dorothée, op.cit, p7.

[48] Ibid.

[49] Bertherand Émile,op.cit , pp 557-558.

# تلمسان " التاريخ – المجتمع – العمران " في كتابات المستشرق الفرنسي ألفريد بيل (Alfred Bel 1873–1945)

# Tlemcen "History - Society - Urbanism" in the writings of the French orientalist Alfred Bel (1873-1945)

**ط.د بخاخ سعدون (*)**،
[1] جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، saadoun.bekhakh@univ-tlemcen.dz

**تاريخ الاستلام**: 2021-08-28 **تاريخ القبول**: 2021-10-09

**ملخص:**

تعددت أسماء المستشرقين الفرنسيين في الجزائر خلال فترة الاحتلال، كما تعددت اهتماماتهم البحثية، حيث شكل الاستشراق الفرنسي خلال هذه الفترة أحد أهم آليات اختراق المجتمع الجزائري، وضمن هذا المنحى نسعى في هذا المقال الى الوقوف على أعمال أحد أهم المستشرقين الفرنسيين وهو ألفريد بيل (1873–1945) الذي اشتغل على تلمسان كثيرا، خصوصا وأنه أقام بها مدة 40 عام، حيث لامست كتاباته كل ما يتعلق بالمجتمع التلمساني من تاريخ وآثار وعادات وتقاليد.

**الكلمات الدالة**: الاستشراق، تلمسان، ألفريد بيل، الكتابات الفرنسية، المجتمع.

**Abstract:**

This article helps to retrace the scientific production of the French orientalist Alfred Bell (1873-1945), who is considered one of the most

(*) المؤلف المرسل: ط.د سعدون بخاخ: البريد الإلكتروني saadoun.bekhakh@univ-tlemcen.dz

prominent French orientalists in Algeria during the period of the French occupation.

His writings and scholarly articles have focused on the city of Tlemcen and its surroundings, in which he resided for forty years. His research interests are varied: history, archeology, society and customs.
**Keywords:** orientalism; Tlemcen; Alfred Bell; society; french writings.

## 1. مقدمة:

شكل الاستشراق الفرنسي في الجزائر طيلة فترة الاحتلال أحد أهم آليات اكتشاف المجتمع الجزائري واختراق بنيته، أين بذلت مجهودات فردية وجماعية لعشرات المستشرقين على مستوى المؤسسات، من خلال عقد مختلف المؤتمرات والملتقيات، وبمباركة الإدارة الفرنسية التي سهلت لهم أعمالهم، حيث كلّلت هذه الجهود بنشر مئات الأعمال التي تعكس صورة المجتمع الجزائري.

لقد خلف الاستشراق الفرنسي في الجزائر قائمة أسماء طويلة يطول ذكرها، تنوعت مجالات اهتمامها فهناك من اهتم بالمرأة وحياتها اليومية، وهناك من اهتم باللهجات على نطاقات جغرافية متنوعة، ومنهم درس الحياة الدينية وما يرتبط بها من شعائر وممارسات، زيادة على اختصاص بعضهم في رصد عادات وتقاليد الجزائريين بصفة عامة أو في نطاق جغرافي معين، ضمن ما يعرف بالتاريخ المونوغرافي، وغيرها من مجالات البحث[1].

إنه على الرغم من عدم خلو هذه الكتابات من تشويه ومغالطات ومبالغات، إلا أنها تبقى مصادر لا غنى عنها للباحثين تحتاج لقراءات نقدية من أجل الاستفادة منها وتوظيفها في سياقاتها، ولا سيما في ظل غياب كتابات محلية معاصرة لها تتوافق أو تتعارض مع ما جاء فيها.

وبما أنه يتعذر علينا في هذا المقال تتبع سيرة وإنتاج عدد من المستشرقين، فإننا سنحاول الوقوف على أحد الأسماء البارزة في حقل الاستشراق الفرنسي بالجزائر وهو ألفريد بيل **Alfred Bel**، الذي أقام 40 عاما في الجزائر وتحديدا في مدينة تلمسان، تلك المدينة التي استهوته وراح يكتب عن مجتمعها، وآثارها، وتاريخها لتشمل كتاباته تلمسان المدينة وتلمسان الإقليم التابعة للقطاع الوهراني، ومن خلال هذه الصفحات نسعى للإجابة عن ثلاث تساؤلات رئيسية ترتبط بألفريد بيل **Alfred Bel** وكتاباته حول تلمسان، على النحو التالي: ما مدى حضور تلمسان في كتابات ألفريد بيل **Alfred Bel** ؟، ماهي الجوانب التي اهتم بها ؟، وماهي القيمة المعرفية والتاريخية التي يقدمها لنا ضمن هاته الكتابات؟.

## 1. تلمسان في الكتابات الفرنسية

كغيرها من المدن الجزائرية نالت تلمسان اهتمام الكثير من الباحثين الفرنسيين خلال فترة الاحتلال حيث اهتم هؤلاء بمعالمها المختلفة وبتاريخها وحضارتها، يأتي هذا الاهتمام لعدة اعتبارات أهمها الماضي العريق لتلمسان التي كانت حاضرة علمية، وعاصمة سياسية للدولة الزيانية على امتداد ثلاثة قرون، زيادة على هذا فقد كانت بها إحدى المدارس الشرعية التي ضمت عددا من المستعربين والمستشرقين الفرنسيين أمثال: ألفريد بيل **Alfred Bel** ادموند دوتي **Edmond Doutté**، ادموند ديستان **Edmond Destaing** رينيه باصيه **René Basset**، جورج مارسيه **Georges Marçais**،...و عليه كانت تلمسان حاضرة في أبحاثهم الميدانية وفي مقالاتهم، ولاشك أن الإدارة الفرنسية قد قدمت تسهيلات لهؤلاء الباحثين قصد تكييف هذه البحوث مع مشاريعها المأمولة.

تعددت الأبحاث حول تلمسان فقد اشتملت على تاريخها عبر العصور، الطابع العمراني لمعالمها الحضارية، ملامح الحياة الثقافية والدينية، عادات وتقاليد المجتمع التلمساني وغيرها من حقول البحث، حيث ساهم هذا التنوع البحثي في كثرة المؤلفات الأمر الذي يجعل حصر هذه الأبحاث يحتاج إلى وقت وجهد، الأمر الذي تكفل به أحد الأساتذة

الفرنسيين وهو ايميل جانييه (**Emile Janier**)، حيث أقدم على جمع الأعمال العلمية المنشورة حول تلمسان ونواحيها في مقال نشره في المجلة الإفريقية تحت عنوان **بيبليوغرافيا الأعمال المنشورة حول تلمسان ونواحيها**[2].

بعد اطلاعنا على هذا المقال اتضح لنا الاهتمام المبكر بتلمسان، حيث يرجع تاريخ بداية الاهتمام إلى عام 1836م ( **مع العلم أن رحلة توماس شو تمت ترجمتها عام 1830م وفيها جزء مخصص لتلمسان** )، في حين كان آخر تاريخ للأعمال المنشورة في المقال حول تلمسان عام 1948م، حيث تنوعت الأعمال المنشورة بين كتب ومقالات في مختلف المجلات، زيادة على أعمال الملتقيات والمؤتمرات، وللإشارة فإن صاحب المقال اجتهد في توضيح حضور تلمسان ضمن هذه الأعمال، فهناك العناوين التي تتعلق بتلمسان مباشرة وهناك الأعمال التي تحدثت عن القطاع الوهراني وتلمسان جزء منه، فيحدد لنا صاحب المقال الصفحات المرتبطة بها، وهناك أيضا الأعمال التي تحدثت عن الجزائر بصفة عامة وتلمسان ضمنها، والأمر نفسه لبعض المقالات وأعمال الملتقيات.

نظرا لكثرة الأعمال كما أشرنا فقد تعذر على صاحب المقال ترتيبها كرونولوجيا وإنما اكتفى بتصنيفها ضمن المجالات أو الحقول التي تنتمي لها، وخلافا لما سار عليه المؤلف تفاديا منا للتكرار، فإننا سوف نقوم بتصنيف هذه البيبليوغرافيا وفقا لطبيعتها (**كتب، ترجمة لكتب الرحلات والتراجم، مقالات، أعمال ملتقيات ومؤتمرات**) على النحو التالي:

**1/ الكتب**: 69.

**1.1/ كتب التراجم والرحلات المترجمة**: 31.

**2/ أعمال الملتقيات والمؤتمرات: 35**

**3/ مقالات المجلات والنشريات**:

**1.3/ المجلة الإفريقية**: 30.

**2.3/ المجلة الأسيوية**: 10.

**3.3/ مجلة إفريقيا الفرنسية**: 02.

**4.3/ المجلة الجغرافية المغربية**: 01.

**5.3/ نشرية الجمعية الجغرافية لوهران**: 42.

**6.3/ النشرية الأثرية**: 10.

**7.3/ نشرية الجمعية الفرنسية لما قبل التاريخ**: 02.

**8.3/ مجلات ونشريات أخرى**: **32**.

**4/ التقارير**: 04.

**5/ دائرة معارف الاسلام** 02.

وبنفس الطريقة أعاد الأستاذ إيميل جانييه **Emile Janier** نشر مقال آخر في العدد 95 من المجلة الإفريقية تحت عنوان: **ملحق حول البيبليوغرافيا المنشورة حول تلمسان ونواحيها** وهكذا يتضح لنا جهده في جرد كل الكتابات المتعلقة بتلمسان في تلك الفترة.

**2.** ألفريد بيل **Alfred Bel** – السيرة والإنتاج العلمي-

ولد ألفريد بيل في ضاحية سالين بفرنسا وهناك زاول تعلميه الابتدائي مبرزا تفوقه، ولما بلغ سن السابعة عشر تحصل على شهادة البكالوريا في شعبة العلوم لينتقل بعدها إلى الجزائر ومع صغر سنعه اشتغل بيل **Bel** معيدا في ابتدائية بالبليدة، ليشد رحاله بعدها إلى احدى ثانويات وهران، والتي مكث بها مدة 5 سنوات[3].

أشرف ألفريد بيل **Alfred Bel** على إدارة مدرسة تلمسان ثلاث مرات منقطعة مدة ثلاثين عام المرة الأولى ما بين عامي 1905-1914، المرة الثانية ما بين 1916-1935، والمرة الثالثة ما بين 1939-1940، كما ساهم في أنشطة متحف الفنون بنفس المدينة[4].

إن الملاحظ لما أنتجه ألفريد بيل **Alfred Bel** من أعمال يقف على تنوع اهتماماته، فقد كتب عن التاريخ والآثار كما كتب عن الإسلام والحياة الدينية في شمال إفريقيا، زيادة على اهتمامه بالعادات والتقاليد، ولم تقتصر أبحاثه على الجزائر خاصة وتلمسان عامة، بل إنها امتدت إلى المغرب بحكم إقامته هناك مدة عامين ونصف، حيث اهتم بالحرف والصنائع التقليدية، كما اهتم بخزائن المخطوطات، ووقف على كثير من المعالم الأثرية التي حاول شرح النقوشات المكتوبة فيها[5].

ولا شك أن تنوع أعماله راجع الى تنوع ثقافته على اعتبار أنه مستشرق، زيادة على احتكاكه بالمستشرقين المعاصرين له والقريبين منه في تلمسان، وقد توفي بيل في 18 فيفري 1945 بمكناس المغربية تاركا وراءه إنتاجا علميا وفيرا[6]، فبرجوعنا إلى بيبليوغرافيا أعماله التي كتبها الأستاذ ايميل جانييه **Emile Janier** في المجلة الإفريقية[7] أحصينا له 101 عملا تتوزع على: 12 كتاب، 63 مقالا سواء نشرت في مجلات أو كانت ورقات علمية شارك بها في ملتقيات ومؤتمرات، 25 تقرير بيبليوغرافي، 21 دراسة في دائرة المعارف الإسلامية.

أما بخصوص أعماله المتعلقة بتلمسان فقد بلغت 36 عملا بين كتب ومقالات ناهيك عن الدراسات التي تحمل في طياتها صفحات عن تلمسان، وهذا يعني أن أعماله حول تلمسان تتجاوز نسبة 30 % من أعماله الكاملة، وسنقوم باستعراض نماذج من أعماله وفق ثلاث محاور رئيسية: **التاريخ – المجتمع – العمران**.

## 3. تاريخ تلمسان في كتابات ألفريد بيل (Alfred Bel)

### 1/ التاريخ

### 1.1/ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد

أولى المستشرقون الفرنسيون اهتماما كبيرا بالمخطوطات الجزائرية تراوح بين الترجمة والتحقيق، حيث قادهم هذا الاهتمام إلى البحث والاستيلاء عليها بمختلف الطرق، وكثيرا ما كانت هذه المخطوطات تختفي كما هو الحال مع مخطوط **النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة**

لابن حماد الصنهاجي، أين قام المستشرق **شيربونو**[8] **Charbonneau** باقتباس نصوص منه ونشرها في المجلة الأسيوية، إلا أنه اعتمد على نسخة وحيدة تعتبر في حكم الضياع بما أنه لم يرجعها إلى أصحابها، وعليه فان جميع الدراسات أصبحت ترجع لما نشره وفي مجال ترجمة هذه المخطوطات قام **ادريان بيربروجر Adrien Berbrugger** بترجمة رحلة العياشي ورحلة الدرعي المغربيين، وقام ديسلان **De Slan** بترجمة مقدمة وتاريخ ابن خلدون[9].

يعد كتاب بغية الرواد أحد أركان التاريخ الزياني إضافة إلى كتاب العبر، وكتاب نظم الدر والعقيان، على اعتبار أن مؤلفي هذه الكتب كانوا شهودا على عصرهم، مدونين للأحداث الواقعة فيه، وتظهر قيمة كتاب بغية الرواد لاعتماد صاحبه بحكم منصبه ككاتب في البلاط الزياني على الوثائق الرسمية والمعاهدات، زيادة على قربه من رجال الدولة صانعي الحدث[10].

لقي بغية الرواد اهتمام المستشرق **ألفريد بيل Alfred Bel**، فقد أقدم على تحقيق وترجمة الجزء الأول الى اللغة الفرنسية عام 1903م، معتمدا على5 نسخ مختلفة من حيث الخط، وعدد الأوراق والمقاس، وتاريخ النسخ[11].

وفي عام 1911 نشر بيل الجزء الثاني من بغية الرواد بالتعاون مع الأستاذ غوثي بوعلي الذي كان مدرسا بالجامع الأعظم في تلمسان وكذا في المدرسة الشرعية[12].

إن اعتماد ألفريد بيل **Alfred Bel** على عدة النسخ يعكس جهده في هذا العمل وتماشيه مع أحد أهم شروط التحقيق العلمي المتمثل في مقابلة النسخ، غير أن عمله لم يخل من هفوات وأخطاء أشار إليها الأستاذ عبد الحميد حاجيات الذي أقدم على إعادة تحقيق بغية الرواد معتمدا علة 6 نسخ لم يعتمد عليها ألفريد بيل **Alfred Bel**، ومن هذه الهفوات اعتماده على نسخة القاضي شعيب كنسخة أساسية رغم كثرة الأخطاء فيها مقارنة بنسخة باريس التي تحمل رقم 5031، ونسخة الباشعدل محمد بن أحمد الحصار، زيادة على كثيرة الأخطاء الإملائية والنحوية التي جاءت في هذا العمل.[13]

## 4. ألفريد بيل Alfred Bel والمجتمع التلمساني – عادات وعبادات –

### 1.4/ طقوس الاستمطار لدى المغاربة

يعد موضوع الاستسقاء في الجزائر، أو طلب النو كما يرد في الأدبيات الفرنسية من أهم مواضيع التراث الشعبي التي لقيت اهتمام المستشرقين الفرنسين، ففي هذا الجانب تتداخل حقول المعرفة كالتاريخ والدين والأنثروبولوجيا، وهو ما تعكسه مختلف الممارسات من منطقة إلى أخرى، وعلى الرغم من هذا الاختلاف الممارساتي إلا أن جوهرها واحد وهو طلب الغيث.

قبل حديثنا عن عمل ألفريد بيل **Alfred Bel** المتعلق بطقوس الاستمطار، نشير إلى عمل المستشرق الفرنسي الآخر جوزيف ديسبارمي **Joseph Desparmet** المهتم بالتراث الشعبي في منطقة البليدة ففي كتابه الشهير بالفوائد يدرج لنا مبحثا حول طقس بوغنجة، تلك الملعقة التي تأخذ شكل فتاة يحملها الصبية ويتجولون بها، ويمكننا تفسير حمل الصبية لهاته الدمية ببراءتهم تجاه الخالق وعدم مسؤوليتهم عن الجفاف بسبب الذنوب، زيادة على الأغاني التي تعبر عن الابتهال والضعف في قولهم:

بُوغَنْجة وجْـعه راسـه   يـا ربي شمَـــخ راسـه

السـْـبُولـة عـَطـْـشانا   اسـْقِيهـا يـا مـولانا

بُوغنجة يشْرب الشرابْ   يا رب اعطينا الضَبابْ[14]

برجوعنا إلى عمل بيل مقارنة بعمل ديسبارمي، نجده يمتاز عنه بالامتداد الجغرافي حيث رصد بيل هذه الطقوس في مناطق مختلفة من تلمسان، زيادة على رصده لهذه الظاهرة عند مختلف الفئات المجتمعية المكونة للمجتمع التلمساني، بناء على الملاحظة المباشرة وكذلك المقابلات الشخصية.

استنادا الى رواية أحد اليهود الذين قابلهم ألفريد بيل **Alfred Bel**، فإن هؤلاء كانوا يقومون بالتجمع في المعبد ثم التوجه الى ضريح الربي نقاوة شيوخا وأطفالا ويقرؤون بشكل جماعي آيات من التلمود، ثم يرددون باللغة العربية ثلاث مرات ما يلي:

يا رَبي اعطِينا الشتا وحن علينا

ما تقبضْهَاشي في ذنـُوبـِـــنـــا

ويقومون بتكرير هذا الدعاء الى غاية أن تمطر السماء، حتى وان كان في عدة أيام كما أنهم يقومون بإعداد مأدبة عامة في المعبد بعد نزول المطر،[15] ويبدو أن هذه المأدبة كانت محل اشتراك بينهم وبين المسلمين الذين كانوا يخرجون الطعام أمام ضريح الشيخ السنوسي ليتناوله الأغنياء والفقراء والغرباء والكبار والصغار، وعند الانتهاء من الطعام يتم نشر باقي الطعام على الأرض لكي تأخذ الطيور حصتها منه.[16]

كان للسكان السود طقوسهم في هذه المناسبة، حيث كانوا يجتمعون أمام ضريح الولي سيدي بوجمعة أين يقومون بأداء أغاني ورقصات خاصة بهم، ويلتف الناس من حولهم مقدمين لهم أموالا تكون هي مصدر شراء المأدبة التي سيتم تحضيرها، وبعد إنهاء الرقصات يقوم هؤلاء السود بذبح أضحية أمام الضريح، ويتم قراءة دعاء جماعي يشرف عليه مقدم الضريح.[17]

إن قداسة الأولياء في تلمسان جعلت لهم حضورا قويا ضمن هذه الطقوس، سواء كانوا أحياء أو أموات ففي عين الحوت شمال تلمسان يتم رمي أحد الأولياء رغما عنه في عين مقدسة غير بعيدة عن القرية، وبعد هذا الاستحمام الإجباري يتم سحبه بواسطة حبل يتم تمريره تحت إبطيه.[18]

زيادة على التوجه في مواكب الى أشهر الأولياء كما هو الحال مع الولي المدعو سيدي الداودي الموجود شرق أقادير أين يقومون بإنشاد ما يلي:

يا مـُولانا يا سميع الدًعاء

نزلنا الغيث مـِـن السـمَاء

أنت المغيث يا رب غيثنا

ولا تحاسبنا بما فَعلنا[19]

كما شاع تداول العبارة التالية عند زيارة العديد من الأضرحة:

يا رِجـــال حنوا وجودوا

وارغبوا المولى يسقي عِباده

إلى جانب حضور الأولياء في هذه المناسبة حسيا أو معنويا، نجد حضور الأطفال والصبية كما هو الشأن في البليدة، زيادة على التشابه في الأناشيد

يـا غـنْـجـة طالـبا الـرجـا

يـا ربـي تـعـطينـا الشتـا

جلجلي يا جلجالة باش تعيش الهجالة

السبولة عطشانا غيثها يا مولانا

الزرع صفر ورقها غيثها يا من خلقها[20]

وقبل أن نختم كلامنا عن طقوس الاستمطار بمنطقة تلمسان في كتابات ألفريد بيل **Alfred Bel** نشير إلى أن عمله هذا كان محل إشادة من الأستاذ بروبيست بيرابن **Probst Biraben**، ومنطلقا لدراسته التي تتبع فيها نفس الطقوس في الناحية الشرقية من الجزائر، وبهذا تكون الكثير من الجوانب المتعلقة بهذه الطقوس واضحة لدينا.

### 2.4/ ساكنة تلمسان المسلمة

نشر ألفريد بيل **Alfred Bel** مقاله هذا في مجلة الدراسات الاثنوغرافية والاجتماعية، حيث تطرق فيه الى مظاهر من الحياة الدينية والاجتماعية في مدينة تلمسان كما أرفق مقاله هذا 12 صورة مختلفة، منها ما يرتبط برقص الزنوج ومنها ما يرتبط بشوارع المدينة، ومنها ما يرتبط بالأضرحة وزيارات النسوة لها، ففي البداية يحدثنا ألفريد بيل

**Alfred Bel** عن التركيبة العرقية المسلمة للمجتمع التلمساني، والتي حصرها في ثلاث فئات رئيسية على النحو التالي:

**الحضر**: وهم من يعرف كذلك بالبلدية أو المور، حيث تعتبر هذه الفئة مزيجا بين العرب والبربر، ونظرا لاندماج هذين الفئتين وتزاوجهما فإنه من الصعوبة التمييز بين العرقين، هذا ويضيف بخصوص حضر تلمسان، أن عددا كبيرا منهم تعود أصولهم الى الأندلسيين الذين فرّوا من الأندلس في القرنين 14و 15 الميلاديين واستقرّوا في عاصمة بني زيان، وهم من قام بإحضار الأغاني الغرناطية إلى تلمسان، أما من ناحية التوزيع الجغرافي فيقطن هؤلاء في الأحياء الشمالية الشرقية للمدينة[21].

**الكراغلة**: تشكل هذه الفئة امتدادا للتركيبة الاجتماعية في تلمسان خلال العهد العثماني حيث أنها نتاج تزاوج أفراد الحامية التركية بالنساء الأهليات، حيث يقطن هؤلاء في غرب وجنوب غرب المدينة، وبعضهم يقطن في الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة

**الزنوج**: يشتغل هؤلاء عند أثرياء المدينة، وتعود أصولهم بشكل عام إلى بلاد توات أو بلاد السودان، يشير ألفريد بيل **Alfred Bel** الى أن إسلام هؤلاء تشوبه الكثير من المعتقدات الوثنية التي يعبرون عنها بطقوس سحرية ويضيف بأن هؤلاء عند ممارستهم لطقوسهم يتكلمون بلهجتهم السودانية رغم إتقانهم للغة العربية،[22] وفي ختام حديثه عن الفئات المسلمة بتلمسان يبدي ملاحظة في غاية الأهمية تتعلق بغياب العنصر الميزابي في تلمسان، على غرار تواجدهم في المدن الجزائرية الأخرى.[23]

أما فيما يتعلق بالحياة الدينية فقد ذكر جوانبا كثيرة، أهمها ذكره للصلوات اليومية وارتياد الرجال للمساجد دون النساء، ما عدا بعض العجائز اللَواتي يذهبن لصلاة يوم الجمعة وصلاة العيدين، وفي هذا الصدد يشير إلى ثلاثة مساجد رئيسية في مدينة تلمسان، أولها المسجد الكبير الذي يصلي فيه الحضر، مسجد سيدي إبراهيم الذي يصلي فيه الكراغلة،

ومسجد سيدي أبو مدين في قرية العباد الذي يقصده المسلمون بشكل عام لصلاة يوم الجمعة.

من الأمور التي لاحظها ألفريد بيل **Alfred Bel** في مدينة تلمسان حرص الآباء على تربية أبناءهم تربية دينية، حيث يحرص الآباء على تعليم أبنائهم الصلاة عند بلوغ سبعة أعوام، وإرسالهم إلى الكتاتيب لحفظ القرءان الكريم، زيادة على تعويدهم الصيام رغم صغر سنهم، فكثيرا ما ترى الصبي صائما مثل والده في شهر رمضان، الأمر الذي رأى فيه بيل مبالغة لأن الشريعة تبيح لهؤلاء الصبية الإفطار.

لم يخف على بيل انتشار التصوف في تلمسان على اعتبار أنه امتداد للفترات السابقة، لذا فقد لاحظ انتساب الكثير من التلمسانيين بما فيهم العنصر النسوي لطرق مختلفة، كالقادرية، والطيبية، والدرقاوية، والتيجانية والكرزازية.[24]

بعد هذا ينتقل ألفريد بيل **Alfred Bel** للتحدث عن الاحتفالات والمناسبات ذات الطابع الديني في المجتمع التلمساني ويقسمها إلى احتفالات عامة واحتفالات خاصة، فالنسبة للأولى يذكر مناسبة عاشوراء التي تكون كل عام في اليوم العاشر من شهر محرم حيث يمثل هذا اليوم ذكرى وفاة الحسين بن علي في موقعة كربلاء، ومن جملة ما يقوم به التلمسانيون في هذا اليوم تقديم الصدقات للفقراء، ومن التلمسانيين من يقدم في هذا اليوم على ختان أطفاله.

أما فيما يتعلق ببعض المعتقدات المرتبطة بيوم عاشوراء، نجد استعمال التلمسانيين للحناء مع قراءة بعض التعاويذ عليها وهذا للاحتراز من الجن، كما كان الحدادون في المدينة يوزعون على السكان خواتم نحاسية بالمجان يعتقد السكان بشأنها أنها تحميهم من العين.[25]

ثم يعرج بعدها بيل الى ذكر الاحتفال بالمولد النبوي وما يرتبط به من ممارسات، فالزوايا ومريدوها يحيون تلك الليلة بالمديح النبوي، بعد تناول وجبة العشاء في الزاوية، ويقضي الأطفال يومهم في اللعب والجري في الأحياء منشدين: **المولود... المولود...مولود النبي**

ويعتبر المولد النبوي فرصة لإطعام الطعام والقيام بالصدقات، وبخصوص العلاقات الأسرية ولا سيما الخطيبين، ترسل عائلة الزوج لعروسها الملابس والهدايا وبعض المجوهرات.

يواصل ألفريد بيل **Alfred Bel** حديثه عن المناسبات الدينية، وينتقل بنا هذه المرة إلى عيد الفطر وكيفية استقباله واجواءه في المجتمع التلمساني، حيث يشير إلى استمرار العيد ثلاثة أيام، يمتاز اليوم الأول بتأدية صلاة العيد على الساعة الثامنة صباحا، وبعدها يشرع الناس في زيارة أقاربهم مرتدين أحسن ملابسهم، وتكون النسوة في المنازل قد أعددن الحلويات لمثل هذه الاستقبالات والزيارات المتبادلة، أما اليوم الثاني فيتجه الناس إلى المقابر، كما يتجه أتباع الطرق الصوفية في تلمسان إلى ضريح الشيخ أبو مدين بالعباد، وقد وصف هذه الزيارات بالحج لكثرة الوافدين، والأمر نفسه بالنسبة لليوم الثالث، حيث يتوجه أصحاب الطرق الصوفية إلى قرية عين الحوت التي تقع شمال تلمسان لزيارة المرابطين.

بعد عيد الفطر يأتي عيد الأضحى الذي يستمر هو الآخر ثلاثة أيام، ففي اليوم تقام الصلاة صباحا على الساعة الثامنة، وعقب الصلاة يقدم الإمام على نحر أضحيته، ليكون الأمر بمثابة التصريح للمصلين بالنحر وإقامة شعيرتهم، ويمثل النحر عملا يتقرب به إلى الله، كما يتم تقسيم لحم الأضحية فمنها ما يأكل، ومنها ما يتصدق به ومنها ما يتم تخزينه للأكل في مناسبات أخرى على غرار عاشوراء[26].

### 3.4 بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين

على الرغم من أن هذا العمل يأخذ طابعا أثريا يرتبط بالمساجد وهندستها المعمارية إلا أنه لا يخلو من إشارات حول المجتمع السنوسي القبلي، وهو ما يؤكد منهجية ألفريد بيل **Alfred Bel** في دراسته، فلكي تكتمل صورة الدراسة تحدث عن خصوصية هذا المجتمع ونمط معيشته.

فبخصوص الحياة الدينية يشير بيل إلى تدين ساكنة بني سنوس، الأمر الذي يؤكده اعتناء هؤلاء بمساجدهم والانفاق عليها رغم فقرهم وحاجتهم، كما ينفقون على الأئمة

والمؤذنين وطلبة القرءان في الكتاتيب[27] زيادة على تحدثه حول ما يتعلق بنمط معيشة سكان بني سنوس، فجغرافية المنطقة فرضت عليهم النمط الزراعي حيث يشتغل هؤلاء في الحقول والبساتين، وتلعب المرأة دورا مهما في هذه الأنشطة رفقة الرجل لاسيما في قرية الخميس[28].

من المعلومات التي تتعلق بالتركيبة الاجتماعية في قرية الثلاثا هي وجود تركيبة يهودية تعيش وسط المسلمين تعيش على التجارة وتحتكر صناعة برادع الحمير والبغال، وتعد السوق الأسبوعية المنعقدة في قرية الخميس فضاء يلتقي فيه سكان هذه القبائل لقضاء حوائجهم، كما أن كثيرا من المنتوجات يتم نقلها إلى مدينة تلمسان[29]، وقد ساعد قرب بيل **Alfred Bel** من الإدارة الفرنسية على تقديم أرقام عن سكان كل قرية وعدد بيوتها.

## 5. جوانب من العمران في تلمسان

### 1.5 ملاحظة حول نقيشة في جسر نقرييه عام 1846

لقد عملت الإدارة الفرنسية في الجزائر عقب إخضاعها للمدن على إجراء تغييرات على مستوى العمران تشتمل تهيأت المرافق العامة، وتشييد الطرق، وبناء الجسور، ضمن إطار الفرنسة وتمهيدا لتشجيع الاستيطان واستقطاب الكولون، وبناء على هذا لم تشذ مدينة تلمسان عن هذه القاعدة، ففي إطار الخرجات والأبحاث الميدانية لألفريد بيل **Alfred Bel** عثر على كتابة تذكارية تتعلق بالجسر الذي أنشأته الإدارة الفرنسية عام 1846م والذي يقع بالقرب من الطريق الرابط بين تلمسان ووهران، حيث يحمل اسم الجنرال نبيقرييه.

تعود هذه الكتابة الى صاحبها حمادي بن الصقال[30] قايد تلمسان في تلك الفترة، في هذه الكتابة يؤكد صاحبها ولاءه للإدارة الفرنسية من خلال الإشادة بالشخصيات الفرنسية وعلى رأسها الملك الفرنسي لويس فيليب **Louis Filipe** الذي يصفه بالسلطان المعظم مالك الجيوش القوية والأقاليم الفرنسوية، ويثني على المنشآت الفرنسية في تلمسان ونواحيها التي أمر ببنائها هذا الملك، زيادة على هذا فقد كان كل من الجنرالات الفرنسيين بيجو **Bugeaud** ولاموريسيير **Lamoricière**، وكافينياك **Cavaignac** محل ثناءه،

حيث وصفهم بالشجاعة والسياسة وحسن السيرة والتدبير[31] وبخصوص هذه الكتابة فقد قام ألفريد بيل **Alfred Bel** بالتعليق عليها وهذا بتوضيح الأخطاء اللغوية فيها وهو دليل على إتقانه للغة العربية، حيث ذكر 18 خطأ لغويا للقايد حمادي بن الصقال، فضلا عن هذا عمل بيل على ترجمة هذه الكتابة الى الفرنسية.

## 2.5 بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين

من المظاهر التي تعكس حضارة تلمسان وتراثها الثقافي اللّامادي، هو ذلك الطابع العمراني المتنوع بتنوع الثقافات التي احتضنتها تلمسان، زيادة على الطابع المغاربي المحلي لتبقى هذه الآثار شاهدة على التلاقح الثقافي عبر العصور، تأتي دراسة ألفريد بيل **Alfred Bel** لمساجد بني سنوس في إطار دراساته الميدانية، حيث كلفته مصلحة الآثار التاريخية عام 1920م بمعاينة هذه المساجد قصد الوقوف على طابعها العمراني وإبراز قيمتها من جهة، ومحاولة تصنيفها وإضفاء الطابع الرسمي عليها من جهة أخرى، وبناء على هذا قدم لنا في دراسته هذه وصفا لأربعة مساجد في قرى بني سنوس على النحو التالي:

مسجد قرية تافسرة[32] مسجد قرية الثلاثا[33] مسجد قرية الخميس[34] مسجد قرية بني عشير[35] جاء هذا الوصف ليحدد خصوصيات كل مسجد، وهو على العموم يشمل ذكر قاعات الصلاة، الصوامع، الأسوار، ذكر الأسقف والجدران، الأبعاد، جوانب من الزخرفة، كما أردف ألفريد يل **Alfred Bel** دراسته بثمانية ملاحق تتعلق بمخططات هذه المساجد.

بالرغم من هذه الدراسة الميدانية، إلا أن ألفريد بيل **Alfred Bel** أنه لم يصل إلى تاريخ تأسيس هذه المساجد بصورة دقيقة، لعدم وجود معلومات تقدمها النقوش، أو النصوص التاريخية[36].

## 6. خاتمة

من خلال ما تم عرضه تتضح لنا مساهمة ألفريد بيل في إثراء المدرسة الاستشراقية الفرنسية بإنتاج علمي وفير أخذت تلمسان جزءا كبيرا منه، ليتصدر قائمة أبرز المستشرقين في منتصف القرن العشرين نظير تلك المجهودات فزيادة على طبيعة تكوينه المعرفي والمنهجي كمستشرق، استغل إقامته بتلمسان وإدارته لمدرستها ثلاثة عقود في تكوين علاقات مختلفة مع طلبته وزملائه المستشرقين، مكنته من الاطلاع على التراث الثقافي المادي واللامادي للمنطقة انطلق منه في كتاباته، وللإشارة فإن ما كتبناه في هذه الصفحات يبقى مجرد مقتطفات، ورصد سطحي لأعمال هذا المستشرق، على اعتبار أننا لم نتطرق لها كلها وبالرغم من كثرة أعماله لم تخصص لها دراسة شاملة ونقدية تقف على قيمتها، وتوظفها في مجالات مختلفة.

## 7. قائمة المراجع

**الكتب**

ألفريد بيل: بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين، تقديم وتعريب: محمد حمداوي، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2011.

ألفريد بيل: بعض طقوس الاستمطار عند أبّان الجفاف لدى المغاربيين، ترجمة: سمير آيت أومغار، دط، منشورات الزمن، المغرب، 2014.

أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 59.

عبد الحميد حاجيات: مقدمة تحقيق بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، ط خ، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

جوزيف ديسبارمي: الفوايد في العوايد والقواعد والعقايد، دط، مطبعة موقان، الجزائر، 1905.

**المقالات**

حنيفي هلايلي: المستعربون الفرنسيون في مدرسة تلمسان الرسمية ما بين 1850–1962 دراسة في المسارات والتوجهات الاستعمارية والاستشراقية، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 12، العدد 13، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، 2017.

محمود آغا بوعياد: من آثارنا المغمورة بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مجلة الأصالة، العدد 13، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.

Alfred Bel: Note sur une inscription de 1846 figurant sur le Pont de Négrier (Tlemcen), Revue Africaine, volume 55, 1911.

Alfred Bel: la population Musulmane de Tlemcen, Revue des études ethnographiques et sociologiques, libraire Paul Geuthener, Paris, 1908

Probst Biraben: les rites d obtention la pluie dans la province de Constantine, in journal de la Société des Africanists, tome 2, 1932.

Georges Marçais: Alfred Bel (1873-1945), Revue Africain, volume 89, 1945

Emile Janier : Bibliographie des publications qui ont été faite sur Telemen et sa region Revue Africaine, volume93, 1949

Emile Janier: Supplements a la Bibliographie des publications qui ont été faite sur Tlemcen et ces environs, Revue Africaine, volume 95, 1951.

## 8. هوامش:

[1] للاطلاع أكثر حول حياة المستشرقين الفرنسيين وأعمالهم في الجزائر أنظر:

أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1998، ص – ص 9–79.

[2] Emile Janier : Bibliographie des publications qui ont été faites sur Telemen et sa region Revue Africaine, volume93, 1949, p-p 314-334.

[3] Emile Janier: Suppléments a la Bibliographie des publications qui ont été faite sur Tlemcen et ces environs, Revue Africain, volume 95, 1951, p-p 401-412.

[4] Georges Marçais: Alfred Bel (1873-1945), Revue Africain, volume 89, 1945, p-p 103-105.

[5] حنيفي هلايلي: **المستعربون الفرنسيون في مدرسة تلمسان الرسمية ما بين 1850–1962 دراسة في المسارات والتوجهات الاستعمارية والاستشراقية**، **مجلة الحوار المتوسطي**، المجلد 12، العدد 13، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، 2017، ص 51.

[6] Georges Marçais: **op, cit**, p 106.
[7] Ibid, p 109.
[8] Emile Janier: travaux de M. Alfred Bel correspondent de l'institut (14 Mai 1873-18 Février 1945), Revue Africaine, volume 89, 1945, p-p 110-116.

[9] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 59.

[10] نفسه، ص 47.

[11] محمود آغا بوعياد: من آثارنا المغمورة بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مجلة الأصالة، العدد 13، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973 ص 219.
عبد الحميد حاجيات: **مقدمة تحقيق بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، ط خ، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 56.

[12] أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص 61.

[13] عبد الحميد حاجيات: **المرجع السابق**، ص 58.

[14] جوزيف ديسبارمي: **الفوايد في العوايد والقواعد والعقايد**، دط، مطبعة موقان، الجزائر، 1905، ص 17.

[15] ألفريد بيل: **بعض طقوس الاستمطار عند أبّان الجفاف لدى المغاربيين**، ترجمة: سمير آيت أومغار، دط، منشورات الزمن، المغرب، 2014، ص 63 - 64.

[16] نفسه، ص 75.

[17] نفسه، ص 77- 78.

[18] نفسه، ص 107.

[19] ألفريد بيل: **المصدر السابق**، ص 72.

[20] نفسه، ص 76.

[21] Probst Biraben: les rites d obtention la pluie dans la province de Constantine, in journal de la Société des Africanists, tome 2, 1932, p-p 95-102.
[22] Alfred Bel: la population Musulmane de Telemen, Revue des études ethnographiques et sociologiques, libraire Paul Geuthener, Paris, 1908, p 201-202.
[23] Ibid, p 203.
[24] Ibid, p 203.
[25] Ibid, p 203-204
[26] Ibid, p 207.
[27] Ibid, p 209-210.
[28] ألفريد بيل: **بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين**، تقديم وتعريب: محمد حمداوي، موفم للنشر، الجزائر، دط،2011، ص 54.

[29] نفسه، ص 84.

[30] كاين قايدا على تلمسان منذ دخول كلوزيل عام 1836، للاطلاع أكثر على قياد تلمسان راجع:

آمال هاشمي: **دور الإدارة الفرنسية في تلمسان وضواحيها ما بين 1842–1897**، أطروحة دكتوراه، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران، 2017-2018، ص- ص 60-65.

[31] Alfred Bel: Note sur une inscription de 1846 figurant sur le Pont de Négrier (Telemen), Revue Africaine, volume 55, 1911, p-p 164-166.

[32] ألفريد بيل: **بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين، المصدر السابق**، ص- ص 63-73.

[33] نفسه، ص – ص 76-82.

[34] نفسه، ص – ص 86-90.

[35] نفسه، ص – ص 92-95.

[36] نفسه، ص 95.

# استراتيجية الثورة الجزائرية في الريف الجزائري 1955–1958

# The strategy of the Algerian revolution in the Algerian countryside 1955/1958

**دة. حورية جيلالي.** [(*)1]،
**المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافيةCrasc وهران (الجزائر)** [1]
djilali.houria76@outlook.fr
**ليلى بلقاسم**[2]
جامعة أحمد زبانة، غليزان، leilabelgacem7@gmail.com[2]

**تاريخ الاستلام:** 2021-07-12 **تاريخ القبول:**2021-10-09

**ملخص:**

خلال أكثر من سبع سنوات ونصف التي عرفتها الثورة المسلحة، تحمل الريف الجزائري الجزء الأكبر من هذه الحرب، وسنحاول من خلال هذا العمل تسليط الضوء على مجموعة التنظيمات والهياكل التي وضعتها جبهة التحرير الوطني لبسط نفوذها في هذه الأرياف، إلى جانب محاولة التعرض للاستراتيجية الخاصة التي اتبعتها لدعم نفوذها بالأرياف من خلال حرب المزارع.

**الكلمات الدالة:** الثورة المسلحة؛ الأرياف؛ حرب المزارع؛ هجومات الشمال القسنطيني.

**Abstract**

During the more than seven and a half years that the armed revolution has known, the Algerian countryside has borne the bulk of this war, and

---

(*) **حورية جيلالي، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية(Crasc)، وهران،**
**djilali .houria76@outlook.fr**

through this work we will try to shed light on the set of organizations and structures that the National Liberation Front has put in place to extend its influence in these countryside, in addition to trying to expose the special strategy that It followed it to bolster its influence in the countryside through farm warfare.

**Keywords:** armed revolution; countryside; farm war; Northern Constantine attack.

**مقدمة**

يعتبر الريف الجزائري والطبقة الفلاحية القوة الأساسية والرئيسية في معركة التحرير الوطني، حيث تحمل سكان الأرياف الجزء الأكبر من الحرب التي دامت أكثر من سبع سنوات ونصف، وسنحاول من خلال هذا العمل التطرق إلى إستراتيجية جبهة التحرير الوطني في الأرياف الجزائرية لدعم وإنجاح الثورة المسلحة، وذلك بمحاولة الإجابة على عدد من التساؤلات ومنها كيف كانت وضعية الريف قبل الثورة، ما هي الإستراتيجية التي اتبعتها جبهة التحرير الوطني في تنظيم الريف وكسبه لصف الثورة، وبم تميزت حرب المزارع وما هو أثرها على الكولون وكيف كان موقف الإدارة الاستعمارية من ذلك؟

ولتحقيق هذا الهدف سنسلط الضوء على أهم التنظيمات و الهياكل التي وضعتها جبهة التحرير الوطني لبسط نفوذها في الريف، وإستراتيجيتها المتبعة في دعم نفوذها في الريف الجزائري من خلال حرب المزارع، مع توضيح الأحداث المتعلقة بمشاركة الفلاحين في الثورة، في ظل إصرار السلطات الاستعمارية على عزل الريف عنها، لمنع حصول الثوار على أي نوع من الدعم أو التموين، مع الإشارة أيضا الى دور الإدارة الفرنسية وأهم المخططات التي جربت على الشعب الجزائري وعلى فئة الفلاحين، إلى جانب إبراز التنظيم السياسي والإداري للجبهة في الريف كالفوج و الفرع و المهام الموكلة لهم .

## 1.أوضاع الريف الجزائري قبل الثورة

قبل التطرق إلى أوضاع الريف الجزائري قبل الثورة ارتأينا ضرورة تقديم تعريفات لبعض المصطلحات التي يرتكز عليها هذا العمل وهي " الريف"، و" الإستراتيجية"، ف"الريف " عرفه" وايتسندرسون" على أنه : "*صورة الرابطة القائمة بين الأشخاص ومؤسساتهم في منطقة محلية يعيشون فيها على الزراعة في قرية تمثل عادة محور نشاطاتهم الجهوية*"[1]، *و الريف أيضا نمط معيشة ، يقوم على أساس الاهتمام بالأرض باعتبارها ذات قيمة في حياة الفلاح القروي، و هي جذوره و مورده و مقره الأخير*"[2]، و يعرف أيضا بأنه "*القرية أو المنطقة التي ترتبط بنشاط غالبية سكانها اليومي والذي يعد مصدر معيشتهم*"، وقد اتفق الجغرافيون على تسمية الريف كل منطقة تمارس غالبية سكانها الزراعة ، أي يعيش فيها الفلاحون و يمارسون نشاطهم.

أما"الاستراتيجية" فهي تلك التعليمات والأفكار الواجب الاعتماد عليها و تطبيقها لتحقيق ما يمكن تحقيقه من نتائج و أهداف و خطط تساهم كلها في تحقيق أكبر قدر من المنفعة.[3]

وفيما يتعلق بأوضاع سكان الأرياف قبل الثورة المسلحة، فقد عاش سكان الريف الجزائري في وسط عشائري قبلي على أرض مارسوا بها عملهم الزراعي على أسس تعاونية جماعية، دون أن يكون داخل هذا التنظيم تحديد ظاهر لحقوق الأفراد في ملكيتها، وقد أدت حركة الاستيطان إلى تشتيت النمط الزراعي والبناء الاجتماعي عن طريق سن القوانين التي تسمح ببيع أراضي المؤسسات الدينية الإسلامية، وتشجيع رجال الأعمال للحصول على أراضي القبائل و أراضي الفلاحين، وقد أدت هذه السياسة إلى تفكيك البنية الاجتماعية

للريف الجزائري و الذي كان عاملا قويا في استقرار السكان، وأصبح الريفيون لا يستطيعون العودة إلى أراضيهم السابقة إلا بصفتهم عمال أجراء في مزارع المعمرين.[4]

كما عرف المجتمع الريفي عدة مقاومات شعبية وثورات ضد المستعمر دفاعا عن أرضه، وتجلى ذلك في العديد من المقاومات كما هو الحال بالنسبة لمقاومة الأمير عبد القادر ، وأولاد سيد الشيخ وبوعمامة ومقاومة بني شقران وغيرها. كما وقفت القبيلة في وجه الاستعمار الفرنسي الذي مثل تهديدا لها، وقد دلت الإحصائيات أنه حتى سنة 1950، لم يكن في الريف الجزائري الا حوالي 10 % ممن يعملون بنظام الخماسة، و 12 % من الرعاة، أما العمال الذين يحصلون على أجور زراعية( دائمون وموسميون) فلم تتجاوز نسبتهم 12% سنة 1954، بالإضافة إلى وجود مليون من الريفيين العاطلين عن العمل، و هكذا لم يكن في الريف الجزائري سوى 120 ألف عامل زراعي دائم يعملون في المتوسط 180 يوما في السنة[5].

وإلى جانب البطالة، فقد عانى المجتمع الريفي الجزائري أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من تفشي ظاهرة الفقر والأمية ، وانتشار الأمراض والأوبئة، ناهيك عن مساعي الاستعمار الفرنسي إلى طمس معالم شخصيته، وتفاقمت حالة البؤس هذه خلال سنوات الثورة التحريرية[6].

هذا و يتفق المؤرخون على أن الاستحواذ على الأراضي الزراعية في الجزائر بلغ ذروته ابتداء من 1930، و اتسعت العملية خلال سنوات 1946 ثم 1956، رغم الأزمات التي شهدتها الجزائر كارتفاع ثمن الهكتار والمضاربة في سوق العقار، حيث يتنازل المعمرون على الأراضي بالبيع إلى الفلاحين الجزائريين على شكل قطع صغيرة بثمن مرتفع

مقابل استحواذهم على أراضي أكثر اتساعا و في مناطق جيدة ، و بأثمان أقل ، مما زاد في ثرائهم.[7]

كانت الأراضي الزراعية مصدر رزق الجزائريين الأول بنسبة 70 % من جملة عدد السكان، وقدم إلى الجزائر حوالي 51 ألف من المستوطنين الذين استقروا في مناطق مختلفة من الجزائر مثل جيجل، العلمة، سطيف، قسنطينة، معسكر، مستغانم، تلمسان[8] ، وعمل الاستعمار الفرنسي على الاستيلاء على أجود الأراضي الزراعية، وأبعد السكان إلى الجبال الوعرة ، و فرضت الضرائب المزدوجة على الجزائريين وحرموا من القروض البنكية الفلاحية .

أما الطبقة العاملة في الأرياف فقد تمثلت في العمال الأجراء، وهم العمال الزراعيون الذين يعملون في مزارع الكولون، إضافة الى نظام الخماسين الذين يتقاضون خمس المحصول مقابل مجهوداتهم المبذولة طيلة سنة، هذا إلى جانب الفلاحين الصغار الذين يمتلكون قطع أرضية صغيرة لا تزيد عن عشرة هكتار، وعانت هذه الفئة هي الأخرى من قساوة الظروف الطبيعية والمشاكل المتعلقة بالفائدة والبذور والديون[9] ، ونشير هنا إلى تقسيم ملكية الأراضي الفلاحية في الريف الجزائري بين الجزائريون المعمرون:

**الجزائريين** : حسب إحصائيات سنة 1954، بلغت نسبة الجزائريين 89 % من العدد الإجمالي للسكان، 98 % منهم فلاحين يملكون 101.070 كلم2 ،أي ما يعادل نسبة 47.3% من الأراضي الجزائرية، وكانت هذه الأراضي تعاني من الجفاف وقساوة المناخ ونقص المردود الفلاحي، وفقط ما نسبته 4% من هذه الملكيات المستغلة كانت تنشط بشكل حسن، وكانت طبيعة أراضي الجزائريين ضعيفة المردود مناسبة فقط لزراعة البقوليات

وأشجار الزيتون والتين، وكان دخل الفرد الجزائري ما بين 22000 إلى 30000 فرنك، أي ما نسبته 3.5 % من الدخل الفلاحي الأوربي.[10]

**المعمرين**: كانوا يمتلكون 8.200.000 هكتار ومساحات شاسعة من الغابات الى جانب 2.706.000 هكتار من الأراضي الخصبة المستغلة، وكان الأوربيون يمثلون 2% من السكان ويسيطرون على 25% من الأراضي[11]، مع الإشارة إلى أن 600.000 هكتار صالحة للزراعة، 13% منها تعتبر أراضي خصبة جيدة، و 75 % من هذه الأراضي كانت بيد المعمرين. وباندلاع ثورة التحرير الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954، حملت جبهة التحرير الوطني على عاتقها توعية الشعب الجزائري من خلال مواثيقها، وساهم الريف الجزائري في الكفاح المسلح للتخلص من ويلات الاستعمار الفرنسي، وكان معظم جنود جيش التحرير الوطني من الفلاحين الريفيين[12]، حيث لجأت إليهم جبهة التحرير الوطني لدعم الثورة و إطلاق شرارتها نظرا لقدراتهم و صلابتهم[13].

وكانت علاقة المجتمع الريفي بقادة الثورة قائمة على أساس التواصل، من خلال مساهمة الريفي مساهمة فعالة في توجيه مسار الكفاح المسلح بانضمامه إلى جيش التحرير الوطني وتدعيمه للثورة ماديا و معنويا[14]، ليشكل بذلك سكان الريف وقود الثورة، حيث كانت الأرياف مسرح معظم العمليات والمعارك العسكرية فيما بين 1954 – 1962 .

## 2. الريف الجزائري من خلال مؤتمر الصومام

كان انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956، بقرية افري أوزلاقن بواد الصومام بالمنطقة العسكرية الثالثة، بمثابة محطة حاسمة في تاريخ الثورة وتطورها، وجاء لوضع خارطة

طريق لآفاق جديدة، ومرحلة للتنظيم والهيكلة المؤسساتية الجماهيرية، حيث سمح هذا المؤتمر بتحقيق انطلاقة جيدة للمسار العسكري.

وسرعان ما أصبح الريف في قلب الحدث الثوري، ولعب دورا جوهريا محوريا في ديناميكية العمل العسكري لعدة اعتبارات، منها كونه خزان بشري لجيش التحرير الوطني، إلى جانب كون جل العمليات العسكرية كانت تحدث في المناطق الجبلية والمناطق الريفية، كما كان تمركز جيش التحرير وتحركاته يتم في الريف بعيدا عن أعين القوات الفرنسية، وشكل سكان الأرياف والقرى والمداشر الوسيلة الوحيدة للاتصال، والتموين والاستراحة والتخفي عن عيون القوات الفرنسية.

نشير هنا إلى أن وثيقة الصومام قد تطرقت إلى الريف حيث أسمته " *الطبقات الاجتماعية الأكثر فقرا وعددا*" ، وتم التركيز على ضرورة الاعتماد على الطاقة الشعبية حيث ذكر في الوثيقة " تعميق الاعتماد على الطبقات الاجتماعية الأكثر فقرا و الأميل بالطبيعة إلى الثورة وهي طبقة الفلاحين وعمال الأرض".[15]

وبالمقابل فقد اتبعت القوات الفرنسية عدة أساليب للقضاء على الثورة وفصل الشعب عنها حيث اعتمدت على العديد من الخونة والحركى وجندتهم لخدمة مصالحها، إلى جانب ضباط الشؤون الأهلية S.A.S[16]، وكانت تهدف إلى ربط علاقات واتصالات مباشرة مع سكان الريف[17] وفرق القومية[18] التي كانت تقتحم الأرياف والمناطق الجبلية، وأصبحت مزارعهم في الريف الجزائري عبارة عن مراكز عسكرية باستعمال صلاحيات واسعة كالمراقبة والتعذيب،ولم تتوان القوات الفرنسية في استعمال كل ترسانتها العسكرية ضد جيش التحرير الجزائري ليشكل الريف مسرحا لهذه العمليات الميدانية التي اتخذت عدة أساليب منها

تطويق المناطق العسكرية وقصفها بالمدفعية، التمشيط الدقيق بواسطة المشاة، استعمال أسلحة الدمار وسلاح الطيران في قصف المشاتي والمداشر والمناطق الجبلية إلى جانب إنشاء المناطق المحرمة بإخلاء المداشر والقرى من السكان، ليتم قصفها وإحراق مزارعها ومنازلها ، وكل هذا بهدف إخلاء الريف من ساكنيه.[19]

## 3. مساهمة الريف الجزائري خلال الثورة:

كانت الأرياف الجزائرية هي القلب النابض للثورة في مجال تجنيد جيش التحرير الوطني، حيث أنشئت وحدات منتقلة ذهابا وإيابا بين الداخل والخارج، من الولاية الرابعة إلى تونس أو المغرب وذلك لتزايد الحاجة إلى الأسلحة، وعندما عرفت فرنسا صعوبة الوضع بالنسبة للجزائريين، فكرت في قطع مصادر التموين عن الداخل فظهر مشروع بناء الخطوط الكهربائية (موريس وشارل) .

في هذه الظروف الحرجة، أدركت القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني الأهمية الإستراتيجية للريف واعتبرته نقطة عبور، ومراكز لمخابئ المجاهدين والأسلحة، والممون المادي والبشري للثورة التحريرية[20]، وكان جنود جيش التحرير الوطني يجتمعون مع أفراد القرية ويتحاورون معهم، ويسمعون منهم، ليتم اختيار الأكثر كفاءة لتشكل الخلية التي تصبح مسئولة عن كل النواحي التنظيمية والتنفيذية في كل قرية [21].

لم تكن انطلاقة الثورة التحريرية في الريف الجزائري سهلة، وأصرت جبهة التحرير الوطني على الاتصال المباشر بجميع الريفيين واستمالتهم للثورة ومحاورتهم فردا فردا[22]، وركزت على استخدام مفاهيم بسيطة قريبة من ذهنية الريفي الفلاح تكفل تفاعله مع الجبهة مع تأييده لها، وقد اتبعت جبهة التحرير الوطني وسيلة ذكية وجيدة في إنشاء هيكل تنظيمي على مستوى

القاعدة، وهو اللجان الشعبية (المجالس الشعبية) التي تأسست عن طريق انتخاب أفراد من القرية مثقفين باللغة العربية، كانت هذه المجالس تضم خمسة أعضاء يمثلون سكان الدوار[23]، تشمل كل المناطق الريفية والجبلية، وكانت خاضعة للجنة الثلاثية التي تمثل جبهة التحرير الوطني وتربط بينها وبين الشعب، وكلفت هذه المجالس على مستوى الدواوير بالتوجيه السياسي، التموين، جمع الاشتراكات، الإعلام والاستعلام[24] ويساعدهم مسئولو المداشر، وتضم المجالس الشعبية مسئول اللجنة الذي يسهر على تنفيذ التعليمات والتوجيهات المقدمة من قبل القيادة العليا لجبهة التحرير الوطني، تنشيط ومراقبة الهياكل النظامية في الدوار، يسهر على تطبيق قرارات اللجنة الشعبية في الدوار، ينظم و يرتب اجتماعاتها إلى جانب مراقبة نشاط قوات المستعمر في الدوار، كما اشترطت جبهة التحرير الوطني على أعضائها التحلي بالأخلاق الإسلامية، والتشبع بالروح الوطنية، مع الحرص على إحراز ثقة الشعب، كما كان الملتحقون بالثورة ملزمون بالقسم على المصحف الشريف بعدم الخيانة، والإخلاص والوفاء للوطن[25].

لقد لعبت هذه المجالس دورا بارزا عبر القرى والأرياف الجزائرية تحت إشراف المرشدين السياسيين، حيث تركز نشاطها في المداشر والقرى، لتحل محل الإدارة الاستعمارية، وقد شكلت هذه القاعدة النضالية رأس حربة للعمل السياسي وسط الجماهير العريضة واحتياطي طبيعي لجيش التحرير الوطني[26]، والى جانب المجالس الشعبية، فقد وضعت جبهة التحرير الوطني نظاما محكما على مستوى الأرياف تمثل فيما يلي :

*/ **الخلية** : موجودة على مستوى الدشرة، تضم من 5 إلى 15 مناضل، و في الريف من 5 إلى 7 أفراد، ليتطور العدد نظرا لشمولية الثورة التحريرية وإقبال المتطوعين مما أدى إلى

تضاعف عدد الخلايا[27]، ولا يعرف أعضاء الخلية بعضهم البعض و يعملون في سرية تامة، ويتم الاتصال بهم عن طريق رؤساء اللجان[28] الذين يسهرون على العمل العسكري و النضالي والفدائي والوسائل المادية والمعنوية، وكانت هذه اللجان الشعبية تقسم المواطنين إلى ثلاثة أنواع هي محب، مشارك، ومناضل، ويتم تجنيدهم بالخضوع إلى مجموعة من الإجراءات للمراقبة والامتحان، من 3 إلى 6 أشهر.

*/ **الفوج** : يتكون الفوج من ثلاث خلايا أو أكثر، على مستوى القرية منظم بشكل كبير، يشرف على الأداء الثوري والتعبئة الجماهيرية، وإيجاد الحلول المناسبة لكل المشاكل التي تحدث بين الأفراد أو في أي مجال دون الرجوع إلى الإدارة الاستعمارية، وكان الفوج يتكون من عدة خلايا، ويتكون الفرع من عدة أفواج والعرش من عدة فروع.

*/ **الفرع** : على مستوى الدوار[29]، يتكون من عدة أفواج[30](أربعة إلى خمسة )مهمته السياسية تتمثل في جمع المعلومات من القاعدة ودراستها واتخاذ القرارات بشأنها .

*/ **القسم** : يتكون من عدة أعراش( قرية أو قريتين) ومن 6 إلى 10 دواوير في الريف والمدينة، وكلف مسئول الدوار بجمع الأموال والاشتراكات، إلى جانب جمع المعلومات وتجنيد المواطنين من سكان الدوار، وكان عليه تنفيذ الأوامر التي يتلقاها من مسئوله المباشر( مسئول العرش) .

وسرعان ما انخرط العديد من الفلاحين بصفوف جيش التحرير الوطني[31] ، وتم تنصيب المسبلين من أبناء القرى، وعددهم 11 رجل على رأسهم رئيس المسبلين، وقد عرف الريف الجزائري نشاطا نضاليا جماهيريا مكثفا حيث كان المجاهدون يتنقلون بين المداشر

والمشاتي، وهم يرتدون اللباس العسكري ويحملون السلاح، و يباشرون وضع هياكل التعبئة القاعدية على مستوى الأرياف[32]، التي كانوا يستقبلون فيها على أساس أنهم مجاهدين ومحررين[33].أما عملية الاتصال بين المجاهدين في الأرياف، فقد كانت تتسم بالسهولة بالنسبة لجبهة التحرير الوطني، كونهم متشبعين بالقيم الإسلامية وتعامل المجاهدين معهم بأسلوب ملائم مع عقليتهم و طبيعتهم المحافظة[34].

كما اعتمدت جبهة التحرير الوطني في بسط نفوذها في الأرياف على مصلحة الأوقاف التي كانت مكلفة بالتوجيه والتوعية والتعليم والقضاء والإفتاء والتوثيق والإشراف على ممتلكات الأوقاف، ويعود ذلك إلى خصوصية الريف الجغرافية وطبيعة السكان وعاداتهم وتقاليدهم الراسخة والمتسمة بالطابع المحافظ، وكانت هذه المصلحة تسيّر من طرف مسئولين لهم ثقافة عربية ودينية وقدرة على تحمل المسؤوليات، وإضافة إلى عملهم في مصلحة الأوقاف فقد كانوا أعضاء في اللجان القيادية العامة المتكونة من قائد الولاية ونوابه( السياسي، الإخباري، العسكري، مسئول الأوقاف، مسئول الصحة، مسئول التموين) [35]،كما أغدقت الثورة المال على طلبة العلم والقرآن ومعلمي الكتاتيب القرآنية لاسيما في الأرياف[36].

أما جهاز الدعاية والأخبار فقد أوكلت له مسؤولية جمع المعلومات وتقديمها إلى القيادة، عن طريق المسبلين[37]الذين كانوا يجمعون الأخبار من العروش والدواوير في القرى والمداشر، إلى جانب تنظيم مراكز البريد، مراقبة تحركات العدو وعدده وعدته، وإحصاء الشهداء و المساجين و كل الأعمال القمعية التي يقوم بها الاستعمار الفرنسي، إلى جانب إحصاء المجندين في صفوف الجيش الفرنسي بمختلف أصنافهم، وكشف هوية الخونة بهدف ملاحقتهم من طرف جيش التحرير الوطني[38].

وكانت مهمة مسئول المالية تتمثل في جمع الاشتراكات والتبرعات من مسئولي المشاتي أو المداشر والقرى و المدن، مع تقديم تقارير شهرية لقيادة جبهة التحرير الوطني في المنطقة، وكلف أيضا بصرف منح أسر الشهداء وعائلات المجاهدين المنكوبين، وبعض الفقراء ويتم ذلك عن طريق مسئول الدشرة.

ومن جهة أخرى فقد كلف مسئول الأمن بالإشراف على تحديد الأماكن الملائمة لمراكز جيش التحرير الوطني في الدوار، تنظيم المرور ومراقبة رخصه بالنسبة للريفيين وتحديد الطرق والمسالك الخاصة بالأفراد و قوافل التموين، تنظيم ومراقبة الحراسة الشعبية ومساعدة مسئولي الدشرة في ذلك[39]، وقد أوكلت للمسبل مسؤولية الاتصال والتنسيق فيما بين التنظيمات المدنية لجبهة التحرير الوطني في الريف في كل من الفرع و الدوار والعرش.[40]

أما فيما يخص مسؤولية التموين فقد أوكلت لمسئولين أمناء كلفوا بجمع المئونة وتوزيعها على مراكز جيش التحرير الوطني، القيام بجرد شامل لأملاك الثورة، من حبوب، مواد غذائية وحيوانات و العناية بها، واعتبر التموين الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها جبهة التحرير الوطني لمواصلة العمل العسكري،أما مسئول الدشرة فقد كلف بجمع الاشتراكات والتبرعات والزكاة، وتنظيم الحراسة الشعبية بالتناوب حتى تكون المشاركة جماعية[41].

وسنورد هنا نماذج لبعض العمليات العسكرية التي شهدتها الأرياف في إطار إستراتيجية جبهة التحرير الوطني العسكرية في تدعيم نشاطها بالأرياف، ولعل أبرزها هجومات الشمال القسنطيني في زعزعة وجود الكولون واستقرارهم، إلى جانب دور حرب المزارع.

### 1.3هجومات الشمال القسنطيني:

كانت هجومات 20 أوت 1955 مدروسة وتم التحضير لها لمدة ثلاثة أشهر، وكان اختيار العمليات دقيقا، وكانت أهدافه تشمل جميع المواقع العسكرية المؤسسات الاقتصادية ومعاقل الأوربيين[42]وبدأت هذه الهجومات في منتصف نهار 20 أوت، بقيادة زيغود يوسف في الوقت المحدد لها حيث هاجمت أفواج جيش التحرير الوطني المدعمة بالشعب ثكنات العدو ومراكز الشرطة والدرك وحراس الغابات وكل المنشآت الاستعمارية المختلفة ومحطة الكهرباء والحانات ومزارع المعمرين والمطاعم، ودور البريد والبلديات، وتواصل الهجوم لمدة أربع ساعات كاملة استطاع من خلالها الثوار أن يلحقوا خسائر معتبرة في صفوف العدو، وأتلفوا عددا من مزارع الكروم التي يملكها المعمرون[43]، كما شمل الهجوم نواحي أخرى كما هو الحال بالنسبة لسمندو والقل وغيرها، وفي قسنطينة قاموا بتفجير المحلات التي يتواجد فيها العامة من المعمرين، ونفذوا حكم الإعدام في بعض الخونة، واستعمل في هذا الهجوم إلى جانب بنادق الصيد الخناجر و الفؤوس والمداري والعصي والحجارة وغيرها[44]، كما تمكن المجاهدون من احتلال مدن وقرى مما سمح للجماهير الشعبية بالتعبير عن رفضها للاستعمار ومساندتها للثورة[45].

ويعترف الفرنسيين أنفسهم بحجم الضرر الذي ألحقته هجومات الشمال القسنطيني على المقدرات الزراعية للكولون، وابتداء من 1956 بدأت الأوضاع بالتفاقم وبدأ ظهور آثار الحرب على الريف، وبحسب تقرير صندوق القرض الفلاحي أن المنتوج الفلاحي لم يعرف تراجعا كالذي عرفه بسبب العمليات العسكرية وقطاع الحبوب والحمضيات والبقول لم يخرج عن النسب العادية حيث أن سنة 1961 عرفت مواسم جفاف قاسية[46]، وكانت

أكثر المناطق تضررا من العمليات العسكرية هي الغابات والمحاصيل الزراعية الموجهة إلى القطاع الصناعي.

تمكنت جبهة التحرير الوطني بفضل هذه الهجومات من إثبات وجودها ، وأبرزت قدرة جيشها على فرض حالة عدم الاستقرار، وذلك عن طريق مضاعفة عدد مراكز التوتر في أماكن كثيرة من المنطقة، وأثبتت بذلك أن الثورة في كل مكان[47]، وتمكنت هجومات الشمال القسنطيني من إخراج الثورة من السر إلى العلن وإنزالها من الجبال و الكهوف إلى السهول والقرى والمدن[48]، وأصبح المجاهدون يسيرون في صفوف منتظمة بزيهم العسكري يحملون العلم الجزائري وينتقلون من دوار إلى آخر وسط الشعب[49].

من خلال هذه الهجمات نجد أن إستراتيجية الجبهة كانت محكمة ، بتركيزها على إحراق أغلب مزارع المعمرين ، و خاصة مزارع العنب ، مع التركيز على تزامن هذه الهجمات لتكون الضربة قوية ضد الوجود الاستعماري ، و كثيرة الخسائر ، مع التركيز على بث الرعب أوساط المعمرين وباللاأمن ، وخلق الفتنة بين المعمرين والفرنسيين [50].

هذا وقد أحدثت الثورة التحريرية تأثيرات واضحة على الريف الجزائري، من خلال التفاعل مع سكانه، فقد كان الجنود يشاركون سكان الأرياف في عمليات البذر والحصاد وتعليم الصغار، إلى جانب تمكن الجبهة من القضاء على حدة النزاعات العشائرية والقبلية والجهوية ومواجهة سياسة الإدارة الاستعمارية القائمة على إثارة النزاعات القبلية و نشر الفتنة[51].

وكرد فعل على هذه الهج ومات، قامت السلطات الاستعمارية بعمليات تمشيط واسعة وإجلاء السكان نحو المحتشدات بعد حرق مداشرهم، إلى جانب إنشاء ميليشيات يوم 24 أوت 1955 من أوربيي الجزائر وتم توزيع السلاح الأوتوماتيكي عليهم، و خصوصا

الذين يسكنون في القرى البعيدة عن مراكز القوات العسكرية وذلك من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وحماية ممتلكاتهم من ضربات الفدائيين بالإضافة إلى توظيف أوربيي الجزائر في عمليات التجسس على كل التحركات الشعبية و رصد أخبار الثورة .[52]

### 2.3حرب المزارع :

هي أحد أشكال حرب العصابات القائمة على استهداف مزارع المعمرين بالحرق والتدمير لزرع الهلع و الخوف في أوساطهم[53]، ظهرت عندما وجد المجاهدون صعوبة في الحصول على الأرض بالطرق الشرعية[54] وقد وصفت جريدة صدى وهران عمليات حرق مزارع الكولون بسياسة الأرض المحروقة[55]، وتقوم هذه الحرب على القيام بعدد من العمليات العسكرية على مستوى المزارع ولعل أهمها قتل المعمرين و عملائهم، إحراق المنتوج الزراعي وإتلافه، قتل حيوانات المزرعة، اقتلاع الأشجار المثمرة، تهديم المباني داخل المزارع، تخريب الطرق المؤدية إلى المزارع، تخريب التجهيزات والمنشآت الزراعية المتصلة بالمزارع، تخريب وسائل الاتصال وقطع الكهرباء إلى جانب تخريب أنابيب المياه المتصلة بالمزارع[56].

لقد عانى الريف الجزائري من الحرب التي فرضت عليه، فقد اتخذ الجيش الفرنسي من العمليات العسكرية والتفتيش والمداهمات والتعذيب والقتل أسلوبا يوميا، من خلال هدم المداشر والقرى[57]، وإجبار الفلاحين على ترك حقولهم والنزوح إلى المحتشدات[58] ، لتأتي حرب المزارع كرد فعل على السياسة الاستعمارية وتتويجا لتوصيات مؤتمر الصومام من سنة 1956 لتعميم الحرب التحريرية على كل شبر من مساحة القطر الجزائري، بغية رفع الحصار والخناق المضروب على بعض المناطق من طرف الجيش الاستعماري الفرنسي، كما كانت تهدف إلى ترويع المعمر الفرنسي وتحطيم البنى التحتية لزعزعة أمن واستقرار الكولون، وجاءت أيضا

ضمن مخطط ضرب المصالح الاقتصادية للكولون الممون الرئيسي للآلة الحربية الفرنسية ولإرغام المعمرين الفرنسيين على مغادرة الوطن والرجوع من حيث جاؤوا وبدون أية مساومة. وقد أخذت هذه الحرب عدة أشكال بمختلف ربوع الوطن ، وسنحاول تقديم بعض النماذج عنها.

كانت أولى العمليات العسكرية الناجحة بالأرياف في عمالة وهران تلك التي نظمت بالظهرة حيث تم حرق مزرعتين للمعمرين ومهاجمة مركز الدرك بكاسان(سيدي علي حاليا بمستغانم) ومقتل أحد الأوربيين وهو المدعو " فرانسوا لورانت"[59]، وتمثلت الخطة بالولاية الخامسة التاريخية، في تخريب وحرق وتدمير العتاد الفلاحي ل 14 مزرعة من بين 70 مزرعة كانت مستهدفة عبر كامل تراب الولاية من مجموع 300 مزرعة تم إحصاؤها في الغرب الجزائري انطلاقا من مدينة عين تموشنت.

البداية كانت مع وصول عناصر من جيش التحرير الوطني تحت قيادة سي عبد الخالق إلى الناحية الأولى من المنطقة الرابعة للولاية الخامسة لإيصال الأسلحة الموجهة من طرف قيادة الجيش الذي تشكل في المنطقة، والذي أشرفت عليه اللجنة الخماسية والمكونة من عامر عبد القادر التراري وعبو المدعو عبد الإله الذي كان على رأس هذه اللجنة القائد عبد الخالق، وبعد رحلة شاقة قادته من جبال تلمسان إلى ناحية تيغنيف مرورا بغابة زفيزف ولاية سيدي بلعباس، أين اكتشف تحركه من طرف العدو الذي قامت قواته بتمشيط المنطقة، ودوار سيدي دحو قرب مدينة معسكر وصولا إلى قرية ترارة على بعد 1 كلم من مدينة تيغنيف ليلة العشرين من سبتمبر1956.

وكانت أول محطة للجيش بقيادة سي عبد الخالق بالناحية الأولى من المنطقة الرابعة بيت المجاهد عامر عبد القادر ليقضي ليلته، ثم توجه إلى دوار الدراويش ليلتين متتاليتين تم فيهما تحضير العملية الحربية المعروفة ب "حرب المزارع " بإشراف المسؤولين عن تنظيم الثورة بالمنطقة و بمشاركة حوالي 200 مواطن من الدواوير المجاورة، إلى جانب عدد هام من المسبلين والفدائيين الذين تم تجنيدهم لهذه العملية[60]، وقد مست حرب المزارع 120 مزرعة خلال 26 شهرا، حيث أحصى الدكتور بن داهة عدة فيما بين 22 سبتمبر 1956 و 15 نوفمبر 1958 هذه العمليات التي مست بالحرق والتخريب مزارع الكولون على أيدي جيش التحرير أو بأمر منه، ومن هذه المزارع تلك الموجودة بتيغنيف، سيدي قادة، زلامطة، الحشم، المأمونية، وهي مناطق مشهورة بأراضيها الخصبة وانتاجها الفلاحي الوفير ، كما استهدفت حرب المزارع هذه أيضا ضرب رؤوس غلاة المعمرين ممن اشتهروا بالعداوة للثورة كما هو الحال بالنسبة ل" جان كومار" الذي لقي مصرعه في فروحة بتاريخ 23 ديسمبر 1956، و " جورج موريايس" في غريس يوم 6 جانفي 1957، و" روني فورنيل " في المأمونية يوم 4 جوان 1957، و"فيليكس جوزيف فالا " قرب مطار غريس في 4 جوان 1958[61] ، هذا إلى جانب أعمال تخريبية أخرى قام بها سكان الريف كقطع الطرقات و الأسلاك.

تم تنظيم عمليات الهجوم على المزارع بتاريخ 22 سبتمبر 1956، وأوكلت المهمة إلى أفواج من مناضلين بقيادة جنود من جيش التحرير الوطني، وكلف كل فوج بمهمة تدمير وحرق مزرعة معينة من بين الأربعة عشر(14) مزرعة تمت برمجتها خلال هذه العملية[62]، لتعطي بعدها منتصف الليل كإشارة لإضرام النيران ، ووجهت الأوامر بعدها لجميع المناضلين الذين شاركوا في هذه العملية بالرجوع إلى بيوتهم وأن يلتحقوا بصفوف جيش التحرير في حالة اكتشاف أمرهم من قبل العدو، ومن بين المزارع التي استهدفت في منطقة تيغنيف مزرعة

شاران كلود، مزرعة شاران فرنوس، مزرعة فانتوني هنري، مزرعة شاران إدوارد، ومزرعة براغوان وغيرها، ومعظمها كانت ملكا لمعمرين مناوئين للثورة بمنطقة تيغنيف[63]، مع الإشارة إلى أن هذه العملية كانت أول عمل عسكري يتم التخطيط له وتنفيذه تحت إشراف جيش التحرير الوطني في المنطقة السادسة التاريخية[64].

هذا ولم تتوقف هذه العمليات العسكرية، حيث ظهرت خلال السنتين المواليتين للهجوم حوالي 120 مزرعة وتعاونية لتحويل الكروم بمنطقة تغنيف، كما كللت حرب حرق المزارع بمعسكر، بمعركة جبل المناور الخالدة في التاريخ، التي وقعت في 5 سبتمبر من سنة 1957، والتي كبد فيها جيش التحرير الوطني خسائر لا تحصى ولا تعد في صفوف القوات الاستعمارية[65].

كما عرفت مدينة عين تموشنت هي الأخرى عمليات حرب المزارع ، حيث أشرف العقيد عثمان[66] سنة 1956 على عمليات فدائية كبرى، أبرزها حرق مزارع المعمرين، حيث تمكن في ظرف وجيز من إحراق أكثر من 76 مزرعة في عين تموشنت خلال هذه السنة، ليتمكن بذلك من ضرب البنية التحتية الاقتصادية للمعمرين.

أما منطقة واد رهيو (عين كرمان سابقا)[67]، التي كانت في عهد الاستعمار منطقة زراعية ذات أراضي خصبة واسعة، معظمها تحت سيطرة المستوطنين الذين كانوا يمثلون فئة الملاك الكبار الذين يمتد عقارهم إلى أكثر من 10 هكتارات، وشهدت نشاط حوالي 76 مزارع أجنبي، وعلى اثر اندلاع الثورة المسلحة، خشي الاستعمار الفرنسي على ممتلكات المستوطنين الكبيرة، فدعم واد رهيو بالعسكر، وأنشئت بها مكاتب لاساسS.A.S، وسرعان ما عرفت المنطقة عمليات فدائية استهدفت الخونة ومراكز الجيش الفرنسي والمنشآت

الاقتصادية الزراعية، واستطاع الفدائيون الحصول على مادة البلاستيك من معمل شانيوChagnaud لصنع المتفجرات، ونفذوا على إثرها عملية تفجير في مطعم السيدة بول المتواجد على الطريق وسط المدينة، وجرح على اثره رئيس بلدية واد رهيو( عين كرمان) .[68]

أما في واريزان بولاية غليزان الحالية، والتي كانت تابعة أثناء الثورة التحريرية الى القسم الثالث من الناحية الثانية للمنطقة الرابعة للولاية الخامسة سنة 1957، وفي ليلة واحدة قام جنود جيش التحرير الوطني بعدة أعمال في أعراش قراووGuerouaou، قرين، واريزان، ومنها تكسير الجسور، ذبح أغنام المستوطنين، قتل الخيول، كما قتل راعي عربي بعد مقاومته لهم، إلى جانب قطعهم لأشجار التين التي كان يملكها أحد أكبر ملاك الأراضي هناك[69].

كما شهدت منطقة مستغانم هي الأخرى بداية حرب المزارع مع انطلاق الثورة التحريرية، حيث تم حرق مزرعتان في بوسكي، كانتا تابعتين للسيد جونسون Janson، والسيد مونسنيقوMonsonego[70]، لتتوقف حرب المزارع بمستغانم وكافة قرى القطاع الوهراني بأمر من قادة جيش التحرير الوطني، وتسجل عودتها بعد مؤتمر الصومام الذي أعطى الضوء الأخضر للمجاهدين من أجل تطبيق سياسة الأرض المحروقة بتنفيذ عمليات التخريب و الحرق للمزارع[71]، وقد تعرضت العديد من المزارع لهجمات المجاهدين بعد انعقاد مؤتمر الصومام ولعل أهمها مزرعةSalmcen بتاريخ 11 سبتمبر 1956[72]، مزرعة LachelinGatuing في مارس 1957[73]، إلى جانب مزرعة Segalas[74].

وفي 9 ماي 1957 أطلق المجاهدون في مستغانم حرب المزارع في المنطقة المحصورة ما بين ويليس وكاسان، ومن أهم هذه الهجمات نذكر الهجوم على مزرعة فوركس التي بلغت

الخسائر فيها 15 هكتار من العنب، الهجوم على مزرعة جوبرت إميل وتم القضاء فيه على 25 هكتار من العنب، الهجوم على مزرعة كلود مارسال وتم تخريب 9 هكتارات من العنب، إحراق مزرعة بروشي نوويل وتم فيها اتلاف 13 هكتار من العنب، ومزرعة تورك ماروييس بحرق 25 هكتار من العنب، وكلها في منطقة كاسان، أما في ويليس، فقد وجهت هجمات أيضا على المزارع ومنها مزرعة أسراف جاكوب التي خربت فيها 8 هكتارات من العنب، مزرعة أسراف صامويل بحرق 5 هكتارات من العنب[75].

**الخاتمة:**

استطاع جيش التحرير الوطني بفضل إستراتيجيته التي اتبعها في الأرياف من أن يستميل سكانها وينظمهم،حيث شكل الريف الجزائري الطاقة الصامدة للثورة، ويمكن القول بأنه كان حاضرا ماديا ومعنويا، ولعب دورا بارزا في إنجاح الثورة التحريرية، بل يمكن التأكيد على أنه حقيقة كان القلب النابض لها،حيث سخّر الريف الجزائري كل قدراته من رجال ومناطق ومسالك وعرة، لصالح الثورة، بل وقد اتخذ جيش التحرير الوطني منه مراكز للعبور و الاتصال بين المناطق، والإيواء أيضا .

ومن جهة أخرى فقد فشلت كل السياسات الفرنسية لاحتواء سكان الريف، بفضل إستراتيجية جبهة التحرير الوطني المتبعة، ونظرا لنضجهم السياسي و انخراطهم اللامشروط في المشروع الوطني للتحرير رغم تواضع المستوى الثقافي لمعظمهم، وبعدما كان الفلاح الجزائري يستخدم كأجير عند المعمر بعد سلبه لأراضيه تدريجيا، تم إلغاء هذا النظام من قبل جبهة التحرير الوطني في السنوات الأخيرة للثورة، ولاسيما بعد هجرة المعمرين من الأرياف إلى المدن التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على الأنشطة الاقتصادية الصناعية[76]، فبفضل إستراتيجية

جبهة التحرير الوطني التي أقلقت راحة المعمرين في الأرياف، تطورت نسبة العنصر الحضري الأوربي من سنة 1954 إلى 1959 من 80 % إلى 85 % .

وفي نفس الوقت ركزت قيادات جبهة التحرير الوطني على طاقات الريف البشرية التي دعمت الثورة ماديا ومعنويا، عن طريق جمع الأموال، التموين، وحفر المخابئ في المناطق النائية وجمع الأسلحة من سكان الريف، كما استفاد الريف الجزائري من قرى و مشاتي ومناطق محررة من التعليم تحت إشراف جبهة التحرير الوطني [77].

وبفضل هياكل المجالس الشعبية وحسن تنظيمها، ساهم سكان الريف مساهمة فعالة في دعم الثورة من خلال حراسة المراكز والمخابئ، واجتماعات جيش وجبهة التحرير الوطني، إلى جانب مراقبة الخونة[78]والمشبوهين وتحركات العدو، تأمين مأوى أفراد جيش التحرير الوطني، تحضير قوافل التموين والسهر على حفظ المئونة وتخزينها[79]، وتسجيل الحالة المدنية و تبليغها لمسئول الدوار، والعمل على حل المشاكل التي تقع بين المواطنين عن طريق الصلح[80]والقضاء.

استطاع جيش التحرير الوطني بفضل إستراتيجيته التي اتبعها في الأرياف من أن يستميل سكانها وتنظيمهم بالشكل الذي ينجح الثورة و يحقق لها النصر والاستقلال للجزائر.

**بيليوغرافية**

**أولا/المصادر الأرشيفية:**

FR.A.N.O.M, Gouverneur Général D'Alger, 3R433, Circulaire S.A.S.

FR.A.N.O.M , Boite 1K/876 (tract du FLN-Mai 1957)

**ثانيا/ قائمة المصادر و المراجع:**

1. أبو بكر بن علي ، الثورة التحريرية في منطقة الساورة ،(1954 – 1962 ) ، مذكرة ماجستير ، المركز الجامعي بشار، قسم التاريخ ، 2006
2. أحمد بن محمد بونوة، هجومات 20 أوت 1955، الألوكة، للنشر، الجزائر، الجلفة، 0520 -08-2015
3. اسماعين جلة، التغير السياسي بين الوسط الريفي و الوسط الحضري – دراسة ميدانية – بولاية غليزان–، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة وهران، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية و العلاقات
4. حليم بركات ، "المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي"، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة 8 ، بيروت، 2004
5. درويش الشافعي ،"20 أوت 1955 يوم تاريخي من أيام ثورة نوفمبر المجيدة" ،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة غرداية ، العدد 2014،20
6. الدولية،2011- 2012
7. سعاد تيرس ،التحولات الكبرى في الريف الجزائري ابان الثورة التحريرية (1954 – 1962)،سياسيا – اقتصاديا – اجتماعيا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، 2014-2015 ، عن النصوص الرسمية جبهة التحرير الوطني، 1954 - 1968،قسم الأعلام و الثقافة
8. سعد طاعة،المسألة الزراعية في المشروع الاستعماري و موقف الحركة الوطنية و الثورة منها (1954 – 1962)، جامعة
9. الطاهر جبلي ، "الواقع العسكري للثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (1954 – 1956)" ، دراسة تحليلية نقدية للإمكانيات المادية و البشرية ، مجلة كان التاريخية ، العدد 21 ، سبتمبر 2013
10. عبد الرحمن سوالمية ، " ديناميكية التنمية الريفية المستدامة في الجزائر و انعكاساتها على البنية الاجتماعية و الثقافية التقليدية في منطقة الأوراس"،مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد 30، سبتمبر 2017
11. عبد العزيز وعلي،" مصلحة الأوقاف تباشر في الميدان" ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 93-94 ،1988

12. عدة بن داهة ، " اسهامات منطقة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر (1954 – 1958)، رسالة ماجستير، وهران، قسم التاريخ،2001

13. عدة بن داهة، " العامل الديني و تأثيره على القدرات القتالية لمجاهدي ثورة أول نوفمبر 1954 "، مجلة عصور الجديدة،العدد 9،عدد خاص بخمسينية الاستقلال الوطني،ربيع 1434 هـ/ 2013 م

14. عدة بن داهة، الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر،(1830-1962)،الجزء الثاني، طبع وزارة المجاهدين،الجزائر، 2008

15. عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي و الإداري للثورة(1954 – 1962)، الطبعة الثالثة، دار البصائر الجديدة للنشر، الجزائر

16. علي رحالي و الهام يحياوي،" الجودة و التسوق"،مجلة الأخلاق، جامعة باجي مختار، عنابة،مارس2001

17. علي كافي، من مناضل سياسي الى قائد عسكري(1946-1962) ، دار القصبة للنشر، الجزائر

18. عمار قليل ،ملحمة الجزائر الجديدة ، الجزء الأول ، قسنطينة ، دار البعث، 1991

19. عمر بوضربة ، النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة ،- من خلال محفوظات الثورة الجزائرية بالمركز الوطني للأرشيف-1958-1960 ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2001-2002

20. قراوي نادية، الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية في منطقة مستغانم (1945 – 1962)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران أحمد بن بلة 1 ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية ، قسم التاريخ و علم الآثار، 2018-2019

21. محمد الطاهر صالح ، "نظرة في وثيقة الصومام" ، جريدة 1 نوفمبر اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 62 ، 1983

22. محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة، الجزائر، 2009

23. محمد عباس،نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية،دار هومة، الجزائر،2005

24. محمد علاء الذين عبد القادر، علم الاجتماع الريفي المعاصر و الاتجاهات الحديثة في دراسات التنمية الريفية ، منشأة المعارف، الإسكندرية،2003

25. نادية قراوي ، دور الريف في الغرب الجزائري في مسار الثورة التحريرية 1954 – 1958 ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تخصص تاريخ الثورة الجزائرية،(1954 –1958) ، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ،قسم التاريخ و علم الآثار،2010-2011

**ثالثا/ المراجع باللغة الفرنسية:**

26. Benjamin Stora,Histoire de la guerre d'Algérie (1954 – 1962), La découverte, Paris, 1955,pp 38-39
27. Mohamed Teguia, L'Algérie en guerre, Ed O.P.U, Alger.
28. Les textes fondamentaux de la révolution (appel du 1er novembre 1954, plate-forme de la Soummam, texte du Congrès de Tripoli, Editions A.N.E.P

**رابعا/ التقارير :**

*/ نظرة مستقبلية للتنمية الاقتصادية ، وثيقة للعقيد لطفي، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، بمناسبة الذكرى 55 لاندلا ع الثورة التحريرية، وهران، قسم التاريخ،2002-2003

*/ حزب جبهة التحرير الوطني،المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير ولاية سيدي بلعباس، الملتقى الجهوي لتاريخ الثورة ، وهران، 8-10 ماي 1983

المنظمة الوطنية للمجاهدين ، ولاية وهران،ساعة واحدة مع العقيد لطفي، 10 ماي 1959، دون تاريخ

حزب جبهة التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، تقرير ولاية بجاية ، الملتقى الجهوي لتاريخ الثورة ، تيبازة،( 1-3) ماي 1983

حزب جبهة التحرير الوطني،المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير ولاية سيدي بلعباس، الملتقى الجهوي لتاريخ الثورة ، وهران، 8-10 ماي 1983

المنظمة الوطنية للمجاهدين ، ولاية وهران،ساعة واحدة مع العقيد لطفي، 10 ماي 1959، دون تاريخ

حزب جبهة التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، تقرير ولاية بجاية ، الملتقى الجهوي لتاريخ الثورة ، تيبازة،( 1-3) ماي 1983

**خامسا/ الجرائد**

جريدة المجاهد، العدد 115، الأثنين 1962/02/19

المجاهد ، العدد 14 ، الإثنين 06-02-1962

جريدة الجمهورية، 6726 شهيدا عربون المجهود الثوري، المنطقة السادسة الثورية، شهادة الدكتور عدة بن داهة ، أستاذ التاريخ بجامعة معسكر،2010/11/01

جريدة الجمهورية شهادة الدكتور ازغيدي لحسن ،في الندوة المنظمة يوم 27 أوت 2017

يومية الشعب، في أهم عملية عرفتها ثورة التحرير بمنطقة معسكر "حرق المزارع لترويع المعمر الفرنسي وتحطيم البنى التحتية"،25/09/ 2015 ، كتب هذا المقال بمناسبة احياء الذكرى 59 لحرب المزارع التي تستضيفها دائرة تيغنيف بمعسكر كل سنة ، بتاريخ 22 سبتمبر.

**الهوامش:**

[1]محمد علاء الذين عبد القادر، علم الاجتماع الريفي المعاصر و الاتجاهات الحديثة في دراسات التنمية الريفية ، منشأة المعارف، الأسكندرية،2003،ص ص 10-11

[2]حليم بركات ، "المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي"، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة 8 ، بيروت، 2004،ص 85

علي رحالي و الهام يحياوي،" الجودة و التسوق"،مجلة الأخلاق، جامعة باجي مختار،عنابة،مارس2001،ص 42 [3]

[4]سعاد تيرس ،التحولات الكبرى في الريف الجزائري ابان الثورة التحريرية (1954 – 1962)،سياسيا – اقتصاديا – اجتماعيا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، 2014-2015 ، عن النصوص الرسمية جبهة التحرير الوطني، 1954 - 1968،قسم الأعلام و الثقافة، ص 7

[5]عبد الرحمن سوالمية ، " ديناميكية التنمية الريفية المستدامة في الجزائر و انعكاساتها على البنية الاجتماعية و الثقافية التقليدية في منطقة الأوراس"،مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، العدد 30، سبتمبر 2017، ص 92

جريدة المجاهد، العدد 115، الأثنين 1962/02/19، ص 4[6]

[7]سعاد تيرس، المرجع السابق، ص 118.

نفسه ، ص 33 .[8]

نفسه ، ص 24[9]

[10]عبد الرحمن سوالمية، المرجع السابق ،ص 92

سعاد تيرس ، المرجع السابق، ص 126[11]

[12]Benjamin Stora,Histoire de la guerre d’Algérie (1954 – 1962), La découverte, Paris, 1955,pp 38-39

[13]Mohamed Teguia, L’Algérie en guerre, Ed O.P.U, Alger,p 157

[14] نادية قراوي ، دور الريف في الغرب الجزائري في مسار الثورة التحريرية 1954 – 1958 ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، تخصص تاريخ الثورة الجزائرية،(1954 –1958) ،

جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية ،قسم التاريخ و علم الآثار،2010-2011 ،ص 8.

[15]محمد الطاهر صالح ، "نظرة في وثيقة الصومام" ، جريدة 1 نوفمبر اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 62 ، 1983، ص 26

[16]فرق لاصاص S.A.S تأسست على يد مجموعة من الضباط الفرنسيين ، يعرفون باسم ضباط الشؤون الأهلي ، متخصصين في الشؤون الجزائرية ، و تتميز هذه المصالح بالدراية الكاملة بالشؤون الجزائرية ، الى جانب اتقانهم للغة العربية و اللهجات المحلية المختلفة، و تمتعهم بتكوين في علم النفس و الدعاية

يمكن العودة الى كتاب Nancy Wood,d'Une Algérie à l'autre, Editions Autrement,Paris,2003,p 172

[17] FR.A.N.O.M, 3R433, Rapport du Gouverneur Général D'Alger, Circulaire S.A.S.

[18]القومية هي فرق من الخونة تشبه في هيكلها فرق الصبايحية في القرن 19 م ، وجدت في المقاطعات الصحراوية ، كانت تسخّر لجمع الضرائب من الجزائريين و هي من الإرث الإداري العثماني.

[19]سعاد تيرس ، المرجع السابق، ص 72.

[20]نادية قراوي ، المرجع السابق، ص 64

[21]علي كافي ، من مناضل سياسي الى قائد عسكري(1946-1962) ، دار القصبة للنشر، الجزائر،ص 75

[22]Teguia,op.cit,p 207

[23]المنظمة الوطنية للمجاهدين ، ولاية وهران،ساعة واحدة مع العقيد لطفي، 10 ماي 1959، دون تاريخ ،ص 6

[24]محمد عباس،نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية،دار هومة، الجزائر،2005 ، ص 177

[25]عدة بن داهة، " العامل الديني و تأثيره على القدرات القتالية لمجاهدي ثورة أول نوفمبر 1954 "، مجلة عصور الجديدة،العدد 9،عدد خاص بخمسينية الاستقلال الوطني،ربيع 1434 هـ/ 2013 م ، ص 135

محمد عباس ، المرجع السابق ، ص [26]177

علي كافي ،المرجع السابق،ص [27]76

[28] حزب جبهة التحرير الوطني،المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير ولاية سيدي بلعباس، الملتقى الجهوي لتاريخ الثورة ، وهران، 8-10 ماي 1983، ص 5 .

سعاد تيرس ، المرجع السابق، ص 98 .[29]

[30]أبو بكر بن علي ، الثورة التحريرية في منطقة الساورة ،(1954 – 1962 ) ، مذكرة ماجستير ، المركز الجامعي بشار، قسم التاريخ ، 2006 ، ص 57

[31] عمار قليل ،ملحمة الجزائر الجديدة ، الجزء الأول ، قسنطينة ، دار البعث، 1991 ، ص 232 .

[32]حزب جبهة التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، تقرير ولاية بجاية ، الملتقى الجهوي لتاريخ الثورة ، تيبازة،( 1-3) ماي 1983، ص 5

[33]عدة بن داهة ، الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر،(1830-1962)،الجزء الثاني، طبع وزارة المجاهدين،الجزائر، 2008، ص 137

سعاد تيرس، المرجع السابق،ص [34]105

عبد العزيز وعلي،" مصلحة الأوقاف تباشر في الميدان" ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 93-94، 1988، ص [35]91

[36]FR.A.N.O.M , Boite 1K/876 (tract du FLN-Mai 1957)

[37]أبو بكر بن علي ،المرجع السابق،ص 57 .

علي كافي ، المرجع السابق،ص [38]95

نفسه ،ص [39]95

نادية قراوي ، المرجع السابق، ص [40]45

[41] علي كافي ،المرجع السابق،ص 75

[42] أحمد بن محمد بونوة،هجومات 20 أوت 1955، الألوكة، للنشر، الجزائر، الجلفة، 0520 -08- 2015 ، ص 7.

[43]نفسه ، ص 9

[44]عمار قليل ، المرجع السابق،ص ص 282-283

[45]درويش الشافعي ،"20 أوت 1955 يوم تاريخي من أيام ثورة نوفمبر المجيدة" ،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة غرداية ، العدد 2014،20،ص 78.

سعاد تيرس ، المرجع السابق ، ص [46]123

[47]عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي و الإداري للثورة(1954 – 1962)، الطبعة الثالثة، دار البصائر الجديدة للنشر، الجزائر، ص 229

محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة، الجزائر، 2009، ص [48]356

محمد عباس، المرجع السابق، ص [49]138

[50]قراوي نادية، الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية في منطقة مستغانم (1945 – 1962)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران أحمد بن بلة 1 ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية ، قسم التاريخ و علم الآثار، 2018-2019 ، ص ص 278-279

[51]سعاد تيرس، المرجع السابق، ص 134.

[52] أحمد بن محمد بونوة،نفسه ، ص 32

[53]سعد طاعة،المسألة الزراعية في المشروع الاستعماري و موقف الحركة الوطنية و الثورة منها (1954 – 1962)، جامعة وهران، قسم التاريخ،2002-2003، ص 136

[54] عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 434

[55]L'Echo d'Oran, N30514, 14/04/1956, p10

[56]عدة بن داهة، " اسهامات منطقة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر (1954 – 1958)، رسالة ماجستير، وهران، قسم التاريخ،2001،ص 223

[57] نشأت المحتشدات سنة 1957 الى غاية الاستقلال ، حيث عملت السلطات الفرنسية على ترحيل القبائل بمقتضى قرارات و مراسيم فرنسية بهدف عزل الثورة و قطع سبل التموين عنها ، و هي مناطق تقع غالبا بالقرب من مراكز الجيش الفرنسي، محاطة بأسلاك شائكة مجهزة بأجهزة رادار ، و كانت تفتقر الى قنوات المياه الصالحة للشرب و وسائل العناية الصحية مما ساهم في انتشار الأمراض

سعاد تيرس ، المرجع السابق، ص 140. [58]

[59]عمر بوضربة ، النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة ،- من خلال محفوظات الثورة الجزائرية بالمركز الوطني للأرشيف-1958-1960 ، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص ص 152-175.

[60]يومية الشعب، في أهم عملية عرفتها ثورة التحرير بمنطقة معسكر "حرق المزارع لترويع المعمر الفرنسي وتحطيم البنى التحتية"،25/09/ 2015 ، كتب هذا المقال بمناسبة احياء الذكرى 59 لحرب المزارع التي تستضيفها دائرة تيغنيف بمعسكر كل سنة ، بتاريخ 22 سبتمبر

[61]عدة بن داهة ، اسهامات معسكر و ضواحيها في مجهود ثورة 1 نوفمبر 1954، ص117

عدة بن داهة ، نفسه ، ص [62]111

نفسه، ص [63]115

[64]جريدة الجمهورية، 6726 شهيدا عربون المجهود الثوري، المنطقة السادسة الثورية، شهادة الدكتور عدة بن داهة ، أستاذ التاريخ بجامعة معسكر،2010/11/01

[65]يومية الشعب، نفس التاريخ

[66] العقيد عثمان( 1927 – 1977) من مواليد ولاية عين تموشنت ، " هو المجاهد الراحل بن حدو بوحجر ،قائد الولاية الخامسة فيما بين (1960 – 1962)

تقع واد رهيو في الناحية الشمالية الغربية لولاية غليزان.[67]

[68]اسماعين جلة ،التغير السياسي بين الوسط الريفي و الوسط الحضري – دراسة ميدانية – بولاية غليزان-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة وهران، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية،2011-2012 ص 91

[69]نفسه ، ص 97

[70] الطاهر جبلي ، "الواقع العسكري للثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (1954 – 1956)" ، دراسة تحليلية نقدية للإمكانيات المادية و البشرية ، مجلة كان التاريخية ، العدد 21 ، سبتمبر 2013،ص 33

[71]Les textes fondamentaux de la révolution (appel du 1er novembre 1954, plate-forme de la Soummam, texte du Congrès de Tripoli, Editions A.N.E.P,p 31

[72]L'Echo d'Oran, N30642, 13/09/1956, p8

[73]L'Echo d'Oran, N 30709,01 /03/ 1957, p8

[74]L'Echo d'Oran, N30806, 23/03/1957,p 8

[75]La Résistance Algérienne, N35, p6

[76]المجاهد ، العدد 14 ، الإثنين 06-02-1962، ص 11

[77]سعاد تيرس ،المرجع السابق ،ص 113

[78]علي كافي ،المرجع السابق،ص 70

[79] المنظمة الوطنية للمجاهدين ، "جبهة التحرير الوطني"، تقرير الملتقى الجهوي الثالث لكتابة التاريخ لولايات الغرب ( الولاية الخامسة) مرحلة 1956 – 1958 المنعقد بولاية سعيدة ، 15 جانفي 1985 ، مطبعة محافظة تلمسان ص 15

[80]بوبكر بن علي ،المرجع السابق ص **55**

# علاقة يهود الجزائر بفرنسا والصهيونية، وأثرها على موقفهم من الثورة التحريرية 1954/1962م

# The relationship of Algerian Jews with France and Zionism, and its impact on their position on the 1954/1962 liberation revolution

حمودي ابرير(*) [1]
[1] جامعة الحاج لخضر – باتنة1(الجزائر)
hamidibrir@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021-08-29 تاريخ القبول: 2021-09-23

**ملخص:**

سكن اليهود الجزائر منذ أزمنة قديمة، وظلوا يشكلون جزء مهما من مجتمعها، بعد اندماجهم في النسيج الاجتماعي والثقافي المحلي، ومع استعمار فرنسا للجزائر، أخذ هؤلاء ينسلخون تدريجيا من علاقاتهم مع الجزائريين، ويربطون مصيرهم بمصير المعمرين في الجزائر، فقد رفض أغلبهم تأييد الثورة الجزائرية، رغم جهود جبهة التحرير لكسبهم إلى جانبها، مفضلين مساندة خيار "الجزائر الفرنسية" بل وانخرط عدد منهم في الأعمال التخريبية التي نفذها المعمرون، وجيش الاحتلال الفرنسي في كل مناطق الجزائر لوأد الثورة، فكانت مواقفهم وأعمالهم سببا كافيا للقضاء على كل فرص بقائهم في الجزائر المستقلة، أو اندماجهم في مجتمعها الجديد، فقرروا الرحيل مع أفواج المعمرين، ولم يبق منهم إلا بضع مئات حسب أغلب التقديرات.

**الكلمات الدالة:** يهود الجزائر، فرنسا ، الصهيونية، المواقف، الثورة الجزائرية.

**Abstract:**

(*) حمودي ابرير: hamidibrir@hotmail.com

The Jews inhabited Algeria since ancient times, and they remained an important part of its society, after their integration into the local social and cultural fabric. With the colonization of Algeria by France, these Jews gradually stripped away from their relations with the Algerians, and linked their fate to the fate of the centenarians in Algeria. Most of them refused to support the Algerian revolution. Despite the efforts of the Liberation Front to win them over to its side, preferring to support the "French Algeria" option, and even a number of them were involved in the sabotage acts carried out by the centenarians, and the French occupation army in all regions of Algeria to bury the revolution, so their positions and actions were a sufficient reason to eliminate all chances of their survival in independent Algeria Or their integration into its new society, so they decided to leave with the groups of centenarians, and only a few hundred of them remained, according to most estimates.

**Keywords:** Algerian Jews; France; Zionism; attitudes; Algerian revolution.

## 1. مقدمة:

ظل اليهود يشكلون جزءا مهما من النسيج الاجتماعي الجزائري منذ أكثر من ألفي سنة خلت، وقد شكل موضوع تواجدهم في الجزائر احدي أهم الحلقات المفقودة من تاريخ الجزائر المعاصرة ، فقد غابت أية إشارة لتاريخهم خاصة في السنوات الأخيرة من الاستعمار الفرنسي والثورة التحريرية ، ومع أن ذلك قد يكون رد فعل طبيعي على سلبية مواقفهم من الثورة ، غير أن الحاجة لمعرفة كل حلقات تاريخنا المجيد بكل ما فيها وما عليها تبدوا ملحة ،فلا نريد أن يكون الأمر ثقافة تمتد إلى أحداث أخري من هذا التاريخ ، كما لا نريد أن يترك الأمر إلى غيرنا لتدوين كل جزء أو حلقة مفقودة منه، وتزداد أهمية الموضوع وخطورته إذا تعلق بتاريخ فئة حساسة وذات تأثير بالغ في مسار تاريخنا ، فقد توجه عدد كبير من الباحثين وأغلبهم يهودا في معاهد وجامعات أمريكا وفرنسا وبريطانيا وكندا نحو بعث التاريخ اليهودي

– الصهيوني بالجزائر، وقد ذكر منهم الأستاذ فوزي سعد الله أندري شوراقي و وشارد حيون وبرنارد كوهين وميشال أبي الطبول اليهودي ذي الأصل المغربي وروبير عطال وغيرهم، وقد نشروا عشرات المؤلفات ومئات البحوث حول الموضوع، كما وجه مجموعة من الباحثين في معهد بن زفاي - ben- zvi- بالقدس وهو تابع للجامعة العبرية يقودهم البروفيسور دوف نوي وأساخار بن عامي وبار عشير وآخرون بحوثهم ودراساتهم إلى كل نواحي حياة يهود شمال إفريقيا بما فيهم يهود الجزائر، وفي جامعة حيفا اختص البروفسور يوسف شتريت ذي الأصول التلمسانية في دراسة– اللغات والآداب اليهودية المغربية–وبعثها من جديد بمساعدة مجموعة من الباحثين المهتمين بالموضوع، كما تقوم جامعة بئر السبع بتنظيم دراسات وبحوث حول أنثروبولوجية وبسيكولوجية سوسيولوجية ودلالية حول يهود الجزائر يشرف عليها جوزيف بنجيو وآخرون

في هذا المقال الذي أزعم أنه محاولة لطرق بعض ملامح تلك الحلقة المفقودة من تاريخنا، سنحاول الإجابة على إشكالية رئيسة تبحث في طبيعة علاقة يهود الجزائر بفرنسا الاستعمارية والمعمرين، والصهيونية العالمية؟ وأثر تلك العلاقة على مواقفهم من الثورة التحريرية؟ كما سنحاول الإجابة على إشكالات جزئية ترتبط بأصل تواجد هؤلاء في الجزائر، وظروف استقرارهم فيها ؟ وكيف أصبحوا جزءا من نسيجها الاجتماعي والاقتصادي ؟ كما سنبحث مساعي جبهة التحرير طوال فترة الثورة وسعيها إلى كسبهم إلى جانب الثورة؟ ثم أثر مواقفهم من الثورة على مستقبلهم في الجزائر المستقلة؟ ومصيرهم بعد الهجرة باختصار؟ وذلك وفق منهج تاريخي مبسط.

## 2. التواجد اليهود في الجزائر

اختلف الدارسون لتاريخ الجزائر من المؤرخين والمهتمين، عرب كانوا أو عجم على فترة توافد اليهود إلى الجزائر، غير أن أغلبهم يتفق حول أصولهم التي كانت مزيجا من اليهود الغربيين والشرقيين.

## 1.2 هجرة اليهود إلى الجزائر

لم تعرف إلى اليوم الجذور التاريخية لتواجد اليهود في الجزائر توافقا بين الباحثين والمؤرخين، فهناك من رجح بداية توافدهم على الجزائر إلى العهد الفينيقي قبل ثلاثة آلاف سنة، وهذا ما ذهب إليه مؤرخون إسرائيليون كالمؤرخ حاييم سعدون في كتابه "الجالية اليهودية في الجزائر"، إذ يرى أن الدفعة الأولى من اليهود وصلت إلى شمال أفريقيا مع مجيء الفينيقيين في القرن الثامن قبل الميلاد، وهذه الفئة تُدعى –توشافيم – بالعبرية أي الأهالي بالعربية، وقد انصهرت في المجتمع الجزائري، ولولا اختلاف الدين والطقوس والطبائع النفسية المكتسبة من سنين التشرد لأصبحوا جزائريين بعمق الانصهار، ولذلك أطلق عليهم لقب "اليهود الأصليين"، وقد أكدت وثائق تاريخية عدة أن الوجود اليهودي في الجزائر، يعود إلى العصر الفينيقي، وهو ما يذهب إليه الباحث والصحافي الجزائري فوزي سعد الله الذي يرى أن الوجود اليهودي بالجزائر يعود إلى مرحلة ما قبل الميلاد[1].

أما أحمد سميح حسن إسماعيل فيعتبر اليهود من أهل الجزائر الأقدمين، وهم ينتمون إلى الموجات الأولى التي استقرت فيها منذ العهد الروماني، وربما قبل فرارهم من نبوخذ نصر سنة 586 ق.م، ومن تيتوس الإمبراطور سنة 70م ، وقد عرف هؤلاء بيهود العرب، أو اليهود الأصليين[2]، بينما ربط بعض المؤرخين والدارسين توافد اليهود على الجزائر بمرحلةٍ ثانية تعود إلى فترة سقوط الأندلس، وما أعقبها من مجازر محاكم التفتيش، التي أجبرت قطاعات عديدة من اليهود على الهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي، حيث يذكر الدكتور صاري علي حكمت أنه بعد سقوط الأندلس، فر الكثير من اليهود والمسلمين إلى بلدان شمال إفريقيا ومنها الجزائر واستقروا فيها، ويشير إلى أن عشرات الآلاف من يهود الأندلس توجهوا إلى الجزائر، حيث

استقر عدد منهم في المدن الجزائرية منها تلمسان ومعسكر والعاصمة وقسنطينة، وعدد آخر من الولايات الشمالية الساحلية، إلا أن عددا قليلا منهم فقط ذهب إلى الواحات الصحراوية جنوب الجزائر[3].

## 2.2 أصول يهود الجزائر

حسب المؤرخ الإسرائيلي حاييم سعدون فالوافدين إلى الجزائر في تلك الفترة يسمون " الميغورشليم" بالعبرية، وتعني المطرودين من إسبانيا، ويعتبرهم أحمد سميح حسن إسماعيل الفئة الثانية في الجالية اليهودية بالجزائر وهم اليهود القادمين ليس فقط من اسبانيا، بل من عموم أوروبا مثل ايطاليا هولندا وانجلترا، وهم من ذوي الثقافة العلمية العالية التي مكنتهم من اعتلاء الطليعة اليهودية في الجزائر وفرض قوانينهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ،أما حسب مصدر هجرتهم، فينقسم يهود الجزائر إلى قسمين ،الأول يعرف بيهود "السفارد" ويقصد بهم اليهود الذين عاشوا أصلا في اسبانيا والبرتغال، والقسم الثاني هم "الاشكيناز" وهم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا، غير أن الأصول الشرقية لفئة كبيرة من يهود الجزائر ينفى الصفة الغربية عن الجالية ككل ، وكشأن اليهود في بلاد المسلمين ، فقد تمتع اليهود بالأمن والاطمئنان في ربوع الجزائر لأن الجزائريين كانوا أكثر تسامحا معهم من أباطرة روما وبيزنطة[4]، وهو ما شجع مجموعات أخرى من اليهود للتوافد على الجزائر بعد ذلك و حتى مراحل متأخرة حتى زاد عددهم عن 34 ألف فرد بحلول سنة احتلال فرنسا للجزائر1830م[5]، وقد أخذ أغلبهم وجهات من سبقوهم مفضلين الانتشار في عواصم الحواضر الكبرى، فقد استقر نحو1508 منهم منذ سنة 1813 في مدينة تلمسان، واستقر3105 في مستغانم مقابل 698 في قسنطينة بالشرق الجزائري، و625 في المدية، و112 في مليانة بالوسط، أما مدينة الجزائر فقد كان يقطنها نحو 6 آلاف يهودي حتى سنة 1838 مقابل 5673 في وهران، وبينما تمركز أغلب اليهود الأوربيين "الأشكناز" في وهران وقسنطينة والجزائر العاصمة، توغل العنصر

اليهودي عموما إلى معظم مناطق شمال الجزائر ووصل عدد محدود منهم إلى المناطق الصحراوية في فترات مختلفة[6].

وقد تزايد عددهم بسرعة فائقة بعد تلك الفترة بفضل تطور الشروط الصحية وتحسن حياتهم[*]، وارتفاع نسبة التوالد بينهم وتضاعف لثلاثة مرات في نصف قرن بين 1881 و1931م[7]، ثم تضاعف لرابع مرة مع اندلاع مع اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954م، وقد توغل هؤلاء في الحياة الاقتصادية للجزائر منذ أزمنة بعيدة خاصة في عهد مصطفي باشا أين مارسوا الخناق علي البلاد باحتكارهم تجارة الكثير من المواد .

## 3. علاقة يهود الجزائر بفرنسا والصهيونية

رغم تقوقعهم حول أنفسهم، نسج يهود الجزائر منذ السنوات الأولى لتوافدهم شبكة من العلاقات مع بعض فئات المجتمع المحلي خاصة فئة التجار منهم وأصحاب النفوذ والمال نظرا لانشغالهم الدائم بالربح ، ورغم ضرر ممارساتهم التجارية الاحتكارية على الجزائريين، إلا أن علاقات هؤلاء بقوة الاحتلال وبالصهيونية العالمية، كانت أشد أثرا وضررا عليهم .

### 1.3 علاقتهم بفرنسا

مرت الطائفة اليهودية بالجزائر بتطورات عميقة وشاملة تحت تأثير المستجدات والتطورات السياسية الجديدة التي طرأت على الحوض المتوسطي والعالم عبر فترات ، فعندما غزت فرنسا الجزائر ،غزا يهود فرنسا يهود الجزائر وذلك من خلال تأسيس مجالس دينية لهم في أكبر مدن الجزائر ، لذلك يعتبر يهود الجزائر أنفسهم – أشكناز –بفعل ثقافتهم الفرنسية التي كانت سببا مباشرا في إضعاف الوازع الديني فيهم بفضل الميول السياسية والمكاسب الاقتصادية[8]، فقد عمدوا إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية منذ افتتاح الدفعة الأولى عام 1831م، وسرعان ما تخلوا عن محاكمهم الدينية، منصاعين بذلك لحكم المحاكم الفرنسية، وتطبيق قانونها العام، مع الحفاظ على قانون منوع يتمثل باستشارة حاخام الجالية قبل تطبيق الحكم، فاجتهدوا بذلك في الانسلاخ من ماضيهم ،وفك ارتباطهم بالجزائر وأهلها

من خلال سعيهم وبشكل حثيث بعد ذلك إلى الحصول على الجنسية الفرنسية، والتخلص من الجنسية الجزائرية رغم أنهم عاشوا آلاف السنين في الجزائر قبل الاحتلال واستفادوا من كافة الظروف المحيطة بهم[9].

ومنذ سنة 1845 تاريخ إنشاء وانتخاب "منظمة المجموعة اليهودية في الجزائر" الذي تم بدعم من بعض أعضاء المجمع اليهودي في فرنسا، سعوا أن يكونوا جزءا مندمجا في فرنسا، ومن أجل تحقيق هذا الهدف والحصول على حق المواطنة الفرنسية كافحوا عبر المجالس اليهودية المحلية وضغطوا على الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية حتى أصدرت قرار– كريميو– Crémieux -* في 24 أكتوبر1870م والذي تم بموجبه اعتبار 35 ألف يهودي في الجزائر مواطنين فرنسيين، واشترطت عليهم معرفة اللغة الفرنسية قراءة وكتابة، ما جعل اليهود يتوجهون إلى المدارس الفرنسية بكثافة من أجل اكتساب الجنسية ،فكان ذلك عاملا حاسما أهل اليهود للحصول على مزيد من الامتيازات، وجعلهم جزءا لا يتجزأ من المعمرين الفرنسيين[10]، الذين سيحكمون سيطرتهم على مفاصل الحياة العامة في الجزائر بعد تلك الفترة تدريجيا، خاصة أن قرار كيرميو شجع أيضا قسما من يهود المغرب الأقصى على الهجرة إلى الجزائر والاستقرار فيها، وقد مثل ذلك القرار كما هو معلوم سببا مباشرا لإعلان الشيخ المقراني ثورته على فرنسا والتي كانت نتائجها مكلفة للجزائريين.

ورغم اندماج الفئة الأولى من ما يعرف بيهود العرب في المجتمع الجزائري بشكل أصبح معه التمييز بينهم وبين الجزائريين المسلمين صعب في ظل اكتسابهم بعض العادات والتقاليد المحلية ، إلا أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم جزءا لا يتجزأ من المجتمع الاستيطاني الفرنسي، وظلوا منغلقين على أنفسهم رافضين أن يكونوا جزء من المجتمع الجزائري، فقد ظلت اللجنة اليهودية للتعليم الاجتماعي تحت رئاسة البروفيسور "هنري أبو لكير" تعمل علي تلقين يهود الجزائر مواطنتهم الفرنسية الكاملة[11]، وبينما أغلقت المدارس وأخرت الدراسات العربية والأمازيغية، وأدخلت الجزائر في مرحلة ركود ثقافي طويل انحصرت فيها اللغة العربية في الموضوعات الدينية

وقليلا من الشعر، ونزوح الأدباء والعلماء إلى المشرق العربي، وهدمت المساجد ومنعت المسلمين من تعلم القرآن ... سمحت سلطات الاحتلال الفرنسية لليهود بممارسة وأحياء شعائرهم الثقافية والدينية من خلال تأسيسهم نحو70 جمعية ثقافية لكل منها معبد علي الأقل ومقبرة ومدرسة ابتدائية للتعليم الديني، وذلك بفضل الإمكانات التي يمتلكونها ،فقد بنو أكبر معبد يهودي في شمال إفريقيا بوهران، ومن أجل تنظيم الشؤون الثقافية والدينية للمجتمع اليهودي في الجزائر قرروا في 1947م إنشاء فيدرالية للمجموعة اليهودية في الجزائر التي كانت في حالة غير موحدة وذلك بعد استدعاء رؤساء المعابد والجمعيات الثقافية إلي جمعية عامة في الجزائر العاصمة، وهو ما كان يعني إنشاء منظمة تمثيلية مشتركة تدافع عن حقوق اليهود، وقد كانت أهم الانشغالات التي أخذتها هذه الفيدرالية علي عاتقها إنشاء مدرسة حاخمية في الجزائر استقبلت بعد ذلك بأشهر قليلة في مقرها وهو عبارة عن فيلا في أعالي الجزائر العاصمة نحو 15 تلميذا كدفعة أولى، وقد قام فرع الفيدرالية بقسنطينة بنفس الخطوة لاحقا، حيث أنشأ مدرسة حاخمية في عمارة بجانب مدرسة الثانوية اليهودية بالمدينة بدأت في استقبال طلبتها في الثاني نوفمبر من سنة 1959م، كما أنشأت إلي جانب الفيدرالية " مجلس حاخامي أعلي" يرأسه أكبر حاخامات الجزائر، وهو المنصب الرسمي الجديد الذي تم إنشائه بقرار من الحاخمية الكبرى في باريس، وكانت مهمته الإشراف علي سياسات تكوين الحاخامات في الجزائر، وأنشئت المركز الثقافي اليهودي في قلب العاصمة بشارع ميشلي- ديدوش مراد – يظم مركزا لممارسات مختلف الهويات موجه للأطفال بصفة خاصة بعد الدعم الذي تلقوه من مكتب شمال إفريقيا للمؤتمر اليهودي العالمي، كما تم تأسيس جمعية ثقافية ليهود الجزائر لتنسيق أنشطتها مع فيدرالية اليهود الفرنسية والطلبة اليهود في فرنسا، وقد سمح كل ذلك للمركز تقديم عدد كبير من الأنشطة[12] خاصة الثقافية والدينية.

إن رفض يهود الجزائر للمجتمع المحلى وسعيه إلى مد جسور التعاون والتحالف مع الفرنسيين أدى إلى مشاركتهم في معاناة الجزائريين، فلا تاريخهم الطويل في الجزائر ولا مساعدة

أهلها لهم استوقفتهم، ولا استفادتهم من خيراتها بل واستنزافها منعتهم من ذلك ،فقد احتكرت شركاتهم و أولها شركة بوخريص وبوشناق تجارة القمح والأخشاب وقامت بتمويل الجيوش الفرنسية باللحوم والخيول ومواد أخرى ،ما شكل خطرا على أمن الجزائريين وعمق في بؤسهم وعدم استقرارهم، ورضوا أن يكونوا فرنسيين كاملي الحقوق والواجبات حتى يحصلوا على مزيد من الامتيازات وقبلوا بالتضحيات من أجل مصالحهم ،فبعدما أمدوا فرنسا بالمال والرجال خلال الحرب العالمية الأولى[13]، قرر الكثير منهم الانخراط في الجيش الفرنسي الموالي لديغول أثناء الحرب العالمية الثانية ،وانتظموا في فرق من الضباط ودون صف الضباط في ايطاليا ثم في فرنسا لدعم الكفاح ضد الألمان، خاصة أن الحكومة الفرنسية المؤقتة قد استجابت سنة 1943م لهم، تحت ضغط حكومة الولايات المتحدة وألغت القوانين التي اتخذتها حكومة فيشي السابقة الموالية للألمان في بداية الحرب العالمية الثانية وهي الإجراءات التي ألغت بموجبها أيضا قرار كريميو، وسحبت الجنسية الفرنسية منهم، واتبعتها بإجراءات أخرى معادية لليهود منها تحديد أعدادهم في المدارس والجامعات ووظائف الدولة[14]، مقلدة بذلك بعض الإجراءات التي اتخذتها حكومة هتلر النازية ضدهم .

## 2.3 علاقتهم بالصهيونية وإسرائيل

وبعد نهاية الحرب واستعادهم زمام المبادرة استيقظ فيهم مجددا شعور الانتماء للصهيونية العالمية خاصة بعد الإعلان عن قيام إسرائيل سنة 1948م، فقد أكد مسئولو فيدرالية يهود الجزائر في المؤتمر اليهودي العالمي أن يهود الجزائر لن يقفوا بعيدين عن مصالح اليهودية العالمية، وأن الفيدرالية ستتحمل مسؤولياتها في المجال السياسي خدمة للمصالح الجمعية[15]، وقد شهدت الاستعلامات الفرنسية نفسها على الدعم الذي قدمه الشبان اليهود في الجزائر للحركة الصهيونية عندما ذكرت احدي تقاريرها انعقاد اجتماع في مدينة خنشلة شرق الجزائر ضم مجموعة كبيرة من الإسرائيليين في 08 جوان 1948م، حيث أكدت أن الشاب المسمى– موشي قابل– من خنشلة يقوم بدعاية نشيطة للصهيونية[16]، وقد ارتبط

ذلك النشاط ببداية المرحلة الثانية من اتصال الحركة الصهيونية بيهود الجزائر ،وهى المرحلة التي ستستمر إلى ما بعد الاستقلال، وقد حققت خلالها الحركة الصهيونية نجاحات ملحوظة حيث أنشأت عد فروع تابعة لـ " منظمة الشباب" انخرط فيها عدد منهم، كما تمكن خلالها الاتحاد النسائي الصهيوني من تحقيق مكاسب ساعدته على حضور عدة وفود تمثل يهود الجزائر في المؤتمرات الصهيونية التي انعقدت بالقدس وهى المؤتمرات التي تحمل رقم 23 المنعقد سنة 1951،والمؤتمر 24 الذي انعقد في سنة 1956، والمؤتمر 25 الذي انعقد سنة 1960م[17].

ظل الشعور الصهيوني لدي يهود الجزائر اتجاه الصهيونية وإسرائيل عميقا رغم ما أبداه غالبية سكان البلد من رفض لهذا الشعور، فقد أصبحت الأنشطة المقامة لإحياء ذكري إنشاء دولة إسرائيل تقام بشكل منتظم بعد سنة 1948م، وتحولت الفيدرالية الصهيونية للجزائر إلى ما يشبه الناطق الرسمي لمجموع الجالية اليهودية في شمال إفريقيا[18]، خاصة بعد أن وضعت فيدراليتا تونس والمغرب حدا لأنشطتهما بعد قيام إسرائيل، وقد احتج وفد برلماني من حركة انتصار الحريات الديمقراطية يتقدمهم الدكتور الأمين دباغين ومسعود بوقادوم لدي الوالي العام للقطر الجزائري علي ما اعتبروه " إجرام صهيوني بالجزائر" والمتمثل في النشاط المكثف للعناصر الصهيونية في جمع الاكتتابات، وإقامة الميادين لتدريب الشبان اليهود علي الأعمال العسكرية، وعلي استعمال السلاح، والقيام بتهريب اليهود إلي فلسطين ليقاتلوا العرب والفلسطينيين تحت أعين الحكومة الفرنسية التي تغاضت عن الأمر، فلم تعرقل هذا الإجرام ولم تمنعه، وقد رد مناضلون من أغلب تيارات الحركة الوطنية الجزائرية على الصمت الفرنسي إذ فقرروا التطوع لتحرير فلسطين، متسللين عبر الحدود التي تفصلهم عن فلسطين[19].

لقد كان شعور التضامن بالنسبة ليهود الجزائر* تلقائي اتجاه جزئهم الآخر في الكيان اليهودي، ولم يترجم فقط بالدعم المعنوي والمالي، ولكن بهجرة مكثفة إلي فلسطين والاستقرار

بها حيث دلت الإحصائيات أن عدد يهود الجزائر الذين هاجروا إلى فلسطين قد بلغ مع إعلان قيام إسرائيل سنة 1948م فقط نحو 2821 مهاجر أغلبهم من مدينة الجزائر[20]، وكان ذلك إيذانا ببدء المرحلة الثانية من هجرتهم إلى فلسطين ،وهى المرحلة التي تمتد من قيام الكيان الإسرائيلي سنة 1948م إلى اندلا ع الثورة التحريرية الكبرى سنة 1954م، وبالمقارنة مع المرحلة الأولى التي امتدت بين 1919 و1948م والتي لم يزد فيها عددهم عن 494 مهاجر لضعف تأثير الحركة الصهيونية آنذاك ، تزايدت أعداد المهاجرين اليهود من الجزائر إلى فلسطين في هذه المرحلة حتى بلغ 26 ألف بحلول سنة 1954م، مقابل 32 ألف من ليبيا، و28 ألف من المغرب، و14 ألف من تونس[21]، وقد شاركوا في استيطان فلسطين بعد تهجير أهلها .

## 4. مساعي جبهة التحرير لضم يهود الجزائر إلى الثورة، وموقفهم منها

وقد ظل الجزائريون وقيادة جبهة التحرير يعتبرون اليهود مواطنون جزائريون طوال مراحل الثورة دون ضغط لكسبهم إلى جانب الثورة ، رافضين الاعتراف بقانون كريميو الذي جنسهم، وفي المقابل لم يتخذ يهود الجزائر موقفا واضحا من الثورة بعد إعلان اندلاعها ، وبقى الغموض والتردد ملازمين لمواقفهم خاصة أثناء المرحلة الأولى للثورة بين سنوات 1954 و1956م .

### 1.4 مساعي جبهة التحرير اتجاه اليهود الجزائريين

سعت جبهة التحرير الوطني – F.L.N– التي قادت كفاح الجزائريين منذ بداية الثورة إلى كسب الأقلية اليهودية إلى جانبها، حيث جاء في وقائع مؤتمر الجبهة في أوت 1956م إشارة إلى أن الجزائريين من أصل يهودي لم يحددوا موقفهم بعد وأنه " من المرغوب أن يتبعوا هؤلاء، الذين استجابوا لنداء الأرض الأم، ليؤكدوا وطنيتهم الجزائرية "، وقد فضلت الجبهة التوجه بنداء إلى حاخام الجزائر، وزعماء ومسئولي الطائفة في أكتوبر من نفس السنة، داعية إياهم إلى " إظهار الحكمة للمساهمة في خلق الجزائر الحرة المبنية على الأخوة

الصادقة"[22]، كما وجهت صحيفة " المجاهد" لسان حال الجبهة بدورها نداء لهم دعتهم إلى الانضمام لقضية الثورة ، مؤكدة أن اليهود الجزائريين هم جزء متمم للشعب الجزائري، طالبة منهم أخذ دور أكبر وأكثر فعالية في النضال إلى جانب الشعب الجزائري[23].

وهكذا اكتملت فكرة توجيه نداء لليهود باسم الثورة الجزائرية من خلال جبهة التحرير الوطني لمطالبتهم باتخاذ موقف صريح من الجبهة والثورة ، وقد حرص المؤتمرون على توظيف التاريخ في الطرح الثوري من خلال محاولة إقناع اليهود بالمشروع الثوري التحرري ، فذكروهم بعهد فيشي المخيف ، ولفتوا انتباههم إلى يقظة الحركة الفاشية في فرنسا وقد سعى قادة "الآفلان" ومناضليه إلى إطلاق تصريحات بشكل متواصل لطمأنت اليهود في مستقبلهم بالجزائر ،فقد أعلن محمد سعدون وهو أحد الممثلين السياسيين للحركة الوطنية الجزائرية في مقابلة مع الصحفيين بأن أي مؤتمر أو مائدة مستديرة في المستقبل للنظر في مشاكل الجزائر ينبغي أن يحضره ممثلون عن اليهود الذين يعيشون في الجزائر، وأعلن الاتحاد العام للتجار الجزائريين وهو إحدى المنظمات التابعة لجبهة التحريرفي 14 سبتمبر 1956م، بأن الدولة الجزائرية المستقلة سوف تكون بعيدة عن التمييز العرقي والديني[24]، كما أعلن فرحات عباس الذي أصبح رئيسا للحكومة المؤقتة التي شكلتها جبهة التحرير في مقابلة صحفية في سبتمبر عام 1957م أن: " اليهود لهم نفس الحقوق ونفس الامتيازات والالتزامات"[25]، وأكدت جبهة التحرير في جوان عام 1958م في ردها على استفسار المجلس الأمريكي لليهودية حول وضع اليهود الجزائريين في المستقبل، أن الجزائر ستكون دولة ديمقراطية اشتراكية تقضى على كل أنواع التمييز العنصري والديني، وستتعامل مع جميع من يودون الاشتراك في بناء الجزائر، وعندما كانت الثورة الجزائرية على أعتاب الحسم وجهت جبهة التحرير الجزائرية بفرنسا في 25 نوفمبر 1959م نداء أخر لليهود معتبرة إياهم جزء من الشعب الجزائري كونهم مواطنين ينتمون للجزائر[26].

وتأكيدا على التزام قيادة الثورة بهذا الطرح أعلن فرحات عباس عندما ترأس اجتماع للحكومة المؤقتة في 17 فيفرى من عام 1961م : " أن الجزائر للجزائريين مهما كان أصلهم نستطيع أن نعيش تحت سماء واحدة، أن الجمهورية الجزائرية التي سنبنيها معا سيكون فيها مكانا للجميع، ولن تكون فيها حواجز عنصرية، ولا أحقاد دينية، إننا نريد أن تشاركونا صنع هذا المصير"[27]، وكان هذا الإصرار من أقطاب الحركة الوطنية على أن يهود الجزائر هم جزائريون وليسوا فرنسيون رغم وضعهم القانوني منذ ثلاثة أجيال ،قد أثار اهتمام المنظمات اليهودية في الخارج ، فقد اقترحت الرابطة الانجليزية اليهودية في اجتماع لها بلندن في شهر ماي عام 1961م إرسال وفدا إلى شمال إفريقيا للتوصل إلى تفاهم بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير حول إعطاء اليهود حق اختيار الجنسية الجزائرية أو الفرنسية ،وحرية هجرتهم إلى فلسطين المحتلة أوالى فرنسا[28].

## 2.4 موقف يهود الجزائر من الثورة التحريرية

بينما اتسم موقفهم بالغموض والتردد من مسألة ثورة التحرير والمصير التي خاضتها كل فئات الشعب الجزائري، بقيت مساعي تضامن يهود الجزائر مع " إخوانهم" في الحركة الصهيونية، وفى إسرائيل قائمة ولم تتوقف، بل أنها توسعت لتشمل التضامن مع يهود المنطقة الراغبين في الوصول إلى فلسطين، فقد قاموا باستضافة أعدادا من يهود المغرب ظلت تصل إلي الجزائر بشكل سري ،وساعدوهم علي الإبحار إلي فلسطين انطلاقا من سيدي فرج علي متن سفن إلي موانئ إسرائيل في التفاف على قرار حكومة المغرب المستقل التي منعت يهود البلاد من الذهاب إلي إسرائيل بدء من شهر ماي من نفس السنة 1956م[29]، وفيما يشبه الصراع بين أجنحة الجالية حول تطور الأحداث في الجزائر، انطلقت أصوات يهودية جزائرية بعد اندلاع الثورة رافضة التخندق إلى جانب طرف ضد أخر، موضحة أن يهود الجزائر هم أنصاف جزائريين، وأنصاف فرنسيين، ولدوا في بيئة وعادات ،وتقاليد بربرية عربية إسلامية، وتشربوا الثقافة العربية، وتجنسوا بالجنسية الفرنسية، وينتمون إلى القطر الجزائري كما ينتمون

إلى العالم الأوروبي[30]، ما جعل المجلس السنوي لاتحاد الطوائف اليهودية الجزائرية يوصى الطائفة اليهودية سنة 1956م بعدم الزج بنفسها في وسط قضايا سياسية بحجة أنها جماعة دينية، كما أوصى أفرادها بان يكونوا على حذر ضد الإثارة مهما كان مصدرها، فكان من المستحيل أن يدعم يهود الجزائر فرنسا دون أن يصبحوا خائنين من وجهة نظر الجزائريين، ودون أن يكون ذلك تحطيم لكل أمل في التعايش السلمي بينهما مستقبلا[31]، خاصة أن حياتهم في الجزائر كانت أسعد حالا من أوربا، وتعايشهم مع أهلها كان في سلام ، وتربطهم بالمواطنين الجزائريين عموما علاقات ودية[32] .

ورغم أن اليهود حاولوا أن يكونوا رؤية بعد أن حافظوا على استقلاليتهم كمجموعة ثالثة في الجزائر، إلا أن المتطرفين من المستوطنين الأوربيين حاولوا في جهد مواز لجهود الآفلان استغلال الأوضاع التي كانت الجزائر تعيشها نتيجة لأحداث الثورة الملتهبة التي عجزت فرنسا عن إطفائها، وظهور بوادر القلق بين اليهود حول الخطة التي ستتبعها الجزائر في المستقبل لدمج عناصر الأمة ،وتأثر وضع اليهود الاقتصادي نتيجة لأحداث الثورة التي أعلنت حملة مقاطعة للمؤسسات الأوربية والمحال اليهودية، لبدء حملة زرع الفوضى والاضطراب في صفوفهم، وقد أكد مراقبين لمسرح الأحداث في الجزائر أنهم يميلون إلى الاعتقاد أن العناصر المتطرفة من المستوطنين الأوربيين يسعدها أن ترى تردى العلاقات العربية اليهودية وتطورها إلى حوادث دامية، فشغلت وكلائها لتنظيم حملة دعاية ومظاهرات ضد اليهود في الجزائر ووهران وغيرها لحثهم على عدم التخلي عن الحقوق الوطنية – الفرنسية- ،والوقوف بجانب الجيش الفرنسي و المدنيين الفرنسيين، لأن وضع اليهود في الجزائر هو كوضع سائر الأوربيين يدينون بكل شيء لفرنسا ، فلا يجب أن يتخلوا عنها بل أن يبقوا ويقاتلوا مع غيرهم من الأوربيين[33]، كما حاولت بعض المنظمات الصهيونية الخارجية استغلال ذلك التوتر لتهجير يهود الجزائر إلى فلسطين بعد أن روجت للخطر الذي يتهدد المجموعة في الجزائر المضطربة ،فوصف بيان

خاص للمؤتمر اليهودي العالمي المنعقد بلندن سنة 1956م وقعه رئيس المنظمة ناحوم جولدمان حالتها بـ " المأساة الجزائرية"[34].

ويبدوا أن هذه الحملات أثرت تدريجيا على عموم مواقف المجموعة اليهودية في الجزائر المترددة في حسم موقفها من القضية الجزائرية بشكل صريح رغم ميولاتها الفرنسية منذ البداية، فبدأ اليهود يتخذون اتجاها فرنسيا أكثر وضوح، وعلى رأسهم أندرويه نرجونى الذي أعتبر أن انتمائه إلى قادة الثورة خيانة، مفضلا ارتماء اليهود في أحضان المشروع الاستعماري الفرنسي بشكل واضح بحلول ربيع عام 1958م ،كما ظل زعيم المؤتمر العالمي للمنظمات اليهودية، وممثل الجماعة اليهودية الجزائرية في المؤتمر أوفياء لفرنسا ومشروعها في الجزائر[35]، وقد سبق هذا التوجه انضمام جماعات من اليهود إلى جهاز القمع الفرنسي المسلط على الجزائريين مثلما حدث في قسنطينة في جانفى من سنة 1956م، حيث شارك اليهود في قمع الحشود ما خلف سقوط عدد من الضحايا المدنيين.

ومع بقاء أغلب يهود مدينة الجزائر متمسكين بخيار "الجزائر الفرنسية" منذ البداية وطوال فترة الثورة، فقد أكد مراسل جريدة "الجويش كرونيكل" في الجزائر سنة 1958 أن : " أكثر من 80 بالمائة من السكان اليهود يؤثرون ضم الجزائر إلى فرنسا"، كما أكد المؤلف الصهيوني جوزيف شيختمان أن : " ليس هناك أي شك بأن اليهود كانوا يفضلون البقاء على الحكم الفرنسي في الجزائر[36]، ولذلك لم تفضي محادثاتهم الرسمية مع شخصيات أفلانية خلال سنوات 1957، 1958، و1959م إلي شيء، والسبب أكده جاك لازاري رئيس "اللجنة الجزائرية للدراسات الاجتماعية" عندما قال: " أن يهود الجزائر انخرطوا بشكل كبير في العالم الغربي، وتخلوا حتى عن قيمهم الأصيلة المرتبطة بالأسلاف، وذلك من أجل اتخاذ قرار المضي في طريق أخر كالذي نسلكه منذ أكثر من قرن من الزمن[37]، فقد ظلوا يعتقدون حتى النهاية، أن الجزائر ستبقى فرنسية، وربطوا وجودهم بالحكم الفرنسي، فإما البقاء معه أو الرحيل معا.

ومع اتجاه أغلب اليهود إلى الانخراط بقوة في المجتمع الغربي القائم في الجزائر، فقد كان ذلك مؤشرا على فشل مساعي جبهة التحرير الجزائرية في إقناعهم على الاصطفاف خلف أهداف الكفاح الثوري الذي خاضته ضد فرنسا لمدة فاقت سبع سنوات، ومع ذلك فأن أثر تلك المجهودات لم يتلاشى تماما ،إذ أقنعت التطمينات التي ظلت الجبهة تطلقها طوال فترة الثورة أقلية الأقلية بالوثوق في الثورة وقيادتها وقررت الوقوف إلى جانب الجزائريين في كفاحهم الوطني المشروع ، ومع أنها أقلية إلا أنها كانت جد نشطة، وكان منهم مسئولين في المنظمات اليسارية خاصة في الحزب الشيوعي الجزائري الذي كانت له اتصالات سرية وعلانية مباشرة وغير مباشرة مع الوطنيين الجزائريين، وقد اتخذوا مواقف أكثر راديكالية في انتسابهم لأيديولوجية "الآفلان" التي تستند إلي مبادئ الحرية والمساواة، وكانوا يراهنون علي إنشاء جزائر جديدة يتعايش فيها السكان المسلمين واليهود والأوربيين بتجانس، وقد كان هذا الوضع ينطبق على عناصر من يهود مدينة الجزائر في الأشهر الأولي من سنة 1955م، ومع تزايد ما يمكن اعتباره مشاعر الثقة بينهما مكنت جبهة التحرير عددا منهم من تقلد مسؤوليات كبيرة في صفوفها وفي الدولة لاحقا[*]، فذهب بعض الشيوعيين اليهود – على قلتهم– أبعد عندما التحقوا بمجاهدي الجبهة في جيش التحرير الوطني وسقط عدد منهم في هجمات الشمال القسنطيني المسلحة في أوت 1955م التي شنتها ثوار الجبهة على الجيش الفرنسي من أجل فك الحصار عن منطقة الأوراس، ما جعل السلطات الاستعمارية ترد بتصعيد الضغط علي الشيوعيين الأوروبيين التقدميين، وتمنع صدور جريدتهم "الجزائر الجمهورية" وبدخول الثورة الجزائرية مراحلها الحاسمة وتضائل أمل النجاح في تحقيق "الجزائر الفرنسية" تضاعف عدد اليهود المغادرين، حيث اختار نحو18 ألف منهم التوجه إلى فلسطين طوال فترة الثورة بين 1954 و1962م، استجابة لنشاط الحركة الصهيونية[38]، فيما اختارت الأغلبية الرحيل مع أفواج المعمرين الفرنسيين الذين بدئوا في المغادرة في العام الأول لاندلاع الثورة سنة 1955م، أحمد سميح حسن إسماعيل، المرجع السابق، ص 260 وبحلول شهر

مارس من سنة 1958م بقي منهم نحو20 ألف فقط وهم من فئة التجار الصغار والحرفيين والوظائف الصغيرة من أصل نحو 130 ألف يهودي في كل ربوع الجزائر أغلبهم كانوا متمركزين في الجزائر العاصمة التي تمثل مدينة ثرواتهم الأولي، وقسنطينة وبعض المدن الأخرى، وهم من أصحاب الأملاك الكبيرة ورؤوس الأموال[39]، التي كانوا لا يريدون خسرانها[*4].

ومع تزايد أحداث العنف التي أثارتها المنظمة العسكرية السرية ( O.A.S) الرافضة لاستقلال الجزائر، تطورت الأحداث في الجزائر وانزلقت أكثر إلى العنف، والعنف المضاد بين الجزائريين واليهود في بعض المدن، وقد عرفت مدينة وهران أخطرها بدء من 11 نوفمبر 1960م بعد مواجهات بين فرق "الجبهة من أجل الجزائر الفرنسية" التي تأسست في الجزائر العاصمة في جوان 1960م لتحقيق هدف إبقاء الجزائر جزء من فرنسا، ومسلمين يرفعون علم الآفلان، وقد أدت تلك الأحداث إلى تدنيس المقبرة اليهودية ونهب غرفة الحارس فزاد ذلك من وقع الصدامات بين اليهود والمسلمين، وتدريجيا قرر يهود وهران التجند إلي جانب أنصار "الجزائر الفرنسية" من عناصر المنظمة العسكرية السرية الفرنسية، حيث انظم عدد منهم إلى- لوس- مثلما أظهره أرشيف هيئة أمن الدولة الفرنسية، واندمجوا في مختلف القطاعات التابعة لها، وقد قدر عددهم بنحو440 في إقليم وهران ككل، وبـ 100 في مدينة وهران لوحدها، وفي الهضبة رقم سبعة من المدينة تحولت مجموعة من 21 شخصا ينتمون إلي حي إسرائيلي مكونين من طرف يهود وعناصر أجنبية إلي فرقة للدفاع عن الإحياء الإسرائيلية ومنع العرب منها، وكان لهذا الانضمام الأثر في تمدد الأحداث، حيث نهب معبد القصبة في مدينة الجزائر أثناء الأيام الصاخبة لشهر ديسمبر من سنة 1960م، وقد أظهرت التحقيقات التي أجرتها مصالح الأمن الفرنسية أن المتسبب فيما وقع هم غاضبون متأثرون يعملون لصالح مسئولين ناشطين في "جبهة الجزائر الفرنسية"، فيما انقسم مسئولي الجالية اليهودية في الجزائر حول رأى المحققين، وطالبوا بأن يكون الشباب اليهود جزءا من " فريق الدفاع الذاتي الأوروبي"[40] بالمدينة.

وابتداء من صيف 1961م خيم جو الحرب الأهلية علي وهران بعد أن خاطرت مجموعات من المسلمين بالدخول إلي أحياء الأوروبيين ووقوع عدة أحداث شارك فيها الطرفان استهدفت العمال اليهود في معامل البلاستيك والمحلات العربية، أسهمت في هجرة جماعية من المدينة خرج اليهود خلالها من وهران مثلما خرج غيرهم من الفرنسيين خصوصا في الأشهر الأخيرة من تلك الأحداث، وبعد ثمانية أفريل 1962م تاريخ الاستفتاء علي نتائج اتفاقيات ايفيان التي جاءت بالاستقلال للجزائر، عرفت المدينة فترة من الهلع والرعب زرعتها – لوس– لإعاقة المغادرين، وعندما فشلت أعلنت في 23 جوان على أمواج الإذاعة السرية ما يمكن اعتباره استسلاما، وبدأت عناصرها في المغادرة من مطار السانيا وميناء المرسى الكبير، وفي 25 جوان وبينما كانت آخر السفن تغادر الساحل، قصفت عناصرها بسلاح – البازوكا – مخازن الوقود في ميناء المدينة في محاولة لإحراقها قبل المغادرة إلى الأبد، ورغم أن اتفاقيات ايفيان قد خيرت المعمرين واليهود بصفتهم مواطنين فرنسيين بين الإقامة في الجزائر أو المغادرة، إلا أن سياسة الأرض المحروقة التي نفذتها منظمة – لوس– المدعومة باليهود بعد التوقيع على الاتفاقية في مارس 1962م، أجبرت أفراد مجتمع المعمرين واليهود علي مغادرة الجزائر بكثافة، حيث تجاوز عدد المغادرين بين ديسمبر1961م وجويلية 1962م نصف مليون، وأظهرت الإحصاءات أن اليهود كانوا أكثر اندفاعا من المعمرين الأوربيين أثناء المغادرة، فبينما قدرت نسبة المغادرين الأوربيين بـ 25 بالمائة حتى سنة 1962م، قدرت نسبة اليهود المغادرين في نفس الفترة بـ 50 بالمائة[41]، وفي شهر جوان 1962م، أي قبل الإعلان عن الاستقلال بأيام، وصل عدد المغادرين اليائسين من المستوطنين واليهود إلي 142 ألف، وبحلول شهر أكتوبر من نفس السنة لم يبقي منهم إلا نحو 25 ألفا، منهم 6 ألاف في الجزائر العاصمة كان أغلبهم يتهيأ للرحيل بدوره[42]، ولأنهم تمتعوا بحقوق المواطن الفرنسي منذ عام1870م، وارتبطوا بفرنسا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ونفسيا، وكانوا يتخوفون من فقدان فرنسيتهم، تمسك يهود الجزائر بالاندماج الكلى، حتى أن الأغلبية الطاغية من المغادرين منهم

قرروا الاستقرار بفرنسا رغم مساعي- حركة التجمع الإسرائيلي- المتطرفة في دفعهم اتجاه فلسطين عبر مساعدتهم بحملة من التبرعات[43] قامت بها للغرض، وقد أكد الدبلوماسي الإسرائيلي المتقاعد داني أيالون وهو يهودي من أب جزائري وأم بولندية، وشغل منصب نائب وزير الخارجية، وعضوا في الكنيست الإسرائيلي، أن 90 بالمائة من المهاجرين اليهود من الجزائر توجهوا إلى فرنسا، مبررا ذلك بحيازتهم الجنسية الفرنسية، وهو ما شكل لهم حافزا للهجرة إليها، خاصة أن يهود الجزائر ذوي ثقافة فرنسية، ويتكلمون اللغة الفرنسية في الغالب، وقد قاد داني أيالون هذا الحملة الإسرائيلية التي أطلقتها حكومة إسرائيل بداية جويلية من عام 2020م لاسترجاع ما تدعي أنها أموال لليهود المطرودين من الدول العربية من بينها الجزائر ، مؤكدة سعيها لمقاضاة عدد من الدول العربية، تتقدمها الجزائر ومصر وتونس وليبيا أمام الأمم المتحدة لتصحيح ما وصف بـ "الظلم التاريخي" الذي لحق باللاجئين اليهود في هذه البلدان عن طريق تقديم تعويضات مالية لأبناء عائلاتهم عن ممتلكات وأموال قدرتها بالملايير، اضطروا للتخلي عنها عقب هجرتهم بعد قيام اسرائيل عام 1948م [44] .

وفي تأكيد على هجرتهم المكثفة وانقطاع مصيرهم عن مصير الجزائر والجزائريين منذ تلك الفترة والى الأبد، أشارت إحصاءات إسرائيلية نشرت مؤخرا إلى هجرة نحو 130 ألف يهودي من الجزائر، ولد منهم أكثر من 84 ألف فيها، كما أوردت الدائرة المركزية الإسرائيلية للإحصائيات سنة 2015 أرقاما تخص اليهود الذين غادروا الجزائر نحو إسرائيل منذ 1948 إلى غاية 2014م، وحددت عددهم الإجمالي بـ 29 ألفا و156 يهودي ممن غادروا الجزائر دون رجعة، مؤكدة أن ذروة المغادرة امتدت بين 1961م إلى 1971م، وبينما تجاهل التقرير أسباب مغادرتهم، نقل عن زعماء دينيين صهاينة أن أقل من 200 يهودي يوجدون بالجزائر حاليا[45]، ورغم بقاء بعضهم مرتبطا بالثقافة الجزائرية[5*]، واجتياح مشاعر الشوق والحنين لبعض أشهرهم، وحدوث بعض الانفراج في ملفهم في الجزائر[6*] ،إلا أنه لم يعد منهم سوى عدد قليل لتسوية وضعياتهم، أو لتفادي إعلان أملاكهم أملاك شاغرة، ولكنهم لم يندمجوا تماما مع

المجتمع كما كان عليه الحال قبل المغادرة، لأنهم وجدوا فارقا كبيرا في المؤسسات ونمط الحياة بين فرنسا وعن ذلك الذي تركوه في الجزائر المستقلة[46] بعد عقود طويلة من الزمن .

## 5. خاتمة:

وفي الخلاصة فقد ظلت مكونات النسيج الاجتماعي عموما في الجزائر شبه مستقرة وتبدي نوع من الانسجام والتعايش، وظلت علاقات اليهود بالجزائريين حسنة، إلى غاية بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أدى هذا الاحتلال إلى القضاء على التعايش الذي كان قائما بينهما، بسبب "التحالف" غير المعلن بين اليهود والمحتل، والذي بات يتوثق منذ السنوات الأولى للاحتلال، بعد أن سعى اليهود للاندماج في مجتمع المستوطنين بتعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية، والتخلي عن محاكمهم الدينية، والاحتكام للمحاكم الفرنسية، ووضع احتكاراتهم التجارية في خدمة الجيش الفرنسي.

وقد مثل انطلاق ثورة الجزائريين الكبرى الفاصل في طبيعة علاقة يهود الجزائر بالجزائريين، إذ أبدى هؤلاء قلة شجاعة وقلة وفاء لا لبس فيهما من الحدث الجلل، فلم يجاهروا بالحق ولم يندوا بالظلم الواقع على الجزائريين الذين احتضنوهم، والتزم حاخام الجزائر الصمت، ولم تنفع معهم نداءات جبهة التحرير ولا جهودها لضمهم إلى الثورة، وجعلهم جزء من كفاح الجزائريين، بل وضعوا أنفسهم في خندق واحد مع عدو الجزائريين، فانخرطوا في صفوف المنظمة العسكرية السرية، ونفذوا أعمال حرق وتقتيل ونهب فاقت أو كادت تلك التي نفذها المعمرون وجيش الاحتلال في بعض مدن الجزائر الكبرى فكانوا بذلك جزء من وحشية الاستعمار .

ورغم تواجدهم في الجزائر بدون انقطاع منذ أكثر من ألفي سنة ،فان هؤلاء لم يعتبروا أنفسهم يوما جزائريين، مؤكدين بذلك عدم الإخلاص للأرض التي احتضنتهم والمجتمع الذي عاشوا فيه، فقد تخلوا عن الانتماء إلى الجزائر ثقافيا وسياسيا في المرة الأولى سنة 1830م، وتخلوا عنها في مرة ثانية قانونيا سنة 1870م، وتخلوا عنها في المرة الثالثة جغرافيا

سنة 1962م، فقرروا الرحيل مع المعمرين في أمواج قوية اجتاحت مطار الدار البيضاء وموانئ الساحل الجزائري مولين قبلتهم إلى فرنسا وإسرائيل، لم يصمد أمامها إلى بضع آلاف حسب أحسن التقديرات، وهم مدفوعين بعقدة ذنب، ومتوهمين رد فعل انتقامي من الجزائريين، رغم أن اتفاقيات ايفيان ضمنت للأقليات عموما حرياتها وحقوقها بما فيها الأقلية الأوربية واليهودية، أما الأقلية التي اختارت البقاء في الجزائر وأغلبها ممن ساندوا الثورة، فهي تعيش حياة جزائرية عادية بكل ما فيها، وتتمتع بكامل حقوقها وحرياتها، ولم تندم أبدا عن بقائها كما تقر إحداهم وهي المسماة مارسيل بلعيش التي أقرت أنها جزائرية حتى النخاع .

## 6. قائمة المراجع:

### المؤلفات

- أحمد سميح حسن إسماعيل: الاستيطان اليهودي في الجزائر 1919- 1962 ، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع ، الجزائر، ط1 ، 2009.
- حقي إحسان : الجزائر العربية، أرض الكفاح المجيد ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ط01 ، 1961.
- أبو جزر أحمد شفيق أحمد: العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي- مواقف وأسرار – دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2004 .
- جريدة الخبر ( عدد 9585 ، 03 جويلية 2020 ) .
- جريدة الخبر ( عدد 7982 ، 25 نوفمبر2015م ) .

- بوعزيز يحي: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر ،ط1 ، 1980 .
- إلياس سعد : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1969.
- سعد الله فوزي، يهود الجزائر ، هؤلاء المجهولون ، دار الأمة ، الجزائر 1995 .
- سعيد وني ناصر الدين ، يهود الجزائر و موقفهم من الحركة الصهيونية – مجلة الثقافة – وزارة الثقافة، الجزائر 1983 .
- عبده على إبراهيم ، قاسم خيرية ، يهود البلاد العربية ، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت 1971 .
- سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر ( بداية الاحتلال ) ط2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر1982.
- الشرقاوي على ، ثورة الجزائر ، دار النديم ، لبنان 1956.

**المواقع الالكترونية**

-www.almughared.com/culture
-www.djazairess.com/ennahar
-www. sasapost.com/jews-in-algeria

**المؤلفات الأجنبية**

- Chagmollaud Jean Paul , ( 1977 ) , Maghreb et Palestine . Editions Sind-Bad .Paris .France .

- Chenouf Aissa , (2004 ), les juifs d Algérie…2000 ans D'existence. Editions el Maarifa . Alger .

## 7. الهوامش:

[1] فوزي سعد الله : يهود الجزائر ، هؤلاء المجهولون، دار الأمة ، الجزائر 1995، ص 27.

[2]- أحمد سميح حسن إسماعيل: الاستيطان اليهودي في الجزائر 1919- 1962، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2009، ص 281، 282 .

[3]- عبد القادر بن مسعود (2018) يهود الجزائر.. منذ عهد الفينيقيين / متاح على الرابط . . tps://www.sasapost.com/jews-in-algeria / روجع الموقع بتاريخ 27 /05 / 2019 .

[4]- إحسان حقي: الجزائر العربية، أرض الكفاح المجيد ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت، ط1، 1961، ص 198 .

[5]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، الجزائر 1980 ، ص 198 .

[6]- أحمد سميح حسن إسماعيل : المرجع السابق،113- 134 .

*كانت لهم استثمارات في اغلب الميادين بجانب المعمرين ,فقد نشطوا في ميدان الزراعة في مدينة الجزائر و قسنطينة وعدد من مدن الغرب الجزائري و كانوا يسيطرون على مئات الهكتارات من الأراضي، كما نشطوا في ميدان التجارة الداخلية و الخارجية للجزائر واعتبرت أهم المجلات التي استوعبتهم ,و نشطوا في الصناعة خاصة في مدينة الجزائر ووهران . للمزيد انظر، أحمد سميح حسن إسماعيل ، المرجع السابق، 149- 171

[7]- Aissa Chenouf, les juifs d'Algérie…2000 ans D'existence. Editions el Maarifa, Alger 2004, p 146-148 .

[8]- ناصر الدين سعيد وني: يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر 1983، ص 116.

[9]- أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 193– 213.

[**] يهودي فرنسي تولى وزارة العدل ونادي بتجنيس اليهود وإلحاقهم بالشريحة الاستيطانية الغربية في الجزائر، وكان صهيوني التوجه وتولى رئاسة الاتحاد الإسرائيلي العالمي ,وساعد في شراء أراضي لليهود في فلسطين المحتلة . أحمد سميح حسن إسماعيل، المرجع السابق، ص11.

[10] -Aissa Chenoufi, op.cit., p 131.

[11]- أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر ( بداية الاحتلال ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2، 1982، ص 159 .

[12] -Aissa Chenoufi, op.cit., p 127-124 .

[13]- أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 47 .

[14]- المرجع نفسه، ص 106، 107 .

[15] -Aissa Chenoufi, op.cit., p 131 .

[16]- أحمد شفيق أحمد أبو جزر : العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي- مواقف وأسرار- دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2004 ، ص 253 .

[17]- فوزي سعد الله: المرجع السابق ، ص114 .

[18] -Aissa Chenoufi, op.cit., p 131- 134.

[19]- أحمد شفيق أحمد أبو جزر: المرجع السابق، ص 254 وقد اعتقلت السلطات الفرنسية عددا منهم علي حدود ليبيا وردت آخرين.

[***] يعتبر اليهود الجزائريين في إسرائيل أحد أقدم المجموعات اليهودية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ومع ذلك، لا توجد الكثير من المعلومات عنها، بخلاف المجموعات اليهودية الأخرى التي اندمجت في إسرائيل، مثل يهود المغرب والعراق، غير أن المعلومات القليلة عنهم تقول أنهم كانوا من بين أوائل مقيمي بلدات عين هود، تسروفا ويوشيفيا، بل أن بعضهم أسس قري زراعية بذاتها مثل ما قام به – راموت مائير – الذي أسس قرية " الموشاف" على النمط الفرنسي ، وبالإضافة إلى الدراسة العلوم الفلاحية و العمل في مجال الزراعة، اهتم عدد منهم بالتجارة وتصميم الاحتفالات . سيوان كوري (2017) يهود الجزائر في إسرائيل: أقلية مميزة تعتبر نفسها جسرا للسلام . متاح على الرابط / http://almughared.com/culture روجع الموقع بتاريخ 28 / 05 / 2018.

[20]– سعد إلياس، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1969، ص242.

[21]– فوزي سعد الله: المرجع السابق ، ص115.

[22]– أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 217، 218 .

[23]– على إبراهيم عبده، خيرية قاسم: يهود البلاد العربية، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1971، ص262.

[24]– أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 208 – 219 .

[25]– عبده على إبراهيم، قاسم خيرية، المرجع السابق، ص261.

[26]– المرجع نفسه، ص 218 – 222 .

[27]– نفسه، ص 209.

[28]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسم : المرجع السابق، ص260 ، 261.

[29] –Jean Paul Chagmollaud, Maghreb et Palestine , Editions Sind-Bad ,Paris, France 1977 , p 140.

[30]– أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 206،207 .

[31]– على الشرقاوي: ثورة الجزائر ، دار النديم ، لبنان 1965، ص 129.

[32]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسم : المرجع السابق، ص 258.

[33]– المرجع نفسه، ص 263

[34]– أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص 208-220.

[35]– المرجع نفسه ، ص 209، 210.

[36]– سعد إلياس: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1969، ص181.

[37] –Aissa Chenoufi , op. cit, p 139, 140.

[38]– فوزي سعدا لله: المرجع السابق، ص 115.

[39] –Aissa Chenoufi , op. cit, p 125.

[4*] زعم عضو الكنيست الإسرائيلي " شلومو نجوسا مولو" المنتمي لحزب – كاديما – الإسرائيلي أن قيمة ممتلكات اليهود في الجزائر، تقدر بأكثر من ملياري دولار منها العقارية على وجه الخصوص، وقد زعم أن عددهم يصل إلى 10 آلاف، وقام بطرح مقترحا في الكنيست الإسرائيلي لترحيلهم إلى إسرائيل في 15 مارس 2010 م طالب فيه حكومته باسترجاع ما سماه الممتلكات اليهودية المغتصبة من النظام الجزائري، كاشفا عن تواصل اليهود الجزائريين بشكل مباشر وغير مباشر بدوائر الحكومة الإسرائيلية، وذكر أن مهاجرين جزائريين مقيمين في فرنسا وإسبانيا وألمانيا لهم علاقات مستمرة مع السفارات الإسرائيلية، ويربطون الاتصال مع مواطنيهم في مختلف المدن الجزائرية . محمد بن كموخ (2010) إسرائيل تدرس قرارا لترحيل 10 آلاف من يهود الجزائر . متاح على الرابط /www.djazairess.com/ennahar. روجع الموقع بتاريخ 29 / 05 /2019.

[40] –Aissa Chenoufi , op. cit, p141

[41]– ناصر الدين سعيد وني، المرجع السابق، ص 118.

[42] –Aissa Chenoufi , p 141-142

[43]– على إبراهيم عبده ، خيرية قاسم، المرجع السابق، ص 262 .

[44]– جريدة الخبر، الجزائر ( عدد9585، جويلية 2020).

[45]– جريدة الخبر، الجزائر ( عدد 7982، نوفمبر 2015 )

[5*] تقلد عدد منهم بعد الاستقلال مناصب كبيرة في الدولة، مثل المسمى "سيسكو" الذي كان أحد أهم المسئولين في وزارة المالية وكذلك "سيلفر بريت" الذي أسلم، كما شغل المسمى "دانييل تيمست" منصبا هاما في وزارة الزراعة، بالإضافة إلى كتاب وصحافيين حيث قامت الصحافية "سيسل كليرفال" من جهتها بإنجاز روبرتاجات حول حقيقة الثوار الذين كانت الحكومة والصحافة الفرنسية تصفهم بالإرهابيين، وقام " هنري علاق" وهو من أبناء الأسر البورجوازية عكس أغلبية اليساريين اليهود الذين وقفوا بجانب الآفلان، والذين هم فقراء نشئوا في الأحياء الشعبية وفي أوساط المسلمين، بتأليف كتاب سنة 1958 بعنوان– حرب الجزائر، هلال أخضر ونجمة حمراء – أعتبر أول كتاب يصدر عن التعذيب في الجزائر، كما ساهم في تأسيس اتحاد الكتاب الجزائريين بعد الاستقلال. للمزيد أنظر ، محمد تامالت، العلاقات الجزائرية الإسرائيلية، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2001 ، ص 26، 27 .

[6*] من بين أشهر الشخصيات اليهودية التي يعود أصولها للجزائر الفيلسوف الفرنسي برناد هنري ليفي الداعم بشدة لإسرائيل، وهو مولود بمدينة بني صاف غرب الجزائر، إضافة إلى المغني الفرنسي أنريكو ماسياس ابن مدينة قسنطينة، وما يزال الكثير من اليهود ذوي الأصول الجزائرية يحنون إلى العودة للجزائر، بعد مظاهر الانفراج في التعامل مع يهود الجزائر سنة 2003م حين تم الإعلان عن مخطط مشترك بين الجزائر وفرنسا لرد الاعتبار للمعابد والمقابر اليهودية، وأعيد بموجبه ترميم مقبرة حي بولوغين اليهودية، بالإضافة إلى مقابر يهودية أخرى في قسنطينة وعنابة والبليدة وتلمسان وبوسعادة، وقد اتضحت مظاهر الانفراج أكثر سنة 2006م عند مصادقة البرلمان الجزائري على قانون حرية الديانات الذي قاد إلى اعتماد جمعية دينية يهودية، وتشهد مدينة تلمسان حج سنوي لمئات من اليهود إلى معبد افرايم ألانكاوه . عبد القادر بن مسعود (2018) يهود الجزائر.. منذ عهد الفينيقيين / متاح على الرابط . tps://www.sasapost.com/jews-in-algeria / روجع الموقع بتاريخ 27 /05/ 2019

[46] -Aissa Chenoufi , op. cit, p 141- 145 .

# البعد الإنساني والعالمي للثورة الجزائرية من خلال النصوص والمواثيق 1954 –1962.

## "جريدة المجاهد أنموذجاً"

# The human and global dimension of the Algerian révolution Through textes and charters 1954-1962. Al-Moudjahid news papier as a model

**محمدي محمد (*) [1]**،

[1] جامعة محمد بوضياف المسيلة، mohamed.mhamdi@univ-msila.dz

**تاريخ الاستلام**: 2020-10-17 **تاريخ القبول**: 2020-08-19

**ملخص:**

تحاول هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، تسليط الضوء نحو واحدة من القضايا الهامة التي عاشتها الثورة التحريرية خلال مسيرتها الكفاحية 1954–1962، ويتعلق الأمر بالاجتهاد للوقوف عند الأبعاد الانسانية والعالمية التي سلكتها جبهة التحرير والثورة الجزائرية عموماً، في تعاملها مع الفرنسيين مدنيين كانوا أم عسكريين، فهل كان النهج المتبع من الثورة ومنتسبيها قائماً على الإبادة والتنكيل كما بالنسبة للاحتلال الفرنسي في معاملته للجزائريين، أم أن الثورة الجزائرية كان لها تصور آخر يقوم على الاحترام التام للقانون الدولي الإنساني في ما تعلق بمعاملة الفرنسيين وبخاصة فئة الأسرى منهم، وهو الأمر الذي جعل من هذه الثورة محل للتعاطف والمساندة من عموم الأحرار والمثقفين في العالم، ومحطة كذلك للاقتداء من قبل الحركات التحررية التي شهدها العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك من خلال نصوصها ومواثيقها والتي كانت جريدة المجاهد لسان حال الثورة التحريرية أنموذجاً لهذه الدراسة.

(*) **المؤلف المرسل: محمد محمدي: mohamed.mhamdi@univ-msila.dz**

**الكلمات الدالة:** البعد الإنساني.، الثورة التحريرية.، الاحتلال الفرنسي.، جريدة المجاهد.، المواثيق.

**Abstract:**

This historical study attempts, Shed ding light on one of the important issues That the libération révolution lived Through dring its struggle in 1954-1962, The matter is related to the diligence to stand on the human and global dimensions that the Liberation Front and the Algerian Révolution in général have taken, In its dealings with the French, Werther they were civilisés or soldiers, was the approach followed by the révolution and its affiliates based on genocide and abuse, as is the case for the French occupation in its treatment of the Algériens, Or did the Algerian révolution have another vision based on full respect for international humanitaire law with regard to the trématent of the French, especially the group of prisoners of them, This is what made this revolution a source of support frome all free people and intellectuals in the world, It is also a stop to imitate the libération mouvements that the world witnessed during the second half of the twentieth century,And that is through its texts and charters, in which the Al-Moudjahid news papier, the mout pièce of the éditorial révolution, was a model for this study.

**Keywords:**

the human dimension, the libération révolution, the French occupation, the Moudjahid news papier, the charters.

___________________________

## 1. مقدمة:

انتهج الاحتلال الفرنسي منذ سيطرته على الجزائر صائفة 1830، أساليب متنوعة ومختلفة للقضاء على السكان الأصليين لهذه البلاد وتقويض مقاومتهم له، فكانت سياساته قائمة الانتهاك الصارخ لجميع القوانين الدولية والانسانية السائدة في العالم خلال هذه المرحلة، إذ اعتمد الاحتلال سياسة تقوم على الإبادة الفردية والجماعية والقمع والتعذيب والتهجير وكل ممارسة تتنافى مع القيم الانسانية المكفولة للنفس البشرية بصفة عامة.

ومع اندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954، كان المنطق أن يكون رد الفعل المتوقع من المجاهدين الجزائريين المعاملة بالمثل، والاقتصاص من الفرنسيين مدنيين وعسكريين جزاء ما اقترفت سلطة الاحتلال إزاء الجزائريين، غير أن الثورة الجزائرية اعتمدت في حربها ضد النظام الاستعماري على الأسس الشرعية للدين الاسلامي، والتي توافقت إلى حد كبير مع القوانين الدولية العرفية والانسانية منها على السواء، ومن ذلك احترام أحكام القانون الدولي الانساني مما أكسبها تعاطفا شعبيا ودوليا منقطع النظير، بما في ذلك الأحرار والمثقفون ومختلف الحركات التحررية التي شهدها العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهي الأبعاد الانسانية التي برزت تجلياتها في أدبيات ومواثيق الثورة التحريرية، والتي نجد أن من أهمها لسان حال جبهة التحرير الوطني والثورة التحريرية عموماً "جريدة المجاهد".

وانطلاقا من أهمية الأبعاد الانسانية للثورة الجزائرية، ومحورية حضورها الواسع في نصوص ومواثيق هذه الثورة، سنحاول الوقوف عند هذه الأهمية من خلال الإجابة على التساؤلات الفرعية الآتي ذكرها:

-ماهي صور البعد الانساني للثورة الجزائرية في نصوص القانون الدولي الانساني؟

-ما مدى تأثير إنسانية الممارسة الثورية في تضامن الحكومات والدول في العالم؟

-ما هو أثر البعد الانساني للثورة في تضامن الأحرار والمثقفين؟

-وما هو دور الالتزام الانساني للثورة الجزائرية في التأثير على الحركات التحررية لمناهضة الأنظمة الاستعمارية؟

## 2. على مستوى نصوص القانون الدولي الإنساني:

يتحقق إجماع الدارسين في أن من بين الأهداف الرئيسية التي سطرتها الثورة التحريرية بعد اندلاعها في الفاتح نوفمبر 1954، هي القضاء على النظام الاستعماري والتأسيس للجزائر المستقلة القائمة، على مبادئ الديمقراطية واحترام المعتقدات والحقوق الإنسانية المختلفة، وهو ما سعت إلى تجسيده القوانين الدولية المختلفة التي حاولت من خلال

نصوصها مواكبة أهداف الحركات التحررية والوقوف عند مطالبها في تحقيق الحرية والاستقلال، واستنادا إلى ذلك فقد دأبت الثورة الجزائرية من خلال جهود قادتها في إعطاء الكفاح التحرري بعدا إنسانيا وقانونيا يتماشى مع النصوص القانونية الدولية، وذلك بالالتزام الصارم بقوانين الحرب والمبادئ والأعراف الإنسانية، وخاصة بعد انعقاد مؤتمر الصومام الذي أعطى لهذه الأخيرة بعدها الدولي والإنساني، من خلال ما ورد على لسان جريدة المجاهد: «**فجيش التحرير الوطني منذ مؤتمر 20 أوت 1956 صارت له شخصيته المتميزة الواضحة، إذ صار له لباسه الخاص والموحد، وهو على هذا يقود حربا حقيقية يحترم فيها قوانين الحرب، وليس كما تحاول فرنسا أن تصنفه كمجموعة من الفرق، ولأدل على أن جيش التحرير الوطني جيش متميز الشخصية، لا يختلف في هذه الناحية عن بقية جيوش العالم مما قام به من أعمال إنسانية تتوافق وما تطلبه القوانين الدولية من كل جيش**».[1]

وإضافة إلى البعد القانوني الذي كرسه المؤتمر في جانبه التنظيمي للثورة، فقد أعطاها بالمقابل أيضا قيما أخلاقية وإنسانية تنظم سلوك المجاهد وتضبطه بما يتوافق والنصوص القانونية الدولية والإنسانية منها على السواء، حيث أورد المجاهد: «**بعد مؤتمر 20 أوت 1956 سن جيش التحرير في كامل ولايات الكفاح بالقطر الجزائري قوانين محددة، لا يتعداها المجاهد ويرجع إليها جميع القادة وهكذا أصدر المؤتمر الأمر بتحريم الإعدام ذبحا وتحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص أو التشويه لخلقته، كما نص على أن كل من يتعدى على عر ض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام وعلى أن تنفيذ الإعدام لا يتم إلا بعد محاكمة شرعية قانونية يمكن فيها المحاكم من الدفاع عن نفسه...**»[2]، وفي ذات السياق قد وضح قادة جبهة التحرير العلاقة الوطيدة التي تربط بين القوانين والنصوص الدولية مع واقع الممارسة اليومية لجنود جيش التحرير، حيث أكدوا أن هذه النظم هي برنامج ممارسة بالنسبة لجنود جيش التحرير بقولهم: «**إن تلك النظم لم تكن برنامجا من وضع شخص بمفرده، ولكنها كانت نظاما يتجاوب مع ما يشعر به كل جزائري في أعماقه من إحساس عميق، وما يؤمن به داخل نفسه من سلوك وما يطبقه في حياته من أخلاق، ولذلك لم يجد**

**مسؤولو جيش التحرير عندما رجعوا إلى مراكزهم صعوبة في تطبيق تلك النظم، ولذلك لم تبق تلك النظم عبارة عن قاعدة مكتوبة أو محفوظة ولكنها صارت حقيقة حية يعيشها المجاهد ويطبقها في حياته اليومية ويؤديها الشعب بأكمله».**[3]

كما قامت الثورة الجزائرية بتطوير بنود القانون الدولي الإنساني الذي يعتبر "**مجموعة من القواعد القانونية المطبقة أثناء النزاعات العسكرية المسلحة الدولية وغير الدولية، والتي تهدف إلى تقييد أطراف النزاع في اختيار أساليب ووسائل القتال**"[4]، وهو القانون المستحدث بناء على اتفاقيات جنيف 1949"[5]، حيث أظهرت هذه الأخيرة التزامها القانوني بكامل بنوده، كما قامت أيضا بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية في ضبط النزاع العسكري القائم مع الاحتلال الفرنسي بما يتماشى والقانون الدولي الإنساني الصادر عن اتفاقية جنيف[6]، حيث استفادت الثورة الجزائرية بانضمامها على اتفاقية جنيف إلى تحقيق جملة من المطالب التي كان لها صدى واسع في إعادة في نصوص القانون الدولي الإنساني والتي كان أهمها:

- ✓ اعتراف المجموعة الدولية بأهلية إدراج الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، كطرف من أطراف النزاع المسلح القائم مع السلطات الاستعمارية، بعد أن كانت هذه الأخيرة تدعي أن ما يحصل في الجزائر شأن داخلي يخص فرنسا لوحدها.
- ✓ الالتزام والتقيد من "جبهة" و "جيش.ت.و" بالاحترام الكامل لبنود ونصوص القانون الدولي الإنساني.
- ✓ إرغام الطرف الفرنسي بالخضوع إلى القوانين الدولية والتي ترمي إلى ضبط الممارسات في النزاعات العسكرية.
- ✓ خروج القضية الجزائرية من حالة النزاع الداخلي الذي كرسته السياسة الاستعمارية إلى وضعها القانوني ضمن إطار الحركات التحريرية التي شهدها العالم بداية القرن العشرين.

- ✓ التعاون مع المنظمات الإنسانية الدولية لضمان تسهيل مهام اللجان ومبعوثي الهيئات الإنسانية الدولية خلال النزاعات المسلحة.
- ✓ إقرار المجتمع الدولي بالثغرات القانونية في القانون الدولي الإنساني، وضرورة التعجيل بمراجعة البنود والنصوص القانونية التقليدية في هذا المجال، مع الدعوة إلى ضرورة تحديثها بما يتلاءم والأهداف الحديثة والمستقبلية للحركات التحررية السائدة في أنحاء العالم، وبخاصة ما تعلق منها بمعايير التصنيف المعتمدة لتصنيف حالات النزاع كنزاعات داخلية أو حروباً دولية.[7]

### 3- على مستوى تضامن حكومات ودول العالم:

اتخذت الثورة الجزائرية من البعد الإنساني الوارد في مواثيقها وممارستها عاملا أساسيا في الدعاية والتعريف بقضيتها لدى الحكومات والدول في العالم، كما ساهمت المبادئ والأهداف العادلة والديمقراطية للكفاح المسلح الجزائري ضد الاستعمار في حملة تضامن وتعاطف من عديد الدول والحكومات التي عبرت بكل سيادة عن مساندتها للكفاح الجزائري ضد الاستعمار، أين تجسدت هذه المواقف في أشكال مختلفة منها: المواقف السياسية، المساعدات الاقتصادية، التضامن الإنساني...الخ.

واستنادا إلى المبادئ الإنسانية التي كرستها الثورة التحريرية كاستراتيجية في كفاحها المسلح ضد الاستعماري، فقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام ومساندة كبيرين من عديد الدول الشقيقة والصديقة، كما كانت عاملا أساسيا في الدعم الدولي والإنساني للقضية الجزائرية على المستوى الخارجي، حيث أوردت جريدة المجاهد: «**إن الحرب الجزائرية باتت موضوع اهتمام دول أخرى، فإخواننا المغاربة والتونسيون وسكان البلاد العربية لم يفتأوا عن مساعدتنا مساعدة فعالة، وقد صار موقف فرنسا أمام الرأي العام الدولي موقفا محرجا**».[8]

أما ما تعلق بالمساندة الإفريقية الآسيوية للقضية الجزائرية، فلا أدل من مشاركة وفد جبهة التحرير في مؤتمر باندونغ أفريل 1955 بفضل المساعدة والدعم من الرئيس المصري جمال عبد الناصر[9] الذي بذل جهودا لتدويل القضية الجزائرية على المستوى الدولي[10]، كما كان للمؤتمر الثاني لحركة عدم الانحياز المنعقد بالعاصمة اليوغسلافية "بريوني" ذات الدعم والتضامن مع القضية الجزائرية، وهو ما تبين في مواقف قادة المؤتمر الثلاثة (جوزيف بروز تيتو "يوغسلافيا"، جمال عبد الناصر "مصر"، جواهر لال نهرو "الهند")، والذي أكدوا مناهضتهم للاستعمار ودعمهم للقضية الجزائرية التي تعد أنموذجا فريدا للتحرر في العالم، حيث أوردت المجاهد بقولها: «**لقد استخلص الشعب الجزائري من المؤتمر الذي عقده في بريوني كل من السادة: تيتو، عبد الناصر، نهرو، فائدة يزيدها أهمية ما جاء به الاستعماريون الفرنسيون من خيبة، إذ أبرم على نظامهم الاستغلالي حكما لا مرد له، بينما حظيت الثورة الجزائرية بالتقدير والمودة، لكن يجب الملاحظة أن هذا الانتصار ليس إلا انتصارا مبدئيا ولئن كان الفرنسيون يتأثرون بإدانة الرأي العام الدولي لهم، فإنهم بما طبعوا عليه من عناد لا يريدون أن يعتبروا مثل هذه الأحكام كإدانة لجرائمهم...غير أن هذا لا يزيدنا إلا افتخارا ببريوني وبالانتصارات الدبلوماسية المقبلة التي سيتم بها انعزال فرنسا الاستعمارية وسنؤكد عدالة قضيتنا المقدسة**».[11]

كما نجد أن الثورة التحريرية قد أحدثت أيضا هزة حقيقة في نظرة الدول الخاضعة للاستعمار إزاء القوى التي تسيطر عليها، إذ نجد أن كثيرا من هذه الدول الإفريقية قد أعربت عن تضامنها وتأييدها للكفاح التحرري بالجزائر، مما جعل الاستعمار في انحصار وأفول تدريجي، وفي ذلك كتب جريدة المجاهد في مقال لها: «**إن الثورة الجزائرية قد قلبت رأسا على عقب كل علاقات الفرنسيين مع مستعمراتهم، وصحيح أن تطور جميع الشعوب نحو التحرير هو ارتباك لا يمكن مقاومته لكن الشكل الذي اتخذه الكفاح التحريري الجزائري قد بلغ درجة من الأصالة والشدة والشمول مما أحدث تصدعا في جدار الاستعمار الفرنسي، بحيث تستطيع كل مستعمرة فرنسية القضاء عليه بسهولة**»[12]، وهو ذات

الموقف الذي أعلنته الحكومة الصينية تجاه الثورة الجزائرية بعد اقتناعها أن خيار الكفاح المسلح هو السبيل الأمثل والطريق الأقصر لاسترداد الحرية المسلوبة بقولها: «**لقد شكلت حرب التحرير الجزائرية نموذجا عمليا لانتصار المنظور الصيني والحصول على الاستقلال والتحرير غير المشروط لأن الاستقلال والسلم مع الدول الاستعمارية يمكن الحصول عليها بالصراع وليس بالتوسل**».[13]

كما حمل الموقف اليوغسلافي المؤيد للثورة الجزائرية أبلغ دليل على عدالة القضية وإنسانيتها، سيما وأن أهداف البلدين تشترك في النضال من أجل التحرر، وبخصوص هذا الموقف ذكر لنا الباحث "إسماعيل دبش" قوله: «**لقد كانت علاقة يوغسلافيا مع الجزائر (مع الشعب الجزائري) وثيقة، فقد كانت يوغسلافيا من أسبق الشعوب والحكومات إلى تأييد كفاحنا، لأن تجربتها النضالية ضد النازية جعلتها تتعرف بسهولة على عدالة قضيتنا وشرعية كفاحنا...**».[14]

### 4- على مستوى تضامن الأحرار والمثقفين:

لقد اجتهدت الثورة التحريرية منذ إعلانها الكفاح المسلح على مستويات مختلفة لتحقيق أهدافها المسطرة في بيان أول نوفمبر 1954، فكانت العمل المسلح الخيار الأمثل لمواجهة القمع العسكري الفرنسي على المستوى الداخلي، في حين كانت الدعاية والتعريف بالثورة الجزائرية ومبادئها الإنسانية الوسيلة الأفضل لتحقيق التضامن والمساندة لهذه القضية في ظل حملة الدعاية والأكاذيب التي شنتها أجهزة المخابرات الفرنسية ضد الثورة الجزائرية، ولأجل تحقيق ذلك فقد بذلت جبهة التحرير جهودا جبارة في اتجاه الأحرار والديمقراطيين للتعريف بمبادئ وأهداف الكفاح المسلح الذي يقوده الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال الفرنسي، وهو ما تجلى في عديد المواقف المساندة والمؤيدة للثورة التحريرية من قبل عديد الفئات المثقفة الفرنسية، إذ نجد أن الكثير من المثقفين الفرنسيين قد أعلنوا تعاطفهم مع القضية الجزائرية، مجاهرين بمساندتهم ومؤازرتهم لهذه الأخيرة بعد الجرائم التي استهدفت المدنيين الجزائريين، حيث أدركت فئة كبيرة من هؤلاء المثقفين أن السلطات الاستعمارية مسؤولة عن

الجرائم اللاإنسانية المقترفة ضد الجزائريين، والتي راح ضحيتها أعداد ضخمة من الأبرياء بعد أن طبقت ضدهم أساليب مختلفة من التنكيل المبرمج والقتل المتعمد.

وفي هذا السياق يبرز لنا بوضوح الموقف المتضامن لفئة المثقفين الفرنسيين المناهضين للتوجه الاستعماري مع القضية الجزائرية، ومن هؤلاء نجد: أستاذ الحقوق بجامعة الجزائر الدكتور "**روني كابيتون**" الذي اتخذ قراره الإنساني بالتضامن مع القضية الجزائرية عن قناعة تامة، بعد مقتل الطالب الجزائري "أحمد بومنجل" في شهر مارس 1958، والذي كان لحادثة مقتله من قبل العسكريين الفرنسيين عميق الأثر على نفسيته ومساره المهني في البلاد، بعد اتخاذ قراره التوقف النهائي عن ممارسة مهام التدريس بجامعة الجزائر رفضاً واحتجاجاً على السياسة الاستعمارية المسلطة ضد المدنيين الجزائريين، حيث اعتبر "كابيتون" أن قتل الطلبة والمدنيين عموماً يعد جريمة في حق الإنسانية، على اعتبار أن "أحمد بومنجل" من أنجب طلبة هذا الأخير في كلية الحقوق، كما أنه واحد من الجزائريين ذوي السمعة الطيبة بين أقرانه وأترابه، وتأثرا بهذه الجريمة كتب "كابيتون" ناعيا هذه الجريمة بحق الإنسانية، فيقول: «...**لقد كان علي بومنجل أحد طلبتي في كلية الحقوق بالجزائر، إنني أجد نفسي اليوم عاجزا عن التدريس بكلية حقوق فرنسية، أقيلوني إن شئتم...، فإنني أتقبل ذلك بكل ارتياح،...ما تتخذونه من قرار شرط إبلاغ صوتي**».[15]

وفي نفس الاتجاه، المتعلق برصد المواقف الفرنسية المثقفة المتضامنة مع الثورة الجزائرية فقد كان لموقف "فرانز فانون" الطبيب ذي الأصول المارتينيكية[16] التابعة للمستعمرة الفرنسية القديمة[17] نفس الموقف المساند للكفاح المسلح الجزائري، وخاصة بعد أن وقف هذا الأخير عند حقيقة التجاوزات اللاإنسانية للاستعمار في حق الشعوب المستعمرة، أين قرر التوقف النهائي عن مواصلة أداء واجبه كطبيب معالج للأمراض العقلية بمستشفى البليدة سنة 1956، وذلك بعد أن قرر الانضمام عن إرادة واختيار حر إلى صفوف الكفاح المسلح الجزائري ومساندة القضية الجزائرية بكل ما يستطيع أن يساعدها، سيما بعدما أيقن أن السياسة الفرنسية في هذه البلدان المستضعفة، إنما هي تقوم على القمع والاستبداد خدمة

للدول والشعوب الاستعمارية دون غيرها من شعوب المستعمرات المقهورة، ليقرر سنة 1957[18] انضمامه النهائي للثورة التحريرية الجزائرية، هذه الأخيرة التي استفادت من خبراته الطويلة في مجالات عدة نذكر منها: السياسية والإيديولوجية وحتى الفكرية...الخ، وهو الذي منحها عصارة تجاربه السياسية والفكرية التي اكتسبها طيلة مساره النضالي والسياسي في النضال والكفاح من أجل الفئات المستضعفة، وهو الذي اختار أن تكون لمسته واضحة لفائدة المسيرة التحررية للثورة الجزائرية، وذلك ضمن عرف بـ: تجارب فرانز فانون في الفكر والممارسة الثورية.[19]

وإضافة إلى هؤلاء المثقفين الفرنسيين ممن ساندوا الكفاح التحرري الجزائري بأفكارهم وأقلامهم، وعملوا على مناهضة الواقع الاستعماري من خلال مواقفهم السياسية والفكرية المنددة بالسياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة تجاه المدنيين الجزائريين، نقف أيضا على موقف الأستاذ بجامعة الجزائر "أندري ماندوز" الذي لم يتردد هو الآخر في إظهار معارضته إزاء السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، ليؤكد رفضه القاطع للتجاوزات والخروقات الحاصلة إزاء القوانين الدولية والإنسانية العالمية إزاء المدنيين في مستعمرة الجزائر، ويعزي العديد من الباحثين أن الأصول التاريخية لملامح السخط والتذمر المعلن ضد النظام الاستعماري من الأستاذ الفرنسي" أندري ماندوز" إنما هي في حقيقتها تعود إلى سنة 1947، وهناك بدأت البوادر الأولى لبروز ملامح الرفض للواقع الاستعماري عبر تجربة هذا الأخير في الصحافة المكتوبة في "مجلة إيسبري" ذات التوجهات الوجودية المعتدلة، ومما يثبت الحقائق الواردة بشأن كتاباته الناقدة للنظام الاستعماري القائم في الجزائر؛ هو المقال الصادر لهذا الأخير في المجلة في سنة 1948، والذي ورد بعنوان: «**لنتجنب الحرب في شمال إفريقيا**» هذا الأخير الذي تنبأ فيه الأستاذ "ماندوز" بمأساة وشيكة الحصول في الجزائر، في حال ما لم تتخذ الإجراءات الوقائية لتدارك الأوضاع السائدة بصفة مستعجلة في هذه البلاد.[20]

وفي ذات السياق، وعلى خطى جميع المثقفين الفرنسيين المناهضين للمشروع الاستعماري بالجزائر، نجد أن رجل القانون الفرنسي "جاك فرجاس" الملقب بـ"العم منصور"

يجاهر هو الآخر بالرفض الصريح للواقع الاستعماري القائم على الظلم والاستبداد، وهو الذي انتقد جميع الممارسات التعسفية واللاإنسانية المطبقة من قبل النظام الاستعماري ضد المدنيين الجزائريين، حتى أن المحامي "جاك فرجاس" قد قرر بمحض إرادته، وبناء على قناعاته الإنسانية والفكرية المطعمة بالفكر الوجودي تولي مهمة الدفاع عن جنود "جيش.ت.و" أمام جميع المحاكم الفرنسية الواقعة على التراب الفرنسي عسكرية كانت أو مدنية.

كل ذلك بالرغم؛ أنه كان يعلم في قرارة نفسه أن المحاكمات الفرنسية في حق الجزائريين، إنما هي في الحقيقة محاكمات غير شرعية من وجهة النظر القانونية، ولا تستند إلى أي أساس شرعي أو قانوني أو حتى دليل مادي يثبت إدانة المدنيين الجزائريين، وأضاف يقول أن المقاومة المنظمة من قبل السكان الجزائريين، إنما هي لأجل غاية نبيلة وهدف إنساني يتمثل في تحقيق الحرية والاستقلال، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تصنف ضمن حوادث حفظ النظام العام في الدولة الفرنسية، مثلما حاولت الترويج الدعاية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وفي هذا السياق فقد ذكر المحامي "جاك فرجاس" هذه الحقائق في قوله: «**إنه الوضع الاستثنائي الذي حرم المتهمين الجزائريين من كل الضمانات، سواء تلك المتعلقة بالقانون العام أو القانون الدولي الإنساني الذي تنص عليه اتفاقية جنيف**».[21]

وفي نفس السياق؛ المتعلق برصد جهود المثقفين الفرنسيين في مساندة الكفاح التحرري الجزائري، ومناهضة المشروع الاستعماري الفرنسي القائم في هذه البلاد منذ احتلالها سنة 1830 ، فقد قرر المثقف الفرنسي الوجودي "فرانسيس جانسون" إعلان مساندته الفكرية والأدبية وحتى الأيديولوجية للثورة والقضية الجزائرية بصفة عامة، بعد اقتنع أن الكفاح المسلح المعلن عنه من قبل الجزائريين في بلد الجزائر، إنما هو كفاح ونضال من أجل قضية عادلة وإنسانية، وعليه فقد اتخذ "فرنسيس جانسون" مع زوجته "كوليت جانسون" قرارهما الإنساني العادل، بمساندة هذه القضية من خلال إعلانهما ضرورة التشهير والتعريف بالجرائم الاستعمارية المرتكبة ضد المدنيين الجزائريين لدى الرأي العام العالمي، مع العمل على التعريف بالقضية الجزائرية والسعي لكسب وتحقيق مواقف التعاطف معها من لدن الدول الصديقة

والشقيقة، وقد تجسد ذلك في إصدار الزوجين "جانسون" لمؤلف إنساني عنوانه "الجزائر خارجة عن القانون"، هذا الذي أحدث ضجة حقيقية في فرنسا والعديد من البلدان الأوربية، لما شكله من صدمة بالنسبة للأوساط الفرنسية المساندة للسياسة الاستعمارية في الجزائر، كما أن الكتاب قد كان محلاً للعديد من ردود الفعل الإعلامية المساندة للقضية الجزائرية وأهاليها، في الوقت الذي برزت أهمية هذا المؤلف أيضا لدى الأوساط السياسية والإعلامية المناوئة للقضية الجزائرية، سيما بعد الحملة الإعلامية التي طالت مؤلف الكتاب أين وصلت درجة مطالبة العديد الفرنسيين بإصدار قرار بمنع الكتاب ومحاكمة مؤلفه.[22]

وفي ظل الضجة التي أحدثها الكتاب "القنبلة " كما جاء في وصفه من بعض الأوساط الفرنسية، والمؤلف من قبل الزوجين "جانسون" وما أعقب هذا الكتاب من ردود أفعال متباينة إزاء القضايا والتجاوزات العسكرية والسياسية والإعلامية...التي فضح أصحابها من خلال هذا المؤلف، وللإشارة فإن "فرانسيس جانسون" لم يتوقف عند هذا الحد من المساندة الفكرية للقضية الجزائرية كونها قضية إنسانية عادلة فحسب، بل تعداها إلى أشكال وأنماط جديدة من المساعدة والدعم للقضية الجزائرية عموماً، وذلك بالعمل على تجسيد مواقفه الفكرية والأيديولوجية إلى واقع عملي وممارساتي مساند لهذه القضية الإنسانية، وقد تجلى ذلك في إنشائه لمنظمة الدعم السرية لفائدة المناضلين الجزائريين وقد أطلق على هذه المنظمة اسم: "شبكة جانسون السرية".[23]

وفي سياق متصل بجهود المثقفين الفرنسيين وصور دعمهم للقضية الجزائرية، فقد نقل عن المناضل "عمر بوداود"[24] اعترافه في شأن الجهود الإنسانية المقدمة من قبل هؤلاء المثقفين الفرنسيين للثورة التحريرية، أين أكد أن الأشكال المختلفة للدعم والمساعدة المقدمة من قبل هؤلاء النخبويين الفرنسيين، قد كانت من أهم نقاط القوة خلال المسيرة الثورية والتحررية التي نهض بها الجزائريون، وقد تجلى ذلك من خلال عديد المهام المسندة لهؤلاء المثقفين الفرنسيين من المتعاطفين مع القضية الجزائرية، وهم الذين كرسوا جهودهم الفكرية والإنسانية في الدعم والدعاية لصالح القضية الجزائرية والتعريف بها، أو حتى في صور الجهود العملية من هؤلاء

مساعدة للمناضلين الجزائريين، وهم الذين حملوا على عاتقهم عديد المهام المتعلقة بمحاولة النهوض بالكثير من المهام والأعمال الهامة خلال المسيرة الثورية الجزائرية، ومن بين هذه المهام نذكر: إخفاء المناضلين، جمع التبرعات، الدعاية الصحفية، جهود التعريف بالقضية الجزائرية،...وغيرها من الجهود الميدانية ذات الفعالية، والتي نهضت بها أعداد كبيرة من المثقفين الفرنسيين لصالح الثورة الجزائرية خاصة والقضية الإنسانية عامة.[25]

وهنا تجدر الإشارة؛ إلى أن أغلب المساعدات المقدمة لصالح الثورة الجزائرية من قبل هؤلاء النخبويين الفرنسيين كانت أغلبها تتسم بطابع السرية والتكتم خوفا من ملاحقات الإدارة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي لا تزال شكوكها وإلى غاية هذه المرحلة بعيدة عن هؤلاء المثقفين والنخبويين الفرنسيين، في وقت كانت فيه الرقابة البوليسية والعسكرية الفرنسية شديدة على الجزائريين وبخاصة من أولئك القاطنين على التراب الفرنسي.[26]

### 5- على مستوى الحركات التحررية العالمية:

تشترك الحركات التحريرية في الكثير من دول العالم في مناهضتها للسياسات الاستعمارية عموماً، حيث تسعى إلى استرداد حريتها المسلوبة بواسطة الكفاح المسلح، سعيا إلى تحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية المسلوبة لسكانها وأهاليها[27]، وعليه فقد اعتبرت الثورة الجزائرية أحد النماذج الرئيسية للحركات التحررية العالمية، حيث شكلت بمبادئها وأهدافها الإنسانية شكلا جديدا من أشكال النضال والتحرر، حيث ورد في مؤلف أندريه ماندوز قوله: «**إن التحرر الحقيقي ليس أبدا ذاك الاستقلال المزيف، حيث يتجاوز بعض الوزراء محدودي الصلاحية هنا مع اقتصار يحكم الميثاق الاستدماري...بل إن التحرر المنشود يعني قبر النظام الاستدماري بدءا من هينة لغة المستدمر واعتبار المستدمرات كولايات تابعة لها...**».[28]

ومن هذا المنطلق فقد كان للكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر أبعادا دولية وإنسانية كان لها التأثير المباشر في الكثير من الحركات التحررية الإفريقية والعالمية على حد سواء.

**أ–على المستوى الإفريقي**: لقد ظلت الجزائر لفترات طويلة أنموذجا تحرريا وإنسانيا في مجابهة الاستعمار الاستيطاني على المستوى الإفريقي، إلا أن الإعلان عن الثورة التحريرية وكفاحها المسلح قد أعطى هذا الأخير بعدا إفريقيا وإنسانيا تشترك فيه جميع الدول الإفريقية الخاضعة للاستعمار[29]، وعليه فقد كان للبعد الإفريقي ارتباط واضح بالكفاح التحرري بالجزائر، حيث ورد ذلك: «**إن الشعوب الإفريقية كلها لا تنسى أبدا أن هذه الانتصارات الجريئة التي حققتها والآفاق الواسعة التي تتفتح أمامها ترتبط ارتباطا وثيقا بالكفاح الذي تخوضه الجزائر الدامية في سبيل حريتها وحرية إفريقيا جمعاء**».[30]

كما نجد أيضا أن للمؤتمرات المنعقدة بالقارة الإفريقية دور حاسم في توجيه العمل التحرري وتشجيع البلدان الإفريقية على خيار المجابهة العسكرية لقوى الاستعمار رفضا منها لكل أشكال الهيمنة والاستبداد التي تفرضها الأنظمة الاستعمارية على الشعوب الإفريقية، جاء في جريدة المجاهد: «**إن المؤتمر يصادق على شعار الاستقلال العاجل ويقرر اتخاذ جميع الإجراءات الضرورية لتجنيد الجماهير الإفريقية حول هذا الشعار، ولتجسيم هذه الإرادة في الاستقلال تجسيما واقعا ملموسا "بهذه العبارات أعلنت شعوب إفريقيا السوداء من منبر كوتونو حربها على حكومة الجنرال ديغول"، والواقع أن الجهاز الاستعماري الفرنسي في إفريقيا السوداء بدأ يتضعضع منذ سبتمبر 1957 في مؤتمر باماكو، ففي ذلك المؤتمر أعلن إخواننا الأفارقة عن رفضهم للقانون الإطاري الذي اعتبرهم فرنسا بمقتضاه رعايا لا مسؤولية لهم في الحكم ولا حق لأوطانهم في الاستقلال**».[31]

**ب–على المستوى العالمي**: أما على المستوى العالمي والدولي، فقد حققت الثورة الجزائرية أيضا تأثيرا كبيرا في الحركات التحررية التي أعلنتها دول أمريكا اللاتينية، كما أسهمت هذه المواقف في إبراز نوع من التضامن والتعاطف بين هذه الحركات التحررية الهادفة إلى استرداد حريتها واستقلالها، فنجد أن حركة التحرر في كوبا قد أعلنت بصراحة موقفها الإنساني المتضامن مع جميع الحركات التحررية بما فيها الثورة الجزائرية بقولها: «**إن حركات**

**عديدة من بينها ثورة كوبا قد خلقت هذه المدة الأخيرة شعورا مناهضا للاستعماريين في أمريكا اللاتينية، وحمست شعوب هذه القارة ليقفوا موقف التأييد للشعب الجزائري في نضاله البطولي... لأن كفاح الجزائر من أجل استقلالها هو في نظرنا كفاح تحريري لكل الشعوب المضطهدة وكل الشعوب التي تعاني درجات مختلفة من أنواع الاستعمار».**[32]

وفي ذات السياق، فقد برزت حملة من التأييد والمساندة من باقي دول أمريكا اللاتينية للكفاح المسلح الجزائري ضد النظام الاستعماري، وهو ما استوقف الصحفي البرازيلي "**باولو دي كاستو**" الذي قال: «...**ومع هذا فإن الحركة المؤيدة للجزائر في أمريكا اللاتينية قد بلغت درجة عظيمة في أوساط العمال والمثقفين، حتى أن الفئات الحاكمة عندنا يشعرون بالصعوبات الجسيمة التي تمنعهم من أن يؤيدوا فرنسا التي لا تتورع عن ممارسة التعذيب**»[33]، وعليه فإن النظرة المشتركة من هذه الدول للاستعمار على اعتبار أنه الخطر الحقيقي الذي يهدد الإنسانية في نظمها المختلفة حيث جاء فيها: «**أن الاستعمار نظام عالمي يسيء إلى الإنسانية جمعاء، وأن تساند قوى مختلفة في نظمها السياسية والاجتماعية وفي مذاهبها ونظرتها إلى الحياة للقضاء على الاستعمار، لا يعني انصهار هذه القوى في بوتقة مذهبية واحدة، وإنما يعني فقط التقاءها حول أهداف إنسانية عامة يمكن على أساسها أن يقوم نظام للتعايش السلمي الحقيقي بين كل شعوب العالم**».[34]

## 6. خاتمة:

وفي الختام نستنتج بأن الثورة الجزائرية قد انتهجت في مجابهتها للاحتلال الفرنسي المعتدي على الجزائر أرضاً وشعباً، مسلكاً إنسانياً يقوم على الاحترام الكامل للنصوص القانونية والدولية الهادفة للحفاظ على النفس البشرية من الطرفين وحمايتها من أسباب الهلاك، وهذا ما أكسب هذه الثورة التقدير والإعجاب من لدن الأحرار والمثقفين والديمقراطيين الذين نادوا بنصرة القضية لعدالتها وانسانيتها، كما جعل منها كذلك محل قدوة من طرف الكثير من الحركات التحررية السائدة في العالم، وهو ما سجلته مواثيق ونصوص الثورة التحريرية

الأساسية وغير الأساسية منها، كحال الصحافة الثورية التي نجد أن جريدة المجاهد أهمها على الاطلاق.

## 7. الهوامش:

[1] – جريدة المجاهد: ع9، 1957/08/20، ص 05.

[2] – جريدة المجاهد: ع9، 1957/08/20، ص 12.

[3] – جريدة المجاهد، ع 10، 1957/09/05، ص 12.

[4]– أحمد بوغانم: **الرقابة الدولية على تطبيق القانون الدولي الإنساني**، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص–ص 22–23.

[5]– أحمد بوغانم: **المرجع نفسه**، ص 29.

[6]– سلمان نصر: صور من آثار البعد الديني في سلوك مجاهدي الثورة التحريرية، **مجلة المعيار**، ع 04، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 24.

[7]– عبد القادر حوبه: **الوضع القانوني للمقاتلين في القانون الدولي الإنساني**، أطروحة دكتوراه، إ: مزياني فريدة، قسم الحقوق، جامعة الحاج لخضر –باتنة، الجزائر، 2014/2013، ص45.

[8] – جريدة المجاهد: ع 1، 1956/06/01، ص 24.

[9] – أحمد بشيري: **الثورة الجزائرية والجامعة العربية**، دار ثالة، الجزائر، 2009، ص 48.

[10] – أحمد بن فليس: **السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958–1962**، رسالة ماجستير، معهد العلوم السياسية، جامعة الجزائر، الجزائر، 1985، ص 150.

[11] – جريدة المجاهد: ع 2، 1956/07/01، ص 05.

[12] – جريدة المجاهد: ع 22، 1958/04/15، ص 07.

[13] – إسماعيل دبش: **السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954–1962**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 144.

[14] – **المرجع نفسه**، ص 182.

[15]– سمير البكوش: ثورة التحرير الجزائرية: خصوصياتها وموقف الفرنسيين منها، **مداخلة بملتقى ثورة التحرير الجزائرية والاستعمار الفرنسي–المنطلقات، الحقائق والأبعاد**، جامعة 20 أوت 1955– سكيكدة، الجزائر، ديسمبر2006، ص90.

[16]– محمد الميلي: **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، منشورات anep، الجزائر، 2007، ص08.

[17]– عماد الدين طهيري: الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فرانز فانون، **مجلة منيرفا**، م03، ع06، الجزائر، جوان 2017، ص 60.

[18]– عماد الدين طهيري: **المرجع السابق**، ص61.

[19]– نور الدين عسال: المثقفون الفرنسيون والتعذيب، **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع07، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2014، ص14

[20]– خالد بوهند: النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة للاستعمار، **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013، ص54.

[21]– محفوظ عاشور: نداء صديق الثورة التحريرية جاك فرجاس إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص جميلة بوحيرد وزميلاتها 1958، **مجلة تاريخ العلوم**، ج01، ع08، جامعة زيان عاشور –الجلفة، الجزائر، جوان 2017، ص230.

[22]– سعدي بزيان: **فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر1954**، ط1، دار نسيبان للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2016، ص13.

[23]– ماري بيار أولوا: **فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل**، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص113.

[24]– من مواليد منطقة سيدي داود بالقبائل الكبرى (تيزي وزو حالياً) سنة 1924، وبها تلقى أولى معارفه التربوية والتعليمية لينتقل بعدها إلى معهد التكوين المهني الفلاحي، وفي خلال الحرب العالمية الثانية (1939–1945) التحق بصفوف حزب الشعب الجزائري ليتم اعتقاله بعد مجازر 08 ماي 1945 بالشرق الجزائري ليطلق سراحه بعد فترة وجيزة من ذلك، انتقل إلى فرنسا بعد أن أطلق سراحه للمرة الثانية سنة 1948، وهناك تجند في صفوف المناضلين الجزائريين ضمن صفوف "جبهة.ت.و" بفرنسا، وبعد اعتقال "محمد لبجاوي" رئيس فيدرالية "جبهة.ت.و" بفرنسا، تم استدعاء "عمر بوداود" من قبل "عبان رمضان" لتولي هذه المهمة، وقد أشارت الدراسات والأبحاث بأن هذا الأخير قد نهض بهذه المسؤولية على

أكمل وجه إلى غاية استعادة الاستقلال في الـ05 جويلية 1830؛ ينظر. عبد الله مقلاتي: **أعلام وأبطال الثورة الجزائرية**، ج05، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013، ص 87.

[25]– محمد بليل: مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية 1954-1962 أمام الرأي العام البلجيكي– قراءة في وثائق أرشيفية، **مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية**، س04، ع 34، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، سبتمبر 2017، ص 10.

[26]– عبد الله مقلاتي: المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جانسون أنموذجاً، **مجلة المصادر**، ع21، م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر، ص237.

[27] – عمر سعد الله: **آراء في تقرير المصير السياسي للشعوب**، دار هومه، الجزائر، 2014، ص297.

[28] – أندريه ماندوز: **الثورة الجزائرية عبر النصوص**، تر: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2008، ص 55.

[29] – عبد الله مقلاتي: **الثورة الجزائرية وإفريقيا**، ج7، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013، ص 13.

[30] – جريدة المجاهد: ع 52، 1959/10/05، ص 06.

[31] – جريدة المجاهد: ع 28، 1958/08/28، ص 19.

[32] – جريدة المجاهد: ع 51، 1959/09/21، ص 04.

[33] – المصدر نفسه، ص 04.

[34] – جريدة المجاهد: ع 83، 1960/11/28، ص 10.

## 8.قائمة المصادر والمراجع:

### أ. الجرائد:


- جريدة المجاهد: ع 1، 1956/06/01.
- جريدة المجاهد: ع 2، 1956/07/01.
- جريدة المجاهد: ع9، 1957/08/20.
- جريدة المجاهد: ع 10، 1957/09/05.
- جريدة المجاهد: ع 22، 1958/04/15.
- جريدة المجاهد: ع 28، 1958/08/28.
- جريدة المجاهد: ع 51، 1959/09/21.

- جريدة المجاهد: ع 52، 1959/10/05.
- جريدة المجاهد: ع 83، 1960/11/28.

**ب. الكتب:**

- أندريه ماندوز: **الثورة الجزائرية عبر النصوص**، تر: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2008.
- أولوا ماري بيار: **فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل**، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
- بوغانم أحمد: **الرقابة الدولية على تطبيق القانون الدولي الإنساني**، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
- بزيان سعدي: **فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر1954**، ط1، دار نسيبان للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2016.
- بشيري أحمد: **الثورة الجزائرية والجامعة العربية**، دار ثالة، الجزائر، 2009.
- دبش إسماعيل: **السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- مقلاتي عبد الله: **أعلام وأبطال الثورة الجزائرية**، ج05، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013.
- مقلاتي عبد الله: **الثورة الجزائرية وإفريقيا**، ج7، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013.
- الميلي محمد: **فرانز فانون والثورة الجزائرية**، منشورات anep، الجزائر، 2007.
- سعد الله عمر: آراء في **تقرير المصير السياسي للشعوب**، دار هومه، الجزائر، 2014.

**ج. المقالات:**

- بليل محمد: مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية 1954-1962 أمام الرأي العام البلجيكي-قراءة في وثائق أرشيفية، **مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية**، س04، ع 34، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، سبتمبر 2017.
- بوهند خالد: النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة للاستعمار، **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013.

- طهيري عماد الدين: الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فرانز فانون، **مجلة منيرفا**، م03، ع06، الجزائر، جوان 2017.
- مقلاتي عبد الله: المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جانسون أنموذجاً، **مجلة المصادر**، ع21، م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر.
- نصر سلمان: صور من آثار البعد الديني في سلوك مجاهدي الثورة التحريرية، **مجلة المعيار**، ع 04، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2003.
- عسال نور الدين: المثقفون الفرنسيون والتعذيب، **مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، ع07، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2014.
- عاشور محفوظ: نداء صديق الثورة التحريرية جاك فرجاس إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص جميلة بوحيرد وزميلاتها 1958، **مجلة تاريخ العلوم**، ج01، ع08، جامعة زيان عاشور –الجلفة، الجزائر، جوان 2017.

**د. الرسائل الجامعية:**

**–الدكتوراه:**

1. حوبه عبد القادر: **الوضع القانوني للمقاتلين في القانون الدولي الإنساني**، أطروحة دكتوراه، إ: مزياني فريدة، قسم الحقوق، جامعة الحاج لخضر –باتنة، الجزائر، 2013/2014.

**–الماجستير:**

1. بن فليس أحمد: **السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958–1962**، رسالة ماجستير، معهد العلوم السياسية، جامعة الجزائر، الجزائر، 1985.

**هـ. الملتقيات العلمية:**

1. البكوش سمير: ثورة التحرير الجزائرية: خصوصياتها وموقف الفرنسيين منها، **مداخلة بملتقى ثورة التحرير الجزائرية والاستعمار الفرنسي–المنطلقات، الحقائق والأبعاد**، جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة، الجزائر، ديسمبر 2006.